الطبعة الثانية

نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب الثالث

المسيح فى حياة الكنيسة والخدمة

عـــثرة الصليب

... ومقـــالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم السلسلـــة : نور الحياة
الكتـــاب الثالث : المسيح في حياة الكنيسة والخدمة
المـــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــة : الأولي ٢٠٠٨، الثانية ٢٠١٠
الناشـــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي
ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤
المطبعـــــــــة : مدارس الأحد، ٧٠ شارع روض الفرج
رقم الإيـــــداع : ١١٠٦٨ / ٢٠٠٨

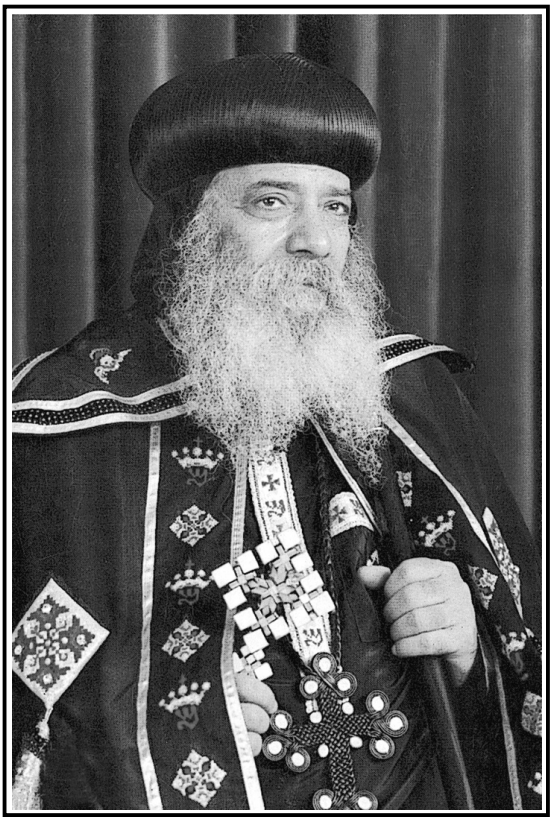

صاحب القداسة والغبطة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٧)

المحتويـــات

١ – **الله ظهر في الجسد** ٩

+ وعلى الأرض السلام ١٠

٢ – **المسيح يقدم إلى الهيكل** ١٣

+ عيد التكريس للرب ١٤

٣ – **المسيح يبارك أرضنا** ٢١

+ العائلة المقدسة في مصر ٢٢

٤ – **صوم نينوى** ٣٥

+ الكنيسة وصوم نينوى ٣٦

+ أعظم من يونان ٤١

٥ – **عيد الصليب** ٤٧

+ الصليب في حياة المؤمن ٤٨

٦ – **الصوم الكبير وأسبوع الآلام** ٥٧

+ قراءة في أناجيل الصوم الكبير ٥٨

+ اسبوع الآلام وآفاقه الروحية ٦٤

+ عثرة الصليب ٧١

+ حول الترتيبات الطقسية لأسبوع الآلام ٩٦

٧ – **القيامة والكرازة** ١٠٧

+ القيامة والكرازة ١٠٨
+ قوة من الأعالي ١١٨
+ أتحبني ... ارع خرافي ١٢٧

٨ – **المسيح موضوع الكرازة والخدمة** ١٣٥

+ لمحات من الكنيسة الأولى ١٣٦
+ العمل الإلهي في الخدمة ١٥٧
+ الأرض الجيدة ١٦٥
+ عن خدمة المسيحي ١٧٣

كلمة إلي القارئ

بعد إصدار الكتابين الأول والثاني من"**نور الحياة**" – سلسلة الدراسات في كلمة الله – "**في السلوك المسيحي**" و "**عن المسيح**" في يونيو ٢٠٠٧، أُقدم إلي القارئ هذا الكتاب الثالث "**المسيح في حياة الكنيسة والخدمة**".

والمقالات التي يضمها هذا الكتاب، رغم تعلقها المباشر بشخص المسيح كما في الكتاب الثاني، ولكنه هنا يتناولها من زاوية "**حضور المسيح في عبادة الكنيسة وأعيادها وخدمتها**". فبعد الاحتفال **بميلاد رئيس السلام**، يأتي احتفاء الكنيسة **بتقديم المسيح إلي الهيكل**، **فهروب العائلة المقدسة** إلي مصر ومباركة شعبها، **ثم صوم نينوي** الممهِّد **للصوم الكبير** سيراً علي خطي الرب، **فعيد الصليب**، **وأسبوع الآلام**، **والقيامة**. والفصل الأخير هو عن **الخدمة** باعتبار أن المسيح هو موضوع الكرازة كما أنه الفاعل فيها، ويبدأ بتقديم "**لمحات من الكنيسة الأولي**"، النموذج الباهر للكنيسة علي مدي التاريخ، ثم يتناول سمات "**الأرض الجيدة**" كما عرضها "المعلم" ودور كل مسيحي مؤمن في خدمة الله والقريب.

* * *

وأناشد القارئ أن يجعل الكتاب المقدس في متناوله وهو يقرأ هذا الكتاب – وسائر كتب هذه السلسلة– كي يعود إليه كلما احتاج الأمر، فهدفنا أن تتحول هذه الكتب إلي وسائل مساعدة لدراسة كلمة الله وحفظها وطاعتها.

وإني أسال إلهنا أن يستخدم هذا الجهد لمجد اسمه ولتعميق المعرفة بكلمته، وهي نور الحياة، بصلوات أبينا **صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا شنودة الثالث** وصلوات آباء الكنيسة وسائر محبي المسيح.

* * *

ما سبق كانت كلمتنا إليك في الطبعة الأولى (٢٠٠٨) من هذا الكتاب التي نفدت منذ بعض الوقت. وهذه هي الطبعة الثانية منقحة ومدّققة.

وأملنا أن تمتد الفائدة إلى قطاعات جديدة من القراء تجدد علاقتها بكلمة الله التي هي"**نور الحياة**"، وفي هذا **الكتاب الثالث** خاصة : تلتقي بالمسيح متجلياً في الكنيسة : عبادتها وأعيادها وطقوسها وخدمتها، والتي تستند فيها كلها إلى كلمة الله الشاهدة لعمل المسيح. وغايتنا أن يصير الرب رفيق الحياة – كما هو مخلصها – من خلال كلمته.

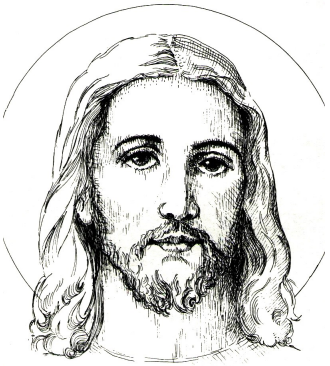

١

الله ظهر في الجسد

+ وعلى الأرض السلام

وعلى الأرض السلام

عند ميلاد المسيح قبل ألفى عام، احتفلت الملائكة بهذا الحدث البهيج وبشرت الرعاة الساهرين على حراسة خرافهم بالتسبحة التى صارت نشيداً للأجيال "**المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة**" (لو ٢ : ١٤).

ولقد توالت القرون، ولكن السلام ظل أملاً عزيزاً بعيد المنال، وتاريخ العالم تخضّبه الدماء : فالحروب لم تتوقف، والصراعات لم تنقطع، والضحايا يتساقطون كل يوم: بشراً وحيواناً ونباتاً ومدائن.

ورغم الويلات والقتلى والجرحى والمشوهين والمشردين والأرامل والأيتام، وخسائر الاقتصاد والبيئة، إلا أن صوت السلام ظل خافتاً مختنقاً لا يُلتفت إليه، والعداوات تتأصل وتتواصل والفرقاء يتمترسون فى مواقعهم، ويرفضون الوساطات ودعاة السلام، والأقوياء يستأسدون ويندفعون ولا يقبلون بأقل من سحق الضعفاء.

وكانت قمة المآسى فى القرن العشرين، الذى جاء بحربين عالميتين (١٩١٤ – ١٩١٨، ١٩٣٩ – ١٩٤٥) حصدتا الملايين واستُخدمت فيهما أشد الأسلحة فتكاً وتدميراً. رغم هذا فقد انبثق من وسط الظلام والآلام والويلات وغبار المعارك توقٌ إلى عالم يسوده السلام، ويتعامل مع الصراعات والمشاكل بالحوار والتفاوض لا بالسلاح. فتأسست الأمم المتحدة (١٩٤٥) ومؤسساتها المتعددة التى نجحت أحياناً وأخفقت أحياناً، ولكنها أتاحت للعالم أن يتقارب ويلتقى ويتعارف ويتفاهم ويتدخل لمنع نشوب الحروب وترسيخ السلام.

وهكذا رأينا جهوداً من الدول التى انتصرت فى الحرب العالمية الثانية لإعمار الدول التى هزمتها مما أتاح فيما بعد إقامة علاقات طبيعية بين أعداء الأمس. كما نجح المجتمع الدولى أواخر القرن الماضى فى إجهاض الصراع العرقى والدينى فى البلقان وإندونيسيا، كما استطاعت مصر تحقيق السلام (البارد) بينها وبين إسرائيل بعد أربعة حروب دامية.

وحملت إلينا بداية القرن الجديد بشائر حلول السلام فى السودان، بين شماله وجنوبه بعد حرب أهلية دامت عشرين عاماً، وسيادة الهدوء بين الهند وباكستان المتنازعتين على كشمير، وتهدئة الموقف فى كوريا الشمالية .

ورغم هذه العلامات المبشرة، تظل البؤر الملتهبة فى فلسطين – مهد المسيح – والعراق – حيث عاش أبونا إبراهيم – وأفغانستان، ودارفور، والصومال، والتفجيرات اليومية التى تلتهم الأبرياء، توجع القلب وتطعن السلام فى الصميم، وتنبهنا إلى أن الإنسان لم يُشف بعد من شرّه وأطماعه. ولا يزال هناك التعصب والتطرف ورفض الآخر والتمثيل به، والتسلّط والظلم والقسوة والاستئثار بالسيادة واستبعاد الغير بل واستعباده، وكلها تشير إلى أن الشوط لا

يزال طويلاً، وأن دوام هذه الأسباب قد يفضى إلى ضربات موجعة للسلام فى أماكن جديدة.

ربما يثير تفاؤلنا هذه النداءات في السنوات الأخيرة لتحقيق **الديمقراطية** فى العالم، وهى دعوة للمساواة بين الناس وأن يحكموا أنفسهم لا أن يتسلّط عليهم شخص أو حزب أو جماعة أو قوة خارجية تحت أى دعوى، وهى اتجاه لاكتشاف أن كل البشر إخوة إلههم وخالقهم واحد، وأبوهم واحد وأمهم واحدة، مهما كان لونهم أو جنسهم أو عقيدتهم. فالديمقراطية تتيح السلام والتنمية، بينما حكم الفرد يولّد الظلم والتمييز والخوف ويقود إلى الانقسام والدمار.

كما أن الدعوة السائدة **لتجديد الخطاب الديني** خليقة بكل ترحيب. فهى تقصد أن يصب مسار التوجيه الدينى بكل أدواته فى **حب الله وحب القريب** على أساس أن كل البشر إخوة وأقرباء [كما عرض لنا الرب فى مثل السامرى الصالح (لو١٠ : ٣٠ – ٣٧)]. **ويصير كل اتجاه للحضّ على كراهية الآخر أو رفضه أو نبذه أو تكفيره، إنكاراً للإيمان بالله وطعنة مباشرة فى قلب الله "لأن الله محبة"** (١يو٤ : ٨).

ولا نشك أن كل جهد فعال يُبذل **لمحاربه الفقر والجوع والمرض والجهل** الذى يعانى منه الملايين فى أنحاء العالم – خصماً من ميزانيات صناعة أسلحة الدمار والموت – يخدم قضية السلام فى الصميم، ويبعد شبح الحروب، الأهلية منها أو الدولية.

ويبقى أن على كل منا دوراً لسيادة السلام على أرضنا وتحقيق هتاف الملائكة، بأن نسعى دوماً **للمصالحة مع الله** (٢كو ٥ : ٢٠) بالتوبة فيتحقق السلام مع النفس، وأن **نمارس محبتنا المسيحية مع الجميع** باعتبارنا طليعة كتيبة

السلام على الأرض، **مجتهدين أن نغلب الشر بالخير** (رو ١٢ : ٢١) **والعداء والبغضة بالحب والتسامح** (مت ٥ : ٤٤)، **والتهجم والعدوان بالصمود وعدم الانتقام والدعوة إلى السلام** (رو ١٢ : ١٨، ١٩).

٢

المسيح يُقدَّم إلى الهيكل

+ عيد التكريس للرب

عيد التكريس للرب

تُواصل الكنيسة احتفاءها بعمل الرب من أجلها، بعد أن خصَّصت شهر **كيهك** لاحتفالات **التجسُّد**، واختارت من كلمة الله، ضمن قداسات الأحاد، ما يتعلَّق به من **بشارة زكريا الكاهن** بميلاد يوحنا الذي يُهيئ الطريق أمام الرب (لو١:١-٢٥)، إلى **بشارة العذراء مريم** بميلاد المخلِّص(لو١:٢٦-٣٨)، ثم **زيارة والدة الإله لأليصابات** حيث تجلَّى المقام الرفيع للعذراء وروحانياتها العالية (لو١:٣٩-٥٦)، وأخيراً **ميلاد المعمدان** (لو١:٥٧-٨٠) ، ثم **ميلاد ابن الله** (مت٢:١-١٢) يوم عيد الميلاد. وأُحيط هذا كله في صلوات الكنيسة بالتسبيح والسهر الليل كله تحية لِمَن تنازل وأخلى نفسه، وجاء إلى أرضنا عبداً مثلنا (في ٢: ٧)، حاملاً خطايانا في جسده (١بط ٢: ٢٤)، وفاتحاً لنا من جديد أبواب الفردوس (لو ٢٣: ٤٣).

ومتتبعةً خطوات الرب تحتفل الكنيسة **بختان الطفل يسوع** في اليوم الثامن من مولده، حيث بدا وهو رب الناموس خاضعاً للناموس (غل ٤: ٤و٥) الذي

يُقدِّس كل بكر فاتح رحم (خر ١٣: ٢)، فصار **بكر** الخليقة الجديدة (كو ١: ١٥) **بكراً** بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩) يسيرون وراءه ويحملون صليبه ويقتفون إثر خطواته (١بط ٢: ٢١)، **وبكر** القائمين من الموت في الزمان الأخير (١كو ١٥: ٢٠و٢٣، كو ١: ١٨، رؤ ١: ٥).

ثم ها هي الكنيسة تحتفل أيضاً **بدخوله الهيكل طفلاً**[١] بعد أربعين يوماً من مولده، لكي تُقدِّم أُمه، الخاضعة هي أيضاً للناموس (رغم ميلاد ابنها من غير زرع بشر، وهو قدوس القديسين)، تطهيراً وفدية كسائر الفقراء، تُقدِّم فرخَي يمام أو حمام (خر ١٣: ١٣، لا ١٢: ٢-٦، عد ١٨: ١٦، لو ٢: ٢٢-٢٤)، وتُقدِّم طفلها للرب ومعه تُقدِّم شكرها على عطيته الثمينة.

وبينما الرضيع محمولاً يبدو أنه لا يملك من أمره شيئاً، تفيض الأفواه تنبُّؤاً عنه، يحيط به كبار الناموسيين (**سمعان الشيخ**) والنساء التقيات ملازمات الهيكل (حنَّة النبية). ومن جديد (بعد إشارة الملاك جبرائيل إلى مهمته الخلاصية عندما ذكر للعذراء وليوسف أن اسمه **يسوع "لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم"**- مت١: ٢١، لو ١: ٣١، وعندما بشَّر الرعاة بميلاد **المخلِّص المسيح الرب** - لو٢: ١١) يُخيِّم على المجتمعين ظل الصليب المنتصب في الأُفق على بُعد ثلث قرن من ذلك الزمان.

الهيكل الحقيقي

رغم أن الرب كان رضيعاً عندما قُدِّم إلى الهيكل، وبدا حسب الظاهر أصغر مَن في المشهد، بل والوحيد الذي لا يُدرِك ماذا يجري من حوله، إلا أنه يظل الإله القادر على كل شيء، والمحيط بالماضي والحاضر والمستقبل، والمدرِك

(١) في الثامن من أمشير (١٤ أو ١٥ فبراير).

أكثر مِن كل مَن حوله. بل إنه هو **الهيكل الحقيقي** الذي يحلُّ فيه كل ملء اللاهوت والروح القدس المُحيي. وها هو الرب وهو يقترب من الصليب يقول لليهود: **"انقضوا هذا الهيكل، وأنا في ثلاثة أيام أُقيمه"** (يو ٢: ١٩). ويُفسِّر كاتب الإنجيل بالوحي الإلهي هذا القول: "وأما هو فكان يقول عن **هيكل جسده**" (يو ٢: ٢١) الذي أقامه في اليوم الثالث. وبينما نُقض هيكل أورشليم الرمز، يظل الرب – **الهيكل الحقيقي** – قائماً إلى الأبد.

تقديم المسيح إلى الهيكل

بمجرد أن أكملت العذراء أيام تطهيرها (حسب شريعة موسى – لو٢: ٢٢)، والمسيح عمره أربعون يوماً، مضت به إلى الهيكل في أورشليم، لتُقدِّم ذبيحة[٢] عن تطهيرها، وهي التي وَلدت كُلِّي القداسة والنقاء، والذي وُلد به من الروح القدس بريئاً من خطية آدم رغم أنه ابن آدم (لو٣:٣٨)؛ ومن ناحية أخرى، **لتقديم ابنها البكر** (لو ٢: ٧) للرب **"كما هو مكتوب في ناموس الرب[٣] أن كل ذكر فاتح رحم يُدعَى قدوساً للرب"** (لو ٢: ٢٣) أي مكرَّساً له، وهي بهذا تتنازل عن أولوية أمومتها ليصير ابنها من حق الله أولاً[٤]، وهي الخطوة التالية بعد التجسُّد في الطريق الطويل للخلاص.

فها هو يسوع الطفل ذو الأربعين يوماً يُقدَّم إلى الهيكل ويُعلن تكريسه لمهمته التي أتى من أجلها. وقد سبق أن قدَّمت حنَّة ابنها **صموئيل**، الذي وهبه

---

(٢) كان أحد الطائرَيــْن يُذبح ويُحرق بكامله رمزاً للتكريس الكامل للرب؛ أما الآخر فيُذبح وينضح الكاهن من دمه على الأُم فتطهر (لا ١٢: ٨).

(٣) خر ١٣: ٢؛ ٢٢: ٢٩؛ ٣٤: ١٩، عد ٣: ١٣؛ ٨: ١٧؛ ١٨: ١٥.

(٤) وهو ما صرَّح به الرب للعذراء ويوسف عندما وجداه يُعلِّم في الهيكل: **"ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي"** (لو ٢: ٤٩)، وما قاله لمَن أخبروه أن أُمه وإخوته خارجاً يطلبونه، ناظراً إلى الجالسين حوله: **"ها أُمي وإخوتي... لأن مَن يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأُمي"** (مت ١٢: ٤٩و٥٠، مر ٣: ٣٤و٣٥، لو ٨: ٢١).

الله لها حسب الموعد، وهو ابن ثلاث سنوات، كي يخدم الله في الهيكل في شيلوه، قائلة: "لأجل هذا الصبي صلَّيتُ، فأعطاني الرب سؤلي الذي سألته من لدُنْه، **وأنا أيضاً قد أعرته للرب، جميع أيام حياته، هو عاريَّة للرب**" (١صم١: ٢٧و٢٨). ولكن الرب هو وحده بين كل المكرَّسين كان تكريسه كليًّا وكاملاً، بذل فيه نفسه التي لم تخطئ فداءً لكل الخطاة، واهباً خلاصه مجاناً لكل مَن يؤمن. فهو يُقدَّم لا كخادم الله فقط بل كذبيحة فريدة تتحقق فيها ما رمزت إليه كل ذبائح العهد القديم. وإذا كان خروف الفصح القديم قد أنقذ كل أبكار إسرائيل من ضربة الملاك المُهلِك، فإن ذبيحة هذا البكر، ابن الله الوحيد، قد أنقذت كل البشر، كل مَن يؤمن.

والعذراء هنا هي مثال الكنيسة. فإذا كانت مريم قد حملت الطفل يسوع لتقديمه إلى الهيكل مرة واحدة، فإن الكنيسة تحمل جسد المسيح ودمه في الإفخارستيا في كل قدَّاس وتقدِّمهما استحضاراً متجدِّداً لعشاء الرب ليلة آلامه، وإعلاناً وتبشيراً بموت الرب وقيامته إلى أن يجيء .

شهادة سمعان الشيخ

التدبير الإلهي جعل تقديم المسيح إلى الهيكل احتفالياً. فها هو **سمعان الشيخ** "البار التقي الذي ينتظر تعزية إسرائيل"، والذي امتد عمره طويلاً ليرى إشراق النور بعد الظلام الطويل، ولأن **الروح القدس** كان عليه فهو يُقبِل "**بالروح**" إلى الهيكل، ويظل في انتظار دخول المخلِّص. وبعد التطهير والذبح والإحراق ورش الدم، يدنو سمعان من العائلة المقدسة ويطلب أن يحمل الطفل على ذراعيه، وإذ يتحقَّق وعد الله له أن يبقى إلى أن تكتحل عيناه بمرأى مولود العذراء مخلِّص العالم(٥) يُبارك الله

(٥) يذكر التقليد أن سمعان الشيخ كان واحداً من السبعين الذين أسهموا في ترجمة أسفار العهد القديم من العبرية إلى اليونانية. وقد توقَّف سمعان أمام آية إشعياء الشهيرة: "ولكن يُعطيكم السيِّد نفسه آية، ها **العذراء** تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٤)، وخطر له أن الكلمة قد تكون غير ملائمة أو غير مقصودة لذاتها، وأنها ربما كانت الفتاة أو المرأة، ولكن الوحي لم يسمح له بتغيير الكلمة: "**وأوحي له بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب** (مولوداً من عذراء)" (لو ٢: ٢٦)، ويتيقن من صِدق كلمة الله.

ويهتف: "**الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك**" (لو ٢: ٢٥-٣٠).

وقبل أن يمضي سمعان من الهيكل ومن العالم، ترك لنا شهادته الفريدة عن الرب، حتى كان "يوسف وأُمه يتعجبان مِمَّا قيل فيه" (لو٢: ٣٣). فالمسيح هو **الذي به الخلاص** (لو ٢: ٣٠)، وأن هذا الخلاص مُقدَّم **لجميع الشعوب** (لو٢: ٣١)، مُذكِّراً بنبوَّات إشعياء: "**وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم**" (إش٤٢: ٩)، "**فقد جعلتك نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض**" (إش٤٩: ٦)، سواء **الأمم** الذي يصير الرب لها نوراً يُعلَن، أو **إسرائيل** الذي يتمجَّد بأن المخلِّص هو ابن داود (لو ٢: ٣٢).

وكما قال الرب عن نفسه إنه ما جاء ليُلقي سلاماً بل سيفاً (مت١٠: ٣٤) يميز بين فريقين، فسمعان بروح النبوَّة يقول لمريم: "**ها إن هذا قد وُضع لسقوط** (الرافضين) **وقيام كثيرين** (المؤمنين) **في إسرائيل**" (لو ٢: ٣٤). بل إنه أشار **لعلامة ابن الإنسان** (مت ٢٤: ٣٠) دون أن يفصح عنها بغير هذه الكلمات "**لعلامةٍ تُقاوَم**" (لو ٢: ٣٤)، وكيف أن آلام الرب وفداءه ستؤدِّي إلى إعلان أفكار من قلوب كثيرة (سواء مِمَّن سيؤمنون أو مَن سيُقاومون)، وأنها بالنسبة للعذراء الأُم، بالذات، ستكون **سيفاً** يخترق قلبها المُحِب (لو ٢: ٣٥). ولعل العذراء جفلت عند سماع كلمات سمعان الشيخ، ولكنها اختبرت هذه النبوَّة بحجمها الحقيقي يوم الصليب(٦). وهكذا يجمع سمعان في نبوَّاته

(٦) استوحت الكنيسة من نبوءة سمعان هذه الفقرة من قطَع صلوات الساعة التاسعة: "عندما نظرت الوالدة الحَمَل والراعي مخلِّص العالم على الصليب مُعلَّقاً، قالت وهي باكية: أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، **وأما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك** الذي أنت صابر عليه، يا ابني وإلهي".

"**المسيَّا** مخلِّص العالم" و"**الخادم المتألِّم**" الذي تنبَّأ عنه إشعياء (إش ٥٠و٥٢و٥٣).

شهادة حنَّة النبية

حول المسيح اجتمع الشيوخ والرجال والنساء والشباب والأطفال، وجاءت الشهادة له من أنبياء العهد القديم. وفي حفل تقديمه إلى الهيكل تتقدَّم **حنَّة بنت فنوئيل**، التي من سبط أشير، النبية الشيخة التي تجاوزت المائة عام، لكي تُلقي بشهادتها. وهي مؤهَّلة لهذه الشهادة بأنها نبية، وأرملة منذ نحو أربعة وثمانين عاماً، مُلازِمة الهيكل، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً "فهي في تلك الساعة **وقفت تُسبِّح الرب، وتكلَّمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم**" (لو ١: ٣٦-٣٨). ولا شكَّ أن حنَّة قد أدركت بالروح أن مخلِّص العالم قد جاء، ومن هنا وقفت تسبِّح الله. ومع الأتقياء من شعب إسرائيل عابدي الهيكل والمترجِّين ميلاد الفادي، أخذت تتكلَّم عنه. وها هُنَّ النساء، إلى جوار الرجال، يتنبَّأن ويشهدْن عن مخلِّص العالم كله، بيهوده وأُممه، برجاله ونسائه.

شهادتنا

في باكورة عمرنا حملت كلاً منا أُمه، ودخلت بنا إلى حيث جرن المعمودية في الكنيسة، فجحدت الشيطان عنا، ثم سلَّمتنا إلى كاهن الله الذي قام بتعميدنا؛ فانتسبنا بميلادنا الجديد بالروح القدس إلى الله، وبالميرون مُسِحنا فتقدَّسنا، صائرين رعية مع القديسين وأهل بيت الله.

ولكن بعد أن اختبرنا كبالغين حياة الإيمان، فلنذكر في كل مرة ندخل الكنيسة أن نجدِّد عهدنا كمقدَّسين للرب، وراجعين بالتوبة إلى الله كل يوم،

وسائرين في خُطَى المخلِّص حاملين عاره، وقابلين بالفرح شركة آلامه، ومتمتعين بتعزياته، ومبشِّرين العالم بخلاصه.

على أن احتفال الكنيسة بتقديم المسيح إلى الهيكل لا يصحُّ أن يعبُر علينا كأنه فقط تذكار خاص بالمسيح ورسالته الخلاصية، ولكنه يمكن أن يحقِّق غاية ذاتية مجدِّدة للحياة إن انتبهنا إليه **كعيد لكلٍّ منا، نحتفل فيه مع الرب بتكريسنا، تلاميذَ وخدَّاماً لله، وتسليم حياتنا دون تحفُّظ لعمل الروح، لنكون فعلاً وحقاً نوراً للعالم وملحاً للأرض**. وكمؤمنين اختبروا الخلاص وانتُزِع منهم خوف الموت نتطلَّع بالرجاء إلى ساعة استعلان خلاصنا الأخير بالمجيء الثاني للرب ، مستعدِّين كل يوم للخروج من هذا العالم إلى العُرس السماوي. وفي كل صلاة مسائية نهتف مع سمعان مبتهجين: "**الآن... تُطلق عبدك (عبدتك) يا سيد بسلام...**" (إنجيل صلاة النوم، والإنجيل الختامي لصلاة نصف الليل – لو ٢: ٢٩-٣٢).

❊ ❊ ❊

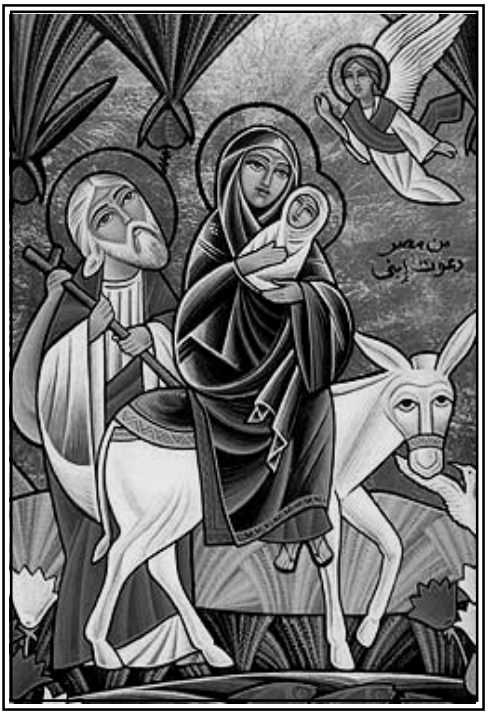

٣

المسيح يبارك أرضنا

+ العائلة المقدسة في مصر

العائلة المقدسة في مصر

لمصر أن تتيه وتزهو بين بلاد العالم، فهي البلد الوحيد الذي زاره الرب طفلاً مع أمه العذراء ويوسف النجار، فاستضافه مرحّباً، كما أن شعبها هو أول الشعوب الأممية التي جاء الرب وبشرها بالخلاص.

وهو قد جاء إلى مصر في الحقيقة لاجئاً من طغيان ملوك ورؤساء كان القتل وسيلتهم السهلة للتعامل مع قضاياهم حتى ولو كان قتل من جاء لخلاصهم.

وهروب العائلة المقدسة من بيت لحم إلى مصر والعودة بعد موت هيرودس سجّله إنجيل معلمنا متى في أعداد قليلة من الأصحاح الثاني (٢:١٣-٢٣)[١] ولكن التقليد والتاريخ وما خلّفته هذه الرحلة وراءها من آثار أضاف

(١) الكنيسة القبطية (المصرية) تقرأ هذا الجزء من الإنجيل، في الأحد الأول من شهر طوبه، الذي يذكر ملابسات الهروب من بيت لحم إلى مصر ثم العودة. ولكنها تحتفل بدخول العائلة المقدسة إلى مصر في ٢٤بشنس (الذي يوافق أول يونيو) بعد رحلة استغرقت أكثر من أربعة شهور.

كثيراً من التفاصيل عن هذه الزيارة المباركة التي فسّرت لماذا قال الوحي قبل قرون "**مبارك شعبي مصر** " (إش١٩:٢٥)، وهي أضافت إلى ما تتمع به مصر من مكانة في الكتاب المقدس، فهي **جنة** "**كجنة الرب كأرض مصر** " (تك١٣:١٠) **ومواطنوها أهل حكمة** " **تهذّب موسى بكل حكمة المصريين** " (أع٧:٢٢).

وقبل أن نتناول بالتفصيل رحلة العائلة المقدسة في ربوع بلادنا، التي انبثقت في كل بقعة زارتها منارة للخلاص وإذاعة الأخبار السارة لعالم يترصده الشر والموت، نعرض لما جاء عن مصر في الكتاب المقدس منذ فجر التاريخ الإنساني وحتى فتحت ذراعيها لاستقبال الرب مع رفاقه القديسين.

مصر في الكتاب المقدس

+ **مصر** (**كيمى** أو **كمت** بالقبطية، ومعناها "الأرض السوداء" بسبب الطمى أو "التوأم" إشارة إلى الوجهين البحرى والقبلى) يشتق اسمها من **مصرايم** أحد أبناء حام الأربعة (كوش – الحبشة – ومصرايم – مصر – وفوط وكنعان) (تك١٠:٦). والمزمور (١٠٥: ٢٣، ٢٧، ٣٨) يشير إلى أن مصر أرض حام "فجاء إسرائيل إلى **مصر** ويعقوب تغرب في **أرض حام**.. أرسل موسى عبده وهرون الذي اختاره أقاما بينهم كلام آياته وعجائب في **أرض حام**.. فرحت **مصر** بخروجهم".

+ وفي بدايات سفر التكوين، يذكر الوحى أن جوعاً حدث في الأرض (حاران وشكيم) "فانحدر ابرام (وسارای ولوط) إلى **مصر** ليتغرب هناك" (تك١٢:١٠)[٢]. وكان هذا أول ذكْر لمصر في الكتاب المقدس، وتبع ذلك ذكر مصر ٥٦٠ مرة في العهد القديم[٣] و٢٤ مرة في العهد الجديد. كما تكرر ذكر "مصري"و "مصرية" و"مصريين" ١٢٠ مرة معظمها في العهد القديم .

---

(٢) من المرجح أن هذا تم فى عهد الملك سنوسرت الثالث (١٩٩١-١٧٧٨ق.م).

(٣) أكثرها فى سفر الخروج (١١١ مرة) يليه سفر التكوين (٧٠ مرة).

+ لم يتوقف مجيء الآباء إلى مصر بعد إبراهيم، وكان أولهم **يوسف** الذي باعه إخوته حسداً إلى قافلة من الإسماعيليين (أبناء إسماعيل) متجهة إلى مصر حيث اشتراه فوطيفار رئيس جند فرعون وانتهى به المطاف إلى السجن ظلماً ولكن الله تمجد به حتى صار أميناً على خزائن مصر ومنقذاً للعالم القديم من المجاعة، وأعطاه فرعون اسماً مصرياً : **صفنات فعنيح** (تك٤١:٣٨-٤٥). وهكذا جاء أيضاً **أخوته ويعقوب أبوه** (وكانت سنّه ١٣٠ سنة) وسكنوا فى أرض جاسان (شرق الدلتا) (تك٤٧: ٦). وبقى **يعقوب** في مصر ١٧ سنة حتى مات، وحنطوه كسائر المصريين وناحوا عليه ٧٠ يوماً منها ٤٠ يوماً استغرقها التحنيط (تك٤٩:٣٣، ٥٠:٢، ٣) وصعد يوسف به ومعه مركبات وفرسان وجيشاً كبيراً إلى عبر الأردن "وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً. وصنع (يوسف) لأبيه مناحة سبعة أيام، فلما رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا هذه مناحة ثقيلة للمصريين لذلك دُعى اسمه **آبِل مِصرايم** الذي في عبر الأردن " (تك٥٠:٧-١١). كما حنط الأطباء المصريون **يوسف** بعد موته (١١٠ سنة) "**ووضع في تابوت في مصر**" (تك٥٠:٢٦). وعند الخروج "أخذ **موسى** عظام **يوسف** معه لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً أن الله سيفتقدكم **فتصعدون عظامي من هنا معكم**" (تك٥٠:٢٥، خر ١٣:١٩).

+ وفي مصر ولد **موسى** وعاش ابناً لابنة فرعون وفيها تم أول فصح للرب الذى كان رمزاً مبكراً للخلاص، وقاد موسى مع **هرون** بني إسرائيل عبر البحر الأحمر وتسلم لوحي الشريعة على جبل سيناء (حوريب) ومات (١٢٠ سنة)

في أرض موآب (تث ٣٤:٥، ٦) ومات قبله أخوه الأكبر هرون (١٢٣ سنة) دون أن يدخلا كنعان (عد٢٠:٢٨، ٢٩، ٣٣: ٣٨، ٣٩).

+ كما عاش في مصر **يشوع بن نون** الذي قاد الشعب الإسرائيلي عند دخوله كنعان بعد وفاة موسى، وأيضاً النبي **دانيال**. ويقال أنه دفن في مصر الأنبياء **أليشع وإرميا وحزقيال ويوحنا المعمدان** (وربما **دانيال** أيضاً)، ويتردد أنه جاءها القديسان **بطرس** (١بط ٥:١٣) **ولوقا** ، وكان مبشرها الأول القديس **مرقس** الذي استشهد على أرض الإسكندرية (٦٨م)، وبشر التلميذان **سمعان القانوني وبرثولماوس** (نثنائيل) جنوب مصر وحملا معهما إنجيل معلمنا متى.

+ يذكر الكتاب مصريين كثيرين لعبوا أدواراً هامة في التاريخ الإنسانى، منهم أكثر من **فرعون** (٤) وأكثر من **ملكة** مصرية، **وإسماعيل** ابن **هاجر** المصرية (تك١٦:١٥) **وفوطيفار** رئيس شرط فرعون (تك٣٩:١)، **وثاوفيلُس** (الذي كتب له القديس لوقا إنجيله وسفر الأعمال)، وشهود العنصرة (أع٢:٣)، **وأبلُّوس السكندري** (أع ١٨:٢٤). فضلاً عن **زوجات مصريات** لعدد من رجال الله: **هاجر زوجة إبراهيم** (تك١٦:٣، ٤)، **وزوجة إسماعيل** (تك٢١:٢١) **وأسنات** بنت فوطى فارع كاهن أون (عين شمس) **زوجة يوسف** (تك ٤١:٤٥) التي أنجبت له مَنسّى وأفرايم (تك٤١:٥٠-٥٢) **[مَنسّى** - ذو الأم المصرية - صار سبطاً بديلاً عن دان (رؤ٧:٦)]، **وصفورة** بنت كاهن مديان **زوجة موسى** (خر٢:٢١)، **وزوجة سليمان** الحكيم ابنة فرعون (القرن ١١ق.م.) (١مل٣:١، ٩:٢٤، ٢أخ ٨:١١).

+ مصر - وباختيار الهي - هي البلد الوحيد الذي زاره الرب مع أمه ويوسف النجار وسار في صحرائه ومدنه وعاش فيه ما يزيد عن ثلاث سنوات

---

(٤) مثل الملك شيشق (شيشنق)- أول ملوك الأسرة ٢٢- الذى استولى على القدس وأخذ خزائن وذهب الهيكل (٩٣٠ق.م) (١مل١٤: ٢٥، ٢٦).

وشرب من ماء نيله وأكل من خبزه وثماره واختلط بشعب مصر وتكلم معهم بالقبطية (وهي اللغة الأخرى التي تكلم بها غير الأرامية التي تكلم بها مع اليهود الذين التقى بهم).

مصر هي إذاً أورشليم الثانية ، حتى أن الحجّاج الأحباش كانوا يزورون الدير المحرق في عودتهم من زيارة القدس.

خط سير الرحلة (يُراجَع على الخريطة ص ٢٧)

سجّل الوحي الإلهي رحلة الرب إلى مصر قبل ثلاثة قرون من بدئها في نبوة **إشعياء** "**وحي من جهة مصر. هوذا الرب راكب على سحابة سريعة (محمولاً على أمه العذراء مريم) وقادم إلى مصر** " (إش١٩:١)، وها نحن نتابع العائلة المقدسة في رحلتها الشاقة من بيت لحم إلى مصر وحتى عودتها إلى الناصرة (٥):

(١) من بيت لحم إلى مصر القديمة

+ بعد ظهور الملاك **ليوسف** (قائد الرحلة) في حلم قائلاً له "**قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه**" (مت٢:١٣)، قام وأخذ يسوع (وعمره سنتان) وأمه (حوالي ١٥ سنة) ليلاً لاجئاً إلى أرض مصر الطيبة. ويقال أنه كان ضمن أفراد الرحلة **سالومة** (مر١٥:٤٠، ١٦:١) (أخت العذراء أم ابني زبدي – مت٢٠:٢٠، ٢٧:٥٦) وربما أيضاً **يوسى** (أخو يعقوب الصغير ابنا مريم الأخرى – مت٢٧:٥٦، مر١٥:٤٠).

+ بدأت العائلة رحلتها إذاً من **بيت لحم إلى أشقلون** (عسقلان) على ساحل البحر المتوسط ثم شرقاً إلى **حبرون** (**الخليل**) ثم عادت إلى البحر عند **غزة**

---

(٥) يُذكر أن **العذراء** ظهرت فى رؤيا **للبابا ثيئوفيلوس** (الثالث والعشرين فى عداد البطاركة) (٣٨٤ – ٤١٢م) ومنها عرف الطريق الذى سلكته العائلة المقدسة وسجّله فى ميمر استند إليه السنكسار القبطى (٢٤بشنس).

(وهي من أقدم عشر مدن باقية في العالم إلى اليوم) إلى **نيسس** (**خـــان يـــونس**) **فالعريش وبيلوزيوم** (**الفرما**) (شمال سيناء) وعبرت المضيق بين **القنطرة** وبحـــيرة المترلة ومنها إلى **أرض جاسان** (محافظة الشرقية الحالية) حيث مـــرت بالمـــدن التالية:

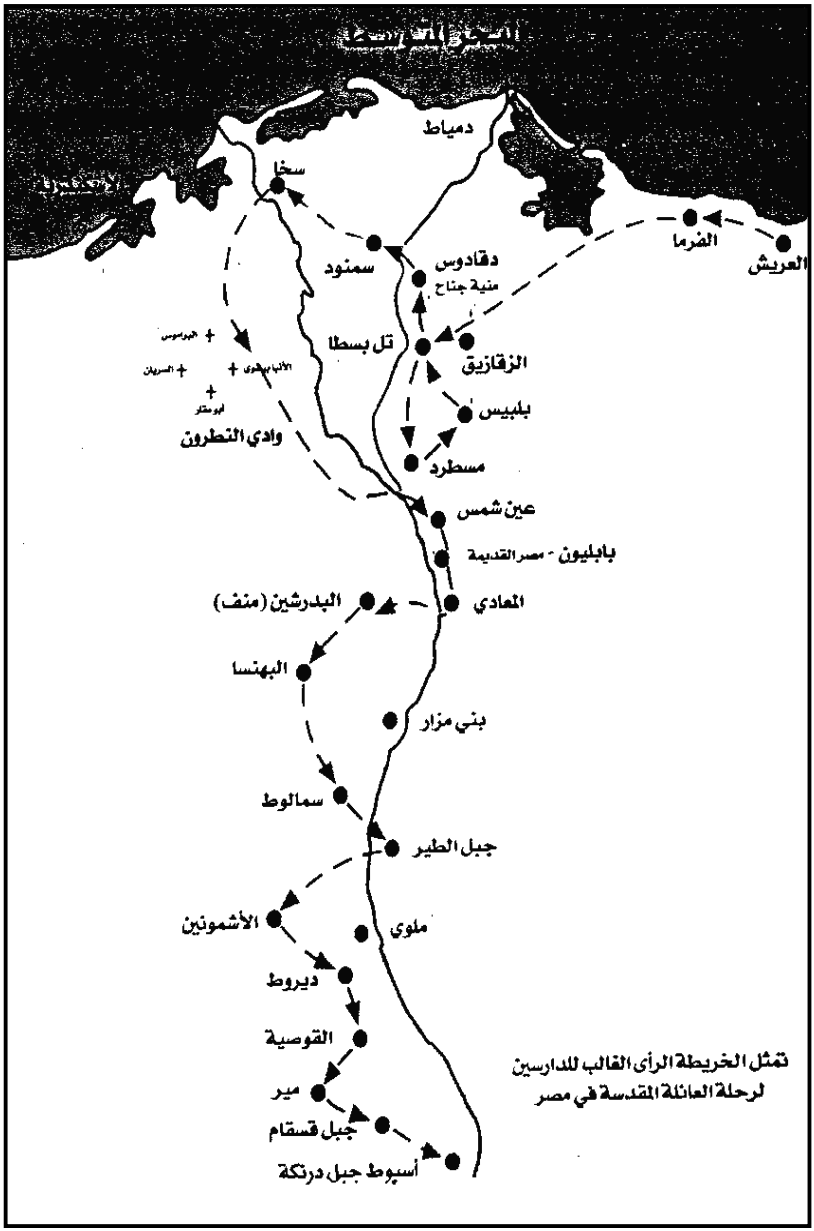

تمثل الخريطة الرأى الغالب للدارسين
لرحلة العائلة المقدسة في مصر

بسطة أو فيبستة (حز٣٠: ١٧) (**تل بسطا**)[٦] القريبة من الزقازيق، واتجهت جنوباً إلى **المحمّة** (مسطرد) ثم راجعة شمالاً إلى **بلبيس** (وبها شجرة تعرف باسم **شجرة العذراء مريم** استظلت بها العائلة المقدسة)، ومن بلاد الدقهلية مروا في **دقادوس** (وهي تحريف لكلمة **ثيئوطوكوس** أي أم الإله)، مركز ميت غمر، والتي تحتوي كنيستها على أيقونة قديمة للعذراء، ثم عبرت فرع النيل إلى **سمنود**[٧] (التي خرج منها ملوك مصريون والكاهن المؤرخ مانيتون في القرن الثالث قبل الميلاد)، ومنها اتجهت العائلة إلى **سخا** (جنوب كفر الشيخ) وأصل الاسم : **إيسوس خا** أي كعب يسوع وكانت تحوي حجراً يقال أنه يحمل أثر قدم الطفل يسوع.

+ بعد ذلك عبرت العائلة المقدسة فرع رشيد غرباً إلى **وادى النطرون** ، الذي بعد أقل من أربعة قرون من الزيارة تأسست فيه أديرة أربعة (على الأقل) يهتف سكانها الرهبان باسم الرب واسم أمه العذراء آناء الليل وأطراف النهار هي أديرة العذراء (السريان) وأنبا بيشوى والبراموس (مكسيموس ودوماديوس) وأنبا مقار.

+ ومن وادي النطرون اتجهت العائلة جنوباً بشرق إلى **أون** (**عين شمس**)[٨] (والتي نشأت بجوارها أوائل القرن العشرين **هليوبوليس** مدينة الشمس العصرية)، **والمطرية** (التي تضم شجرة مريم والبئر التي كانت تشرب منها

---

(٦) سقطت أوثان تل بسطا (ومدن أخرى كثيرة) عندما مروا بها تحقيقاً لنبوءة إشعياء "هوذا الرب قادم إلى مصر **فترتجف أوثان مصر من وجهه** ويذوب قلب مصر داخلها" (إش١٩: ١)، كما انبثق فيها نبع ماء بيد يسوع الطفل.

(٧) كنيسة القديس أبانوب الحالية **بسمنود** بُنيت على آثار كنيسة قديمة باسم العذراء مريم بجوار بئر استخدمتها العائلة المقدسة.

(٨) تتعلق بها نبوة إشعياء "في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود يقال لإحداها **مدينة الشمس**" (أش١٩: ١٨) وهي عين شمس التي استقبلت السيد المسيح شمس البر.

العائلة المقدسة وكان حولها سبعة أفدنة مزروعة من البلسم (البلسان)، وكان يحج إليها شعوب العالم إلى أن منع إبراهيم باشا – ابن محمد على – الزيارة، ولكن في العقود الأخيرة تم تحديد المكان وأصبح مزاراً للمؤمنين والسائحين.ويقال إن العائلة المقدسة مرت بهذه المنطقة مجدداً فى طريق عودتها إلى الناصرة.

+ وفي اقتراب العائلة المقدسة من وسط مصر مرت أو أقامت في مناطق مختلفة منها **حي الزيتون وحارة زويلة (بالغورية) والدرب الواسع** (من شارع كلوت بك) (وفيه الكنيسة المرقسية والدار البطريركية حتى نياحة البابا كيرلس السادس) ومنطقة **أبو الريش** ومنها إلى **مصر القديمة (الفسطاط) وبابلون (بابليون)** (وفيها كنيسة للعذراء)، وسكنت في مغارة تضمها حالياً كنيسة القديس سرجيوس الشهير **بأبي سرجة** (إحدى أقدم الكنائس في مصر والعالم، وقد وُضع مذبحها الخشبى العريق بالمتحف القبطى). وترجّح بعض المصادر أن إقامة العائلة المقدسة فى هذه المنطقة كانت عند عودتها إلى الناصرة وليس عند دخولها إلى مصر.

(ب) من مصر القديمة إلى مصر العليا

+ من حي **مصر القديمة** سارت العائلة المقدسة في اتجاه **المعادي** (وربما كان تحركها الكثير وعدم استقرارها طويلاً في منطقة بعينها محاولة للهرب من المطاردة وإخفاء آثارها) وعبرت النيل في مركب عند النقطة التي أقيمت عندها فيما بعد كنيسة العذراء الحالية على كورنيش النيل. وقبل سنين جاء طافياً على صفحة النيل حتى جدار الكنيسة الكتاب المقدس مفتوحاً على الأصحاح التاسع عشر من سفر إشعياء الذي يضم النبوات الخاصة فيما نحن بصدده. وعلى الضفة المقابلة من النيل مرت العائلة المقدسة في منطقة **منف** القديمة (ممفيس)

والتي شملت **البدرشين والحوامدية وأم خنان وطمّوه** (التي ضّمت ديراً فيما بعد) **وميت رهينة** وما حولها.

+ بعدها استقلت العائلة مركباً أبحر في النيل جنوباً إلى **هيراكليوبوليس** (**اهناسيا** في بني سويف) **فالبهنسا** (التابعة حالياً لمركز **بنى مزار** بمحافظة المنيا) ثم إلى قرية **دير الجرنوس** (غرب مغاغة)، ثم عبرت النيل شرقاً إلى منطقة **جبل الطير** (شرق سمالوط، وبها حالياً دير باسم السيدة العذراء) ثم جنوباً إلى منطقة **هرموبوليس** (**الأشمونين**، وكان أسقفها المؤرخ ابن المقفع في القرن العاشر) ثم أنصنا [٩] (أمام مدينة ملوى وبها الآن **دير أبي فانا والبرشا**)، ثم جنوباً إلى **فيليس** (ديروط الشريف حالياً) ثم **قرية قسقام** (وكانت تسمى القوصية – قوصت – وهي غير القوصية الحالية) وقرية **ميره** (مير) ثم **جبل قسقام** (حيث دير العذراء الشهير **بالدير المحرق** الذي أسسه رهبان القديس باخوميوس).

والنبوة القديمة : "في ذلك اليوم يكون **مذبح للرب في وسط أرض مصر** (الدير المحرق) **وعمود للرب عند تخمها** (القديس مرقس) " (إش١٩:١٩) تحققت في كنيسة العذراء الأثرية بالجانب الغربى من **الدير المحرق** حيث أقامت العائلة المقدسة ستة أشهر وعشرة أيام، والتي يقصدها المؤمنون والسائحون من مختلف أنحاء العالم باعتبارها الكنيسة التي دشّنها الرب بنفسه. وفي الكنيسة مذبح حجري بُني على حَجَر نام عليه الطفل يسوع حوالي مائتي يوم ويُصلَّى عليه قداس يومي باللغة القبطية.

+ ثم انتقلت العائلة جنوباً (ربما عندما بدأت العودة إلى الوطن) إلى جبل **درنكة** (غرب أسيوط الحالية) – أقصى نقطة بلغتها العائلة المقدسة في جنوب

---

[٩] كان **إريانوس** والى انصنا فيما بعد متفرداً في قسوته وشراسته في مقاومة الإيمان المسيحي واستشهد على يديه الآلاف من الذين قبلوا الإيمان ولكنه تبع الرب في النهاية ونال هو أيضاً إكليل الشهادة.

مصر – حيث تأسس في مغارة شاسعة داخل الجبل دير للعذراء، يحوي العديد من الكنائس وبيوت الخلوة، حيث يأتي الآلاف لنيل البركة في صوم العذراء وعيدها.

+ وربما يقال كيف استطاعت العائلة المقدسة تغطية نفقاتها خلال الرحلة والإقامة. والإجابة التي تُذكر هنا أن مصدر الإنفاق كان الذهب الذي قدمه المجوس للطفل الإله. كما أنه من المقبول أن يوسف استمر في عمله نجاراً كلما استقر في أحد المواقع.

(جـ) العودة إلى الناصرة

+ ارتبط توقيت عودة العائلة المقدسة إلى أرض إسرائيل بموت هيرودس، حيث ظهر ملاك الرب من جديد في حلم ليوسف في مصر قائلاً : "**قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل**" (مت٢: ١٩-٢١).

+ كان يسوع قد بلغ حوالي الخامسة من عمره بعد أن جاء مصر رضيعاً محمولاً على ذراعي أمه العذراء، فبعد أكثر من ثلاث سنوات ابتعدوا فيها عن وطنهم عاد أفراد العائلة المقدسة براً من نفس الطريق مستخدمين الدواب، ولاشك أن الأمر استغرق شهوراً إلى أن دخلوا فلسطين، ومن المتوقع أن يكونوا قد مروا من جديد على بعض المواقع التي كانوا قد زاروها من قبل في طريق عودتهم.

+ على أن يوسف توجّس الشر عندما سمع أن **أرخيلاوس** (أي رئيس الشعب) صار ملكاً على اليهودية بعد هيرودس أبيه، فلم يستقر في اليهودية التي بدأ منها رحلته الطويلة للنجاة. وبإرشاد الملاك الذي ظهر له في حلم جديد اتجه شمالاً إلى نواحي الجليل "**وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً**" (مت ٢: ٢٢، ٢٣).

+ وبالرجوع إلى النبوات نجد أن عودة المسيح إلى أرض إسرائيل من مصر بعد سنوات من اللجوء إليها تسجلها نبوة **هوشع**، وهو أحد أنبياء السبي، والتي تقول "**لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني**" (هو١١:١، مت ٢:١٥) فالمسيح هو إسرائيل الجديد الذي يخرج من مصر (وهي ملجأ السلام هذه المرة) إلى أرض الآباء ويكون "الموعد" هذه المرة هو صليب الجلجثة الذي تمم بقيامة الرب الخلاص.

العذراء تعود لزيارة مصر

الكنائس والأديرة التي تحمل اسم **العذراء مريم** في مصر أكثر من أن تحصى. وموقعها الأثير في الطقس الكنسي والتشفع باسمها عند ابنها، ومدائحها في أفواه المرتلين والمؤمنين جوانب أصيلة في حياة الكنيسة. فالعائلة المقدسة وإن غادرت مصر بعد بعض الوقت ظلت في عقول وقلوب الكنيسة والمؤمنين.

على أن **العذراء** عادت من جديد لزيارة مصر عندما ظهرت ببهاء فوق قباب كنيستها بالزيتون بدءاً من ١٩٦٨/٤/٢ وكان ظهورها عامًّا للآلاف ولشهور طويلة تجاوزت العام وصاحب ظهورها معجزات الشفاء الكثيرة وأثارت موجات من التوبة والنهضة الروحية كما عزّت قلوب المصريين الذين كان قد أرهقتهم نكسة ١٩٦٧ وساندت آمالهم في تجاوز آثارها وهو ما تحقق بعد سنوات قليلة. كما توالى الظهور في فترات تالية آخرها كان في ٢٠٠٩ في منطقة الوراق.

ما وراء الهروب من بيت لحم إلى مصر

لو تجاوزنا أمور الرحلة ذاتها دخولاً إلى مصر وخروجاً منها إلى ما أحاط بها من ملابسات فإنه يجدر بنا الإشارة إلى مايلي :

(١) أن مسلسل آلام الرب لم يبدأ فقط أثناء خدمته آخذاً في التصاعد حتى بلغ مداه عند الجلجثة وفوق الصليب، وإنما قد بدأ منذ ميلاده حيث لم يكن له موضع في المترل و لم يُتح له إلا مذود الخراف المعّدة مثله للذبح (لو٢:٧). و لم يستقر به المقام طويلاً كرضيع يحتاج إلى عناية خاصة إلا أن الظروف تضطره وأمه كى يعبرا القفار فى مسيرة شاقة هرباً من التهديد بالقتل متجهيْن إلى مصر ويظلاّن تحت المطاردة، فليس غريباً أن يُقال **إن الرب قد ولد مصلوباً**، وفى احتمال الآلام يظل الرب عوناً وعزاء لكل المتألمين " **لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين**" (عب٢: ١٨).

(٢) بينما استطاع الطفل يسوع وأمه العذراء القديسة الهروب تحت جنح الظلام إلى خارج دائرة الخطر، سقط حوالى ٣٠ طفلاً (يتراوح سن كل منهم بين سنتين فأقل) ضحايا القسوة والاستبداد والضعف البشرى، على توقّع أن يكون الرب واحداً منهم، مما أعاد إلى الأذهان نبوة إرميا " **صوت سُمع فى الرامة نوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين**" (إر٣١: ١٥، مت ٢: ١٨). ولكن هؤلاء يظلون شهداء من أجل المسيح كسائر شهداء الإيمان ونصيبهم أن يمسح الله كل دمعة من عيونهم وأن يكونوا حول العرش مثلهم، وهكذا سجَّل الكتاب صراخهم " **حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض.فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً وقيل لهم أن يستريحوا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدين أن يُقتلوا مثلهم**" (رؤ٦: ١٠، ١١).

(٣) إن خطة الله فى مواجهة عنف هيرودس، الذى زلزل دعائمه مجىء المخلص، كانت هى تفادى مواجهة الشر قبل الأوان، وهذا يحثنا أن نهرب من الشر والأشرار إلى الله، فالهروب هنا قوة لأنه تعبير عن طاعة المؤمن لله ووصيته وثقته فى صدق وعوده وكمال تدبيره متجاوزاً ذاته واهتمامه بالضعف. ويحضرنا هنا مثال **يوسف** الشاب الذى لما حوصر بالشر من امرأة سيده لم يبرر أو يناور

وانطلق هارباً دون أن يحسب حساب العواقب وكان قانونه " **كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله**" (تك٣٩: ٩-١٣).

ولكن الرب الذى هرب من الشر لم يهرب من الموت، ومثله كل شهداء الإيمان على مدى العصور، الذين لما جاء وقت الشهادة لم يهربوا وإنما واجهوا جلاديهم معلنين إيمانهم بالدم حباً فى سيدهم الذى أحبهم أولاً حتى الموت. فالهروب هنا إنكار للإيمان وخاتمة تعسة للحياة.

(٤) نعم، هناك مواقف يصير الهروب فيها نكسة روحية وخيانة لمبادئ المسيح. فلا يليق أن نهرب من صوت الله (الذى يأتينا أساساً فى كلمة الإنجيل)، كما فعل يونان (يون١: ٣)، ولا أن نهرب من شكوى ضمائرنا وتأنيبها (رو٢:١٥) وإسكات صوتها (الذى هو صوت الروح)، كما فعل يهوذا الذى بدل أن يتوب ويرجع مضى وشنق نفسه (مت ٢٧: ٣-١٠، أع١: ١٨)، ولا أن نهرب من أداء الواجب والمسئولية التى ألقيت على عاتقنا كخدام أو آباء أو أمهات أو عاملين فى أى موقع، ولا أن نهرب من الضيقة أو الاضطهاد من أجل المسيح فتفاديهما يصير تخلياً عن الصليب وإنكاراً للإيمان.

" **مبارك شعبى مصر**" و" **من مصر دعوت ابنى**" و" **مذبح للرب فى وسط أرض مصر**" هذه نبوءات ثلاث تحققت بزيارة السيد لديارنا وعودته منها إلى الناصرة.

فلنبق جديرين بهذه النعمة التى فاضت علينا بحياتنا فى الإيمان وفخرنا بالانتماء إلى أرض انتمى إليها الرب **والتمس فيها النجاة من الأشرار، وليبق قلبُنا وبيتُنا مستقَّراً دائماً لسكنى الرب.**

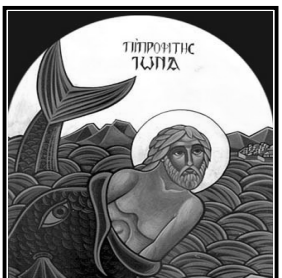

صوم نينوى

+ الكنيسة وصوم نينوى
+ أعظم من يونان

الكنيسة وصوم نينوى

التفتت الكنيسة مبكراً إلى هذا الحدث فى تاريخ العلاقة بين الله والإنسان، وكيف أن الله أظهر حدبه وحبه لكل الشعوب التى جبلها، وضِمْنها تلك التى لا تعرفه أو تؤمن به كشعب **نينوى** [1] العراقى (آشور)، وأرسل لهم نبيّه **يونان** الذى حاول فى البداية أن يتفادى هذه المهمة لعدم اقتناعه بأن هذا الشعب الأممى غير المؤمن يستحق هذا الاهتمام الإلهى.. وكيف مضت الأحداث حسب خطة الله بأن توشك السفينة المتجهة إلى ترشيش[2]، التى استقلها يونان للهروب من وجه الرب، على الغرق، ثم كيف صرخ ركاب السفينة كلٌ

(١) **نينوى** كانت قديماً مدينة عظيمة، وعاصمة مملكة **آشور** (العراق) الأممية، وهى تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة شمال العراق. وهى اليوم ضمن مدينة **الموصل**، التى تبعد ٤٠٠ كيلو متراً عن بغداد. وقد ازدهرت ما بين القرنين الثالث عشر والسابع قبل الميلاد. ولكن بدءاً من أواسط القرن السابع أخذت فى التقهقر والانحلال حيث حاصرها ملوك مادى وفارس (٧٢٢ق.م.) ودمّرها البابليون سنة ٦١٢ق.م.، أى بعد حوالى قرن أو أكثر من صوم نينوى (وقد تنبأ بخرابها ناحوم النبى، وهو موضوع السفر كله). وفى السبعينات من القرن الماضى أحيت **العراق** اسم نينوى من جديد فأطلقته على محافظة الموصل.

(٢) يقال إنها اليوم مدينة **قرطاجنة**، وتسمى الآن بالإسبانية (كرتهنة) بمقاطعة مرسية جنوب **أسبانيا**.

إلى إلهه للنجاة من العاصفة، ولما اقترعوا وقعت القرعة على يونان الذى طلب إلقاءه فى البحر. ولكن الله أعدّ حوتاً[٣] لكى يلتقط يونان، **وبقى يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال** قذفه بعدها إلى البر.

وسار يونان إلى نينوى معلناً إنذار الله لها إن لم تتب "**فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم**".. بل أن **الملك** "**قام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد**" وأمر قائلاً : "**لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً. لا ترع ولا تشرب ماء وليتغطّ بمسوح الناس والبهائم ويصرخوا إلى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك. فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله عن الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه**" (يون٣ : ٥ – ١٠).

وجدت الكنيسة فى صوم أهل نينوى حديثى الإيمان : فى سرعة استجابتهم لنداء التوبة وجديتهم ونسكهم وتذللهم، بداية من الملك مروراً

---

(٣) الحيتان من الحيوانات الثديية (أى التى تلد وترضع صغارها وتتنفس الهواء الجوى)، وهى أكبر الفقاريات حجماً، وقد يبلغ طول الواحد منها ٢٥ متراً للذكر و٣٥ متراً للأنثى ويزن ٢٠٠ طن. والنوع الذى يحتمل أن يكون قد ابتلع يونان ينتمى إلى مجموعة الحيتان عديمة الأسنان والتى تحتوى على جانبى التجويف الفمى صفائح رقيقة Baleen تتدلى من الفك العلوى وتكوّن شبكة عند انطباق الفم لترشيح الكائنات البحرية الصغيرة من الماء الذى يطرد إلى الخارج. والتجويف الفمى واسع بمقدار يسمح بابتلاع الإنسان. ولكنه أمر معجزى أن يبقى يونان حياً تحت هذه الظروف غير المواتية التى وصفها يونان فى صلاته من جوف الحوت "**صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى. لأنك طرحتنى فى العمق فى قلب البحار. فأحاط بى نهر. جازت فوقى جميع تياراتك ولججك.. قد اكتنفتنى مياه إلى النفس. أحاط بى غمر. التفّ عشب البحر برأسى.. مغاليق الأرض على إلى الأبد**" فالله الذى أعد الحوت العظيم ليبتلع يونان، وبعد أيام ثلاثة وليال ثلاث يأمر الحوت فيقذف يونان إلى البر (إشارة إلى موت الرب وقيامته التى ستتم بعد أكثر من سبعة قرون) هو الذى رعى يونان وحفظ له حياته فى جوف الحوت "**دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى.. أصعدت من الوهدة حياتى أيها الرب إلهى.. أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك أوفى بما نذرته. للرب الخلاص**" (يون ٢ : ٢ – ٩).

بالشعب وحتى البهائم والبقر والغنم، **نموذجاً يحتذى للصوم الجماعى والتوبة الجماعية** التى شملت الآلاف، خاصة أن الرب قد مدحهم فى معرض توبيخه لليهود الذين رفضوا دعوته قائلاً: "**رجال نينوى سيقومون فى الدين** مع **هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان**" (مت ١٢ : ٤١). فهؤلاء قبلوا دعوة يونان كالأرض الجيدة العطشى، ولم يبرروا أنفسهم بل آمنوا وتابوا، بينما لم ينصت أكثر اليهود لمن هو أعظم من يونان بما لا يقاس.

من هنا فقد استحيت الكنيسة السريانية (٤) هذا الصوم فى أوقات الشدة، كما فعل أهل نينوى، وعنها مارسته الكنيسة القبطية منذ أواخر القرن العاشر فى عهد بطريركها السريانى **الأنبا ابرآم بن زرعه**. وبإلهام الروح جعلت موقعه (كما هو فى الكنيسة السريانية) سابقاً لبداية الصوم الكبير (أسبوع الاستعداد) بأسبوعين. وهكذا صار **صوم نينوى** (أو ما يسمى تجاوزاً **صوم يونان**) تمهيداً مبكراً **للصوم الكبير** أقدس أصوام الكنيسة، الذى صامه عنا رب المجد قبل بدء خدمته وقبل تجربته من إبليس. بل أن الكنيسة القبطية تستخدم فى قداسات

---

(٤) هذا الصوم قديم جداً، وفى بعض ميامر مارأفرام السريانى (٣٧٣م) أنه كان معروفاً فى الكنيسة السريانية منذ القرن الرابع، وكان يصام فقط فى وقت الشدائد ولستة أيام. وإن كانت أقدم المعلومات المؤثّقة تشير إلى أن أول من صامه هم مؤمنو نينوى العراقية استمطاراً لمراحم الله عندما اجتاح وباء الطاعون بلاد العراق وفارس. ودعا إليه **مار ماروثا مفريان تكريت** (٦٤٩م) مركز كنيسة المشرق التى تتبع كرسى انطاكية الأرثوذكسى، وانتشر بعد ذلك فى سائر الكنيسة الإنطاكية شرقاً وغرباً. ولما تم تقنينه صار لثلاثة أيام.

وقد أصبح هذا الصوم ضمن أصوام الكنيسة القبطية فى أواخر القرن العاشر فى عهد **البطريرك السكندرى الأنبا ابرآم بن زرعة** (السريانى) (٩٧٥م) [وفى المقابل أخذت الكنيسة السريانية الأنطاكية من أصوام الكنيسة القبطية أسبوع الاستعداد السابق على بدء الصوم الأربعينى].. كما انتقل هذا الصوم أيضاً (وإنما لخمسة أيام) إلى الكنيسة الأرمينية وغيرها من الكنائس.

ورغم جذوره السريانية فإن صوم نينوى صار فى الكنيسة القبطية من أكثر الأصوام قبولاً وشعبية، حتى أن البعض يصومونه بنسك ربما يتجاوز ما يمارسونه فى الصوم الكبير، وتمتد فيه القداسات إلى قرب الغروب.

صوم نينوى طقس الصوم الكبير من ناحية مدة الصوم ونوع الطعام، وقراءة النبوات والسجدات، والألحان وصلاة القسمة التى تذكر فيها "**الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما أهل نينوى فرحمهم الله وغفر لهم خطاياهم ورفع غضبه عنهم**". كما تسمى فطر صوم يونان : **فصح يونان**، كما يلى **عيد الفصح** (**القيامة**) الصوم الكبير.

وقد جعلت الكنيسة **صوم نينوى** ثلاثة أيام، رغم أن سفر يونان لم يوضح مدة صوم أهل نينوى، ولكن الكنيسة مزجت مع هذا الصوم ما اجتازه **يونان** من بقائه (صائماً) فى جوف الحوت لثلاثة أيام وثلاث ليال كإعلان مبكر عن بقاء المسيح فى القبر بعد موته هذه الفترة، وما اعتبره الرب آية تقدم لمن سألوه آية وقت خدمته (مت ١٢ : ٣٨ - ٤٠، ١٦ : ٤).

هكذا يتحقق أكثر من هدف: التمهيد للصوم الكبير بصوم أشار إليه الرب. فصوم نينوى النسكى يهيئ النفس المؤمنة للاستعداد لتاج الأصوام الكنسية، أو كما يسمونه "**ربيع الحياة الروحية**"؛ كما أن صوم نينوى مثلث الأيام يحتوى هذه الإشارة عن موت الرب ونزوله إلى قلب الأرض الأيام التى قضاها يونان فى بطن الحوت والتى تكّللت بالقيامة المنتصرة التى تحتفل بها الكنيسة فى أعقاب الصوم الكبير وأسبوع الآلام.

فإذا شئنا أن ننال بركات هذا الصوم ونحقق هدف الكنيسة من موقع هذا الصوم مرتبطاً بالصوم الكبير وسابقاً له، فلنلتفت إلى ما يلى :

+ هذا ليس صوم أهل نينوى كما كان **ولكنه صار صومنا نحن الآن**، فلنأخذ من هذا الشعب - الذى لم يكن يعرف الله ولكنه قبل الدعوة إلى الإيمان وتاب عن بكرة أبيه - جديته وصرامته ونسكه والتصاقه بالتراب كى ننال رحمة الله وغفرانه.

+ ليكن صومنا مع أهل نينوى تأكيداً لإيماننا بدوام محبة الله لنا: "**محبة أبدية أحببتُك من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة**" (إر ٣١: ٣)، وأننا لا نترجَّى في خلاصنا غير دم ابنه ورحمته التي وسعت كل قصورنا ونقصنا بغير حدود.

+ إن هذه الأيام الثلاثة، التى تستخدم الكنيسة فى صلواتها وقداساتها طقس الصوم الكبير، هى استعداد مبكر وتهيّوء مطلوب للدخول إلى ساحة **الصوم الأربعينى** لنشارك فيه رب المجد الذى صامه لأجلنا. فنحن إذ نصوم صوم نينوى نضع عيوننا على العمل الخلاصى لإلهنا، الذى نحتفى به بعد فترة قصيرة تبدأ بالصوم الأربعينى وتنتهى بأسبوع الآلام والصليب والموت والقيامة.

+ إنه بقدر انسكابنا قدام الله وتضرعنا، ومقاومة أهوائنا، ولهجنا فى كلمة الله، وتواتر توبتنا واعترافنا، واشتراكنا فى الجسد والدم الأقدسين، وخدمتنا وعطائنا، وتطلعنا إلى الأبدية، خلال أيام الصوم، سواء أيامه الثلاثة التمهيدية أو أسبوع الاستعداد أو الأربعين المقدسة أو أسبوع الآلام، بقدر السلام والفرح والنصرة والقوة التى ننعم بها والتى تكللها قيامة الرب وهى عربون قيامتنا هنا وهناك.

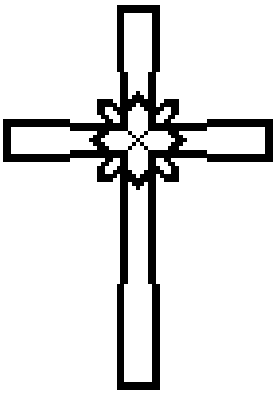

أعظم من يونان

نينوى ويونان [1]، اسمان يستدعي كل منهما الآخر، حتى أنه رغم انتساب هذا الصوم مثلث الأيام إلى "**نينوى**"، باعتبار أن شعبها هو الذي صامه؛ فإن المؤمنين ينسبون هذا الصوم إلى "**يونان**" أيضاً باعتباره النبي الذي بشَّر أهل نينوى وأنذرهم وحثَّهم على التوبة فآمنوا وغفر الله لهم خطاياهم ورفع غضبه عنهم، وظلت قصة صومهم حتى بعد أكثر من اثني عشر قرناً نموذجاً يُحتذى في الصوم المثالي.

يونان في العهد القديم

المرجع الأول في العهد القديم عن **يونان** (ومعنى الاسم في اللغتين العبرية والسريانية: حمامة)، هو الإشارة القصيرة المذكورة في سفر الملوك الثاني

(١) من الجدير بالملاحظة هنا أن كلمتي نينوى ويونان تتفقان في العربية في كل حروفهما عدا حرف واحد (هو الألف في "يونان"، ويُقابلها ياء في "نينوى")، كما أن حروف أي منهما عكس حروف الأخرى.

(٢مل ١٤: ٢٣-٢٧) وتتضمن أنه ابن أمتَّاي الذي مـــــن جتِّ حافر (القريبة من الناصرة)، وأنه تنبَّأ في عهد يربعام بن يوآش ملك إسرائيل (٧٩٣-٧٥٣ق.م).

أما المرجع الرئيسي عن **يونان** فهو سِفْره القصير (٤ أصحاحات تضم ٤٨ عدداً) الذي يعرض بأمانة دعوة الله له كي يُنادي بالتوبة لشعب نينوىالأممي عدو إسرائيل، ولكنه تهرّب من هذه المهمة واستقل من يافا سفينة متجهة غرباً في البحر المتوسط إلى ترشيش، فكانت العاصفة التي هددت السفينة بالغرق، وما تبع ذلك من إلقاء يونان في البحر ليلتقطه حوت يبقى فيه ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يقذفه بعدها إلى البر، وصاغراً يمضي لتنفيذ أمر الله مبشِّراً أهل نينوى الذين استجابوا للدعوة وصاموا ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم فصفح الله عنهم.(٢)

وجاء في التلمود أن **يـــونان** هـــو ابن أرملة صرفة صيدا (صيدون) الذي أقامه إيليا النبي من الموت (١مل ١٧: ٢١و٢٢).

يونان في العهد الجديد

رغم التاريخ القصير **ليونان** في العهد القديم إلاَّ أن ما مرَّ به من مواقف، سواء ابتلاع الحوت له وبقاؤه في جوفه أو بشارته لشعب نينوى التي أتت ثمارها إيماناً وتوبة منسحقة وإنقاذاً من الهلاك، جعلته في قلب أحداث العهد الجديد. فالله قد اختاره ليكون رمزاً للمسيح لينضم إلى مَن تمَّ اختيارهم من آباء العهد القديم ليخدموا هذه الغاية: هابيل، وملكي صادق، وإسحق، ويوسف، وموسى، ويشوع، وغيرهم.

وبينما لم يأتِ ذكر **يونان** في كل أسفار العهد الجديد التالية للبشائر الأربع، إلاَّ أن الربَ هو الذي ألقى الضوء على دور يونان، وأن ما اجتازه من اختبار عنيف حمله إلى بطن الحوت، هو الآية التي صاغها التدبير الإلهي قبل

(٢) راجع المقال السابق في هذا الفصل "**الكنيسة وصوم نينوى**" (ص ٣٦)

قرون، حيث تضافر هروب يونان وثورة العاصفة والحوت العظيم لتأكيد صِدْق إرسالية الرب المخلِّص، فيقول رداً على مَن طلبوا منه آية: **"جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطَى له آية إلاَّ آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ"** (مت ١٢: ٣٩و٤٠؛ لو ١١: ٢٩و٣٠)؛ إشارة مُسبقة عمَّا سيحدث للرب من موت وقيامة بعد نفس المدة.

والرب عندما قال هذه الكلمات لم يكن يربط بين حدثين وقعا بالفعل، وإنما بين حدث وقع قبل قرون مضت، ويعرفه اليهود ورؤساؤهم، وحدث هو يعرف بعلمه السابق أنه سوف يقع فيما بعد. فهو يضع كلماته في الامتحان، وعلى المشكِّكين فقط أن ينتظروا ليروا. **ولو لم يكن يعرف الماضي والمستقبل لَمَا التفت إلى حادثة يونان في العهد القديم ولجرَّدها من أي بُعْد رمزي يتعلَّق بالخلاص.** فكما خرج يونان حيًّا من بطن الحوت، ستكون قيامة المسيح بعد أيام القبر الثلاثة ولياليه الثلاث شهادة على صدق رسالته وأقواله وعلى إتمام نبوَّات العهد القديم فيه. وعلى المقاومين في كل زمان إذا شاءوا الاحتكام إلى الحق والخضوع له أن يُقارنوا الحدث الرمز القديم بالحقيقة الساطعة التي أشار الرب إلى أنها ستتم وتَّمت بالفعل وسجَّلتها كلمة الله التي لا تكذب.

ومن ناحية أخرى، فإن موت الرب وبقاءه في القبر لثلاثة أيام هو شهادة إلهية على صدق حادثة يونان بكل ملابساتها المثيرة، وصدق كلمة الله.

كما ذكر الرب **يونان** مرة أخرى من زاوية ثانية هي أن أهل نينوى الذين تابوا بكرازة يونان سيدينون جيل اليهود الذين عاصروا المسيح و لم يقبلوا دعوته للتوبة والإيمان به كمخلِّص: **"رجال نينوى سيقومون في الدِّين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان"** (مت ١٢: ٤١، لو ١١: ٣٢).

المسيح ويونان

في ختام كلماته السابقة يشير الرب إلى أنه إذا كان ليونان دور في

الشهادة لصدق رسالته وكرازته وعمله الخلاصي فإنهما ليسا ندَّيْن، لأن المسيح أعظم من يونان بما لا يُقاس **"وهوذا أعظم من يونان ههنا**(٣)" (مت١٢: ٤١، لو١١: ٣٢).

والمسيح أعظم من يونان بمقدار ما أن السيد أعظم من العبد (يو ١٣: ١٦، ١٥: ٢٠)، والمعلم أعظم من التلميذ، والمُرسِل أعظم من الرسول (يو ١٣: ١٦)، ورب الهيكل أعظم من الهيكل (مت ١٢: ٦)، وباني البيت أعظم من البيت (عب ٣:٣). وإذا كان يونان نبيًّا، فالمسيح هو الرب من السماء (١كو ١٥: ٤٧).

كما أن **المسيح أعظم من يونان** من جهة خدمة كل منهما وحياته:

فيونان عنصري متعصِّب لبني جنسه، كاره لتوبة الآخرين من الأمم. وقد أسعده أن الله مزمع أن يُدمِّر نينوى ويُعاقب أهلها أعداء إسرائيل لتصاعُد شرهم. وأزعجه اهتمام الله برجوعهم وتوبتهم، وتجاهَل أمر الله له بالذهاب إليهم وإنذارهم، وبدلاً من ذلك خطط **"ليهرب من وجه الرب"** (يون ١: ٣). ونزل إلى قاع السفينة واجتهد أن ينام **"نوماً ثقيلاً"** إمعاناً في الهرب من صوت الله في داخله، ناسياً قول المزمور: "أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب"(مز١٣٩: ٧).

وحتى بعد أن مرَّ بالاختبار المرّ بهياج البحر والسقوط في جوف الحوت، وإذعانه لأمر الرب وتوجُّهه إلى أهل نينوى الذين تابوا بمناداته، وبدل أن يفرح بخلاص إخوته يكتب في سفره: "فغمَّ ذلك يونان غمًّا شديداً فاغتاظ (وصلَّى) إلى الرب وقال: آه يا رب. أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي. لذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش، **لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم، بطيء الغضب وكثير**

---

(٣) وقد أضاف الرب في نفس السياق أنه أعظم من سليمان (مت ١٢: ٤٢، لو ١١: ٣١)، وفي مناسبات أخرى أنه أعظم من أعظم مواليد النساء يوحنا المعمدان (مت ١١: ١١)، بل وأعظم من إبراهيم (يو ٨: ٥٣و٥٦و٥٨). كما يذكر سفر العبرانيين أنه أعظم من الملائكة (عب ١: ٤)، وأعظم من موسى (عب ٣: ٣). ويشير الكتاب منذ القديم: "الرب أعظم من جميع الآلهة" (خر ١٨: ١١).

الرحمة ونادم على الشر. فالآن يا رب خُذْ نفسي مني، لأن موتي خير من حياتي" (يون ٤: ١-٣). فهو في قصر نظره وتعصُّبه يُعاتب الله ويكاد يؤاخذه على حبه ورحمته واتساع قلبه وقدرته على الغفران الذي مِن غيره ما كان للإنسان مِن مصير غير الهلاك الأبدي.

ولكن المسيح يختلف. فهو الذي أحب - حتى أعداءه - إلى المنتهى (يو١٣: ١)، ومكتوب عنه أنه **لا يُسر بموت الشرير بل برجوعه عن طرقه فيحيا** (حز ١٨: ٢٣، ٢بط ٣: ٩)، على عكس يونان الذي غمَّه هذا الأمر غمًّا شديداً، **وهو الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف** (يو١٠: ١١)، **والبار الذي تألم من أجل الأثمة** (١بط ٣: ١٨).

وقد التقى الرب أثناء خدمته بمن لهم نفس توجُّه يونان، ولكنه أكَّد دوماً على إشفاقه وتحنُّنه على بني البشر دون تمييز. فها هما ابنا زبدي يسألانه أن تنزل نار من السماء فتفني قرية السامريين التي لم تقبله، ولكنه ينتهرهما ويقول لهما: "لستما تعلمان من أي روح أنتما، **لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليُخلِّص**" (لو ٩: ٥٢-٥٦؛ ١٩: ١٠).

والمرأة الخاطئة دانها الجميع - الذين لم يكونوا أفضل منها - وقدَّموها إلى الرب كي يُجري عليها حُكم الموت، ولكنه - وهو البار القدوس - أشفق على المرأة قائلاً لها: "**ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تُخطئي أيضاً**" (يو ٨: ١١).

وعندما رأى الرب المرأة المنحنية ووضع يديه عليها فاستقامت، احتج عليه رئيس المجمع لأن الرب شفاها يوم سبت، فقال الرب: "... وهذه هي ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة، أَمَا كان ينبغي أن تُحَلَّ من هذا الرباط في يوم السبت!" (لو ١٣: ١٦).

وهنا يصدُق قول داود: "**فلنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان**" (٢صم ٢٤: ١٤). وقد كشف لنا الابن عن محبة الله وشفقته وحنانه واتساع رحمته: "**كإنسان تعزيه أمه، هكذا أُعزِّيكم أنا**" (إش ٦٦: ١٣)، "**الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين**" (رو٨: ٣٢)؛

بينما يمتلئ قلب البشر – حتى بعض المتدينين منهم – بالقسوة والكراهية والتعصُّب.

ولقد سعى الرب كي يُغيِّر فكر يونان، فأعدَّ يقطينة لتظلِّل عليه، ثم سمح لها أن تيبس في الغد، فانزعج يونان جداً، فقال له الرب: "أنت شَفِقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها... **أفلا أشفق أنا** على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم" (يون ٤: ١٠و١١). والله يُعلن هنا للكل أنه إذا كان يعتني حتى بالنباتات التي لا تُدرك من أمرها شيئاً، فحَدْبُه واهتمامه بالبشر أعظم بما لا يُقاس، وخلاصهم هو الأساس والأصل، بينما العقوبة هي نتيجة رفض الخلاص والحياة مع الله، وهي نفس المعاني التي أكَّدها المسيح بعدما أشار إلى عنايته بعشب الحقل وطيور السماء قائلاً: **"فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة"** (لو ١٢: ٧).

* * *

لقد عاقب الله يونان على تعصُّبه وانغلاقه، ويهمنا كمؤمنين بالمسيح أن نعي أنه ليس لنا وحدنا وإنما **هو للعالم كله**. فهو المخلِّص الذي **مات لأجل الجميع** (٢كو ٥: ١٥)، ولا يليق أن نستأثر به، فلا فضل لنا إذ عرفناه. نحن كلنا مدينون لمحبته ودمه النازف وموته وقيامته. **والله هو الذي اختارنا فيه قبل تأسيس العالم** (أف ١: ٤). كما أن عمله الخلاصي من الكمال والشمول بما يكفل إنقاذ كل البشر من الهلاك، إن أرادوا: **"وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً"** (١يو ٢: ٢).

وعلينا أن نثق أننا سنظل دوماً موضع رعاية الله لنا جسداً ونفساً وروحاً. إننا اليقطينة التي خلقها وغرسها في الأرض وتعهَّدها بالعناية كل الحياة، والتي بذل دم ابنه لكي لا تهلك بل تحيا إلى الأبد. فلا نفقد أبداً رجاءنا في رحمة الله

وتحنُّنه وقدرته على الغفران: "**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم**" (١يو ١: ٩).

عيد الصليب

+ الصليب في حياة المؤمن

الصليب في حياة المؤمن

تنفرد الكنيسة القبطية (وابنتها الكنيسة الإثيوبية) بين الكنائس باحتفالها بعيدين للصليب المقدس الذى يستمد كرامته وجدارته بالتمجيد من ارتباطه بشخص الرب المخلص وارتباط الرب به، فانتسب الصليب للمسيح ودمه [فيقال: **صليب المسيح** (غل٦: ١٢، ١٤)، وإن المسيح عمل الصلح **بدم صليبه** (كو١: ٢٠)]، كما انتسب المسيح للصليب [فيسمّى الملاك المسيح القائم من الأموات "**يسوع المصلوب**" (مت٢٨: ٥، مر ١٦ : ٦)] حتى أن القديس بولس لم يعزم أن يعرف شيئا بين مؤمنى كورنثوس "**إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً**" (١كو٢: ٢).

ويقع **العيد الأول فى** ١٠ برمهات (١٩ مارس) بمناسبة العثور على خشبة الصليب التى اهتمت بالبحث عنها **الملكة هيلانة** أم قسطنطين الأول إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية وذلك سنة ٣٢٦ م (٤٢ للشهداء). وتشير وثائق التاريخ أن الملكة هيلانة – استجابة لحلم رأته – جاءت إلى أورشليم ومعها

حاشيتها ومئات الجنود، حيث اجتمعت **بالقديس مكاريوس أسقف أورشليم** وأبدت له رغبتها هذه. فأرشدها إلى حاخام يهودى طاعن فى السن اسمه يهوذا هو الذى دلَّ الملكة على مكان الصليب تحت تل الجلجثة غرب المدينة المقدسة. وكان هذا الموقع قد تحول منذ القرن الأول إلى جبل من النفايات بتحريض اليهود. وعند إزالة هذا الركام وجد الجنود فى باطن التل **ثلاثة صلبان**. وقد أمكن تمييز صليب الرب لأنه كان يحمل اللوحة المكتوب عليها "**يسوع الناصرى ملك اليهود**"، ومن ناحية أخرى فقد تأكد الأمر – حسبما يذكر المؤرخ القديس روفينوس – عندما وُضعت الصلبان الثلاثة بالتتابع على جثة أرملة تدعى "لبيانيا" ذهب الأسقف مكاريوس إلى بيتها وصلى إلى الله أن يظهر مجده. وعندما لمس الصليب الثالث جسد الأرملة فتحت عينيها وقامت تمجد الله. وبعدها تدفقت الجموع تعانق الصليب. وفى المساء حمل الأسقف والملكة الصليب إلى الكنيسة بالتسبيح والترتيل وتم تغطية الصليب بالذهب ولُفَّ بالحرير ووضع فيما بعد فى خزانة من الفضة بكنيسة الصليب التى أقامتها الملكة هيلانة ودشنها **البابا أثناسيوس بطريرك الأسكندرية** العشرون فى احتفال عظيم حوالى سنة ٣٢٨م.

ولأن العيد الأول للصليب يقع دائما فى أيام الصوم الكبير فإن الكنيسة تقيم احتفالها الكبير بالصليب فى **عيده الثانى** الذى يمتد لثلاثة أيام تبدأ ١٧ توت (٢٧ سبتمبر) بمناسبة إعادة خشبة الصليب إلى القدس (حوالى سنة ٦٢٨م) التى انتزعها الإمبراطور هرقل من أيدى الفرس، وكانوا قد اغتصبوه سنة ٦١٤م، وتكريس كنيسة الصليب والقيامة التى احتضنته حيث وُضع فى مغارة عميقة تحوى اليوم تمثالا للملكة هيلانة تحمل الصليب المقدس.

ويذكر التاريخ فى هذه المناسبة أن هرقل لبس حلته الملكية وتاجه الذهبى وحمل الصليب بنفسه ولما اقترب به من باب الكنيسة ثقل عليه حمله فلم

يستطع أن يدخل به. **ولكنه استجابة لنصح أحد الآباء خلع تاجه ووشاحه الملكى وهكذا أمكنه دخول الكنيسة.**

وتثير واقعة اكتشاف الصليب بعد ثلاثة قرون من حادثة الصلب وما أحاط بها من ملابسات عديدا من التأملات نجتزئ منها هنا ثلاثة رئيسية:

التأمل الأول: الصليب المختفى

بعد إنزال المسيح بعد موته من فوق الصليب، أخذه يوسف الرامى وسمعان القانوى ودفناه فى قبر جديد منحوت فى الصخر (مت٢٧: ٦٠، مر١٥: ٤٦، لو٢٣: ٥٣، يو١٩: ٤١)، ووورى الصليب ومعه صليبا اللصين في باطن الأرض مكان الصلب. وعلى مدى السنين تراكمت النفايات فوق المكان حتى صنعت تلا عظيما اختفى تحته الصليب تماما. ومع تتابع السنين والأجيال لم يعد هناك من يعرف مكانه إلا الأقلون.

فى حياتنا – بالإهمال والانشغال عن تتميم خلاصنا والتطلع إلى العالم وتوثيق العلاقة به – **يتوارى الصليب حتى يختفى تماماً:**

+ فإذا كان الصليب رمزاً لإعلان الإيمان بالمسيح وقبول الخلاص، والشهادة للرب بكل وسيلة واحتمال الآلام من أجل اسمه، **فإنه يستتر بالخوف والحرص على الحياة والأشياء، وبإنكار الإيمان بالسلوك المضاد للإنجيل والضيق من الاضطهاد ومحاولة الهروب منه جبنا ورعبا من الموت الجسدى.**

+ وإذا كان الصليب يجسده قمع الجسد وأهوائه "**الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**" (غل ٥: ٢٤)، والدخول من الباب الضيق (مت٧: ١٣، لو١٣: ٢٤)، **فإنه يختفى تحت الاهتمامات الجسدية والاستجابة للشهوات والأفكار الطائشة والميل إلى الإباحية والتبرج وإغراء الآخر جسديا واختيار طريق الهلاك الرحب والدخول من بابه الواسع** (مت٧: ١٣).

+ وإذا كان الصليب يقترن بالحب الذى يتأنى ويرفق ويصبر (١كو١٣: ٤، ٧) **فإنه يطمر تحت أكوام الكراهية والقسوة والسعى للانتقام.**

+ وإذا كان الصليب تعبيراً عن البذل والتضحية والعطاء والتعب المبارك وخدمة الآخرين بغير ملل مع احتمال صابر للألم، **فإنه يختفى بالانكفاء على الذات ومن ينتمى إليها، واعتبار الخدمة إهداراً للوقت والجهد، وإلغاء وصية محبة القريب أى كل البشر.**

+ وإذا كان الصليب إعلانا عن الاستقلال عن العالم الحاضر الشرير، **فإنه يستتر بمحبة العالم والخضوع لشهوة الجسد والعيون وتعظم المعيشة** (١يو٢: ١٦) **والتحلل من حياة القداسة وغياب هدف الحياة الأبدية.**

+ وإذا كان حضور الصليب فى حياتنا يكشفه معرفتنا بأنفسنا وقدرتنا أمام الله فنتضع ونخلى ذواتنا، **فإن نور الصليب فينا يحجبه الكبرياء والبحث عن الكرامة والسعى إلى المكان الأول والتعالى وعدم الاحتمال وسرعة الغضب.**

التأمل الثانى: إعادة اكتشاف الصليب

مهما كانت التراكمات فوق الصليب حتى يختفى حضوره، من إنكار للإيمان، وانصياع لرغبات الجسد وأهوائه، وغياب المحبة إلى الانكفاء على الذات والإقبال على العالم، **فإن إعادة اكتشافه فينا ليست فوق الطاقة**، فإذا اجتمعت الرغبة "**أتريد أن تبرأ**" (يو٥: ٦) مع الجدية والثقة فى المصلوب الذى يريد "**أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون**" (١تى٢: ٤) والذى يستطيع وحده أن يخلص إلى التمام (عب٧: ٢٥)، **فإن انهيار كل هذا الركام**

أمر تكفله قدرة الله "لأن كل شئ مستطاع عند الله" (مر١٠: ٢٧)، **وسيبدد نور الصليب كل الغيوم التى حجبته.** وإذا كان المسيح قادراً أن يسبى قلوبا لم تعرفه يوما، بل أكثر من ذلك أن يتلمذ نفوسا قد اضطهدته كل حياتها، **فبالأولى كثيرا أن يعاود ظهوره فى حياة من عرفوه فترة من حياتهم ثم خانوه بالضعف وخديعة العالم.**

والمهم أن يلتفت هؤلاء إلى هذا الواقف بباب قلبهم كل الوقت يقرع ويطلب دعوة على العشاء (رؤ٣: ٢٠). وقد يقرع الرب الباب بلطف، ولكنه يمكن أن يرفع عصا التأديب (عب١٢: ٧) فيسمح بالتجربة التى قد تتصاعد شدتها إلى شوكة دائمة فى الجسد (٢كو١٢: ٧)، وربما أكثر، وذلك حسب احتياج النفس، كى تفيق من غيبوبتها وتكتشف سوء حالها وتغربها عن إلهها مصدر قوتها ونصرتها. **فإذا ارتمت عند قدميه بالتوبة الصادقة ستجد الأحضان المرحّبة** والذراع الرفيعة القادرة أن تقشع كل السحب وتزيل الأكوام التى طُمر تحتها الصليب زمنا. **وسيتوقف نجاح التوبة وتألق الصليب من جديد على رفض الحلول الوسط أو سياسة الخطوة خطوة،** وإنما على السماح ليد الله المحب أن تقطع وتبتر الذراع الخائنة والعين الشريرة والرِجل المنحرفة والشهوة الردية والعلاقة الآثمة والأفكار النجسة وكل ما يضاد الإيمان.

ولكن التوبة ليست فقط رجوعا بالندم عن الماضى الخاطئ وتعهدا بعدم العودة إلى ما أحزن قلب الله، **وإنما هى أيضاً إقبال متعطش إلى حياة القداسة التى كانت قد توقفت.** فالصلاة النشطة، وقراءة الكلمة وحفظها، والصوم الروحى لا الشكلى، وخدمة الله وإخوته الأصاغر هى ختم الروح الذى يسيّج حول النفس فتتحطم على أسوار النعمة كل سهام الشرير الملتهبة (أف٦: ١٦)،

ويحفظ نور الصليب متألقا هاديا، وعلامة لا تخفى عن الانتماء للمخلص الغالب دوماً.

التأمل الثالث: الصلبان الزائفة

كان مع صليب الرب صليبان يشبهانه فى الشكل والمظهر **ولكنهما يخلوان من قوته للخلاص والإقامة من موت الخطية إلى الحياة الجديدة.**

والبعض يتفادى نفقة الصليب الحقيقى المكلفة، وعبء التوبة وآلام بتر الأهواء وثقل الرجوع بعد خيانة المخلص.. ومن أجل إرضاء الناس – مع تحلله من التزام الإيمان – **يقتنى واحداً من الصلبان الزائفة** التى لا تكلف كثيرا ولكنها تعطى له – كما يقول الكتاب. "صورة التقوى" وإن كان ينكر قوتها (٢تى٣: ٥). ويوجد فى أسواق العالم الكثير من هذه الصلبان التى تتفق مع الصليب الحقيقى فقط فى مظهرها دون الفاعلية وصدق الإيمان، ويتمسح أصحابها فى المصلوب دون أن ينتموا إليه بالفعل. وهذه تتعدد أنماطها فمنها:

(١) العبادة المظهرية والرياء

وفيها يتم تزييف أقدس العلاقات مع الله إلى مجموعة من الممارسات الجسدية والطقسية يصير إتمامها بشكل آلى أو حرفى غاية المراد. **وأصحاب هذا الصليب الزائف يختزلون علاقتهم المسيحية فى حضور الكنيسة فى المناسبات والأعياد، وزيارات الأديرة لا للصلاة والتوبة** وإنما "للتبرك" (كما يقولون) ولمس الصور وإيقاد الشموع، وقد يتمسكون بلقمة من القربان أو خبزة أو قارورة زيت أو صورة أو أيقونة. وهم ربما يتلون صلوات محفوظة أو يرددون ألحاناً أو تراتيلَ ولكن هذا كله **يتم آليا من الشفاه دون فهم أو مشاركة قلبية**، وهم فى

صومهم لا تشغلهم حرارة الصلاة أو ضبط الحواس والتوبة وإنما مجرد نوع الطعام. وبعضهم يعاملون الكنيسة كمركز اجتماعى للقاء الأصدقاء والمشاركة فى الأفراح والجنازات والرحلات والحفلات.

هؤلاء هم كمن يُدعوا لحضور حفل عشاء مع الملك فيضلّون طريقهم إليه ولا يأبهون به ليلتقوه بل يتزاحمون على الفتات الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع "فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئا من عند الرب" (يع١: ٧).

(٢) الطائفية والتعصب

أصحاب هذا الصليب الزائف انتماؤهم المسيحى أمر اجتماعى لا إيمانى. وهم يتعاملون مع إخوتهم كطائفة لا ككنيسة، وهدف الحياة الأبدية عندهم متراجع أمام المطالب الأرضية والحقوق الاجتماعية. والحروب المسماة بالصليبية تخفّت وراء هذا الصليب الزائف لتغطية الأطماع والمصالح. والحرب الطائفية فى لبنان قبل سنين وفى أيرلندا الشمالية حتى وقت قريب حملت هذا الصليب لا للدفاع عن الإيمان وإنما للذود عن المصالح والأنصبة.

هذا الصليب الزائف وما يمثله هو عدو لله والإيمان والكنيسة وتغذيه الأنانية والبغضة والتعصب والطمع، وهو يبرر حتى القتل باسم الإيمان كما تنبأ الرب ليلة الصليب "**تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله**" (يو١٦: ٢). وأصحابه، فى نفس الوقت، هم غير مستعدين لتحمل الاضطهاد ولا يملكون الحب الذى يجعلهم يقبلون الموت مِن أجل مَن أحبهم بل إنهم سيفرّون أمام الضيق **وسيستغلون قوانين الاضطهاد الدولية لكى ينجوا بأنفسهم رافضين التألم من أجل المسيح**. ولأنهم قصيرو النظر، فعيونهم على ما يرى لا على ما لا يرى (٢كو٤: ١٨).

(٣) خدمة الذات

أصحاب هذا الصليب الزائف يصعب الشك فيهم، فهم خدام فى الكنيسة وبعضهم مكرسون كلياً. وربما بدأوا خدمتهم حاملين صليب المسيح، وما يتضمنه من بذل الحياة لخدمة المسيح والكنيسة ثم انحرفت أهدافهم فيما بعد إلى خدمة الذات، **فتخلوا عن صليب التضحية الثقيل ليحملوا صليبا زائفا لا وزن له،** وصار "الدين" عندهم حرفة والتقوى تجارة (١تى٦: ٥)، وصار تعبهم لحساب أنفسهم لا لمجد الله، وصار الأخذ عندهم مغبوط أكثر من العطاء. وحماسة الأيام الأولى لعمل الله انطفأت، وخشية الله توارت بطول الممارسة والتعود، وبعد النسك والتجرد استعبدتهم رفاهة الحياة وحب المال وشهوة البطن حتى وإن أخفوها خلف الجدران، وصارت كرازتهم تظاهراً وصلواتهم أمام الناس من الشفاه ووعظهم آليا متكلفا وحبهم زائفا. والمحزن أنهم آخر من يعلم أن الكل يدركون زيف الصليب الذى يحملونه **وأن حياتهم المزدوجة ليست خافية على أحد، وأن العثرة التى تسببوا فيها لن تمر بلا عقاب.**

O O O

غير خافٍ أن أصحاب هذه الصلبان الزائفة يعيشون خطر الهلاك إذ استبدلوها بصليب الرب، مجتنبين بالتالى اللقاء الشخصى مع مخلص العالم الوحيد، وهكذا **فإن لم يرجعوا فإنهم متجهون معصوبى الأعين نحو الموت.**

ولأنهم قد أدمنوا الكذب حتى صدقوا أنفسهم فهم يحتاجون إلى معجزة (تشبه مواجهة الرب لشاول فى الطريق إلى دمشق) تكشف لهم زيف حياتهم وأنهم يعبدون آلهة غريبة، فيكفّوا عن خداع أنفسهم ومن حولهم، وينتزعوا **من داخلهم الصلبان الزائفة، لا لكى يستبدلوا بها أخرى أتقن تزييفا، وإنما كى يقتنوا**

صليب الرب الحقيقى، وما يعنيه من الاتجاه نحو المخلص والثبوت فيه بالإيمان، وشركة الجسد والدم، والتوبة الدائمة والقداسة، وخدمة الرب لا الذات والعيش فى الأبدية هنا على الأرض، مصدقين على دعوة الرب "**ومن لا يأخذ (يحمل) صليبه ويتبعنى فلا يقدر أن يكون لى تلميذا**" (مت١٠: ٣٨، مر٨: ٣٤، لو٩: ٢٣، ١٤: ٢٧)، ومرددين مع القديس بولس الذى حسب كل ما كان له ربحا، خسارة لكى يربح المسيح (فى٣: ٢٧، ٢٨)، هاتفين كل يوم "**مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ**" (غل ٢: ٢٠).

O O O

فى عيد الصليب فلنرتل مع الكنيسة قائلين "**السلام للصليب** (شيرى پي استاڤروس) **الذى صُلب عليه ربنا حتى خلّصنا من خطايانا**.

الصليب سلاحنا،

الصليب رجاؤنا،

الصليب خلاصنا،

الصليب فخرنا".

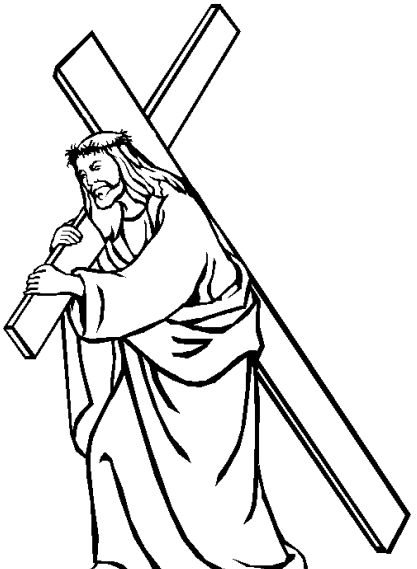

الصوم الكبير وأسبوع الآلام

+ قراءة في أناجيل الصوم الكبير

+ اسبوع الآلام وآفاقه الروحية

+ عثرة الصليب

+ حول ترتيبات اسبوع الآلام

قراءة في أناجيل الصوم الكبير

عندما تجتمع الكنيسة فى صلاة القداس تكون غايتها فى نهايــة المطــاف التناول من جسد الرب ودمه الأقدسين. لكن بالإضافة إلى الصلوات التى تخدم هذا الهدف **[بدءاً من دورة الحمل والرشومات والتقديس والقسمة والاعتــراف]** توجد التسابيح والصلوات التمهيدية فى صلوات العشية وتسبحة نصف الليل وصلوات رفع بخور باكر، والأواشى المختلفة والصلوات التأمليــة، والألحــان المتنوعة التى تشير إلى لقاء المؤمنين بالله ومن ثم اتحادهم به، **فضلاً عن القراءات من الكتاب المقدس التى تتلى فى العشية وباكر وقداس الموعوظين للتعليم والتوجيه وتفسير كلمة الله وحفظها.**

هذه القراءات من الأناجيل والمزامير والرسائل وسفر الأعمال التى اختارها آباء الكنيسة تنظمها أربعة كتب تكمل بعضها بعــضاً يــسمى كــل منــها **القطمارس**[1]. ولكل يوم من أيام السنة القبطية قراءاته الخاصــة. كمــا **أن للآحاد** (باعتبار يوم الأحد يوم الرب فى العهد الجديد) **قراءاتها المختارة.**

---

(١) هذه الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية Kata-Meros أى الكتاب المختص بقراءات كل يوم.

ولأن **للصوم الكبير** موقعه المتميز فى عبادة الكنيسة ، فهو الصوم الذى صامه الرب أيام تجسده قبل بدء خدمته **الجهارية**، كما أنه من أقدم الأصوام التى صامتها الكنيسة فقد صارت له **قراءاته المختارة ويضمها قطمارس الصوم الكبير [وهناك أيضاً قطمارس البصخة** الذى يضم قراءات أسبوع الآلام ، **وقطمارس الخمسين المقدسة** من القيامة حتى عيد العنصرة ، **والرابع هو القطمارس السنوى الدوار** لشهور وأيام السنة القبطية كلها].

وينتظم قراءات كل يوم من أيام السنة خيط مشترك يربط بينها جميعاً. وهو فى أيام الآحاد موضوع انجيل القداس، وهو فى الأيام الأخرى يرتبط بتذكار قديس اليوم (مر ١٤: ٩) كما هو مذكور فى السنكسار الذى يضم **سير قديسى الكنيسة**، فضلاً عن الأعياد السيدية (التى تقع فى غير آيام الآحاد). وكما يربط موضوع مشترك قراءات اليوم فهناك أيضاً المحور الذى يربط قراءات الشهر القبطى كله أو الموسم الكنسى من السنة.

وكما هو معروف فالصوم الكبير (٥٥ يوما) يتكون من الأربعين يوما المقدسة، ويسبقه أسبوع الاستعداد (أى يصير ٤٧ يوماً) ويتلوه أسبوع الآلام الذى كان يحتفل به مستقلا عن الصوم الكبير ثم ارتبط به فيما بعد.

وفيما يلى نتتبع قراءات آحاد الصوم الكبير لندرك المعانى التى تزخر بها:

أحد الرفاع [٢]

فى الأحد السابق مباشرة على بدء أسبوع الاستعداد، اختارت الكنيسة القراءة من **مت ٦: ١ – ١٨**، وهى جزء من الموعظة على الجبل، الذى يتضمن

---

[٢] يقصد **بالرفاع**، رفع الأطعمة الحيوانية التي لا تتلاءم مع فترة الصوم التالية، وإن كان البعض يفهم "الرفاع" جسدياً أنه الإقبال على تناول أطعمة حيوانية مختارة في هذا اليوم كأنه يودعها قبل أن يستقبل أيام الصوم القادمة، وينبغي من ثم تصحيح هذا المفهوم المناوئ لفكرة الصوم.

توجيهات الرب عن الصوم كممارسة روحية بين الإنسان والله، وليست مقدمة للناس، وهى جزء من حياة متجهة دوماً نحو الله وفيه **بالصلاة ومحبة القريب (الصدقة)**.

أحد الأسبوع الأول (أسبوع الاستعداد)

الإنجيل من مت ٦: ١٩-٣٣، وهو استطراد لقراءة الأحد السابق من الموعظة على الجبل ومحوره: "**لا تكنزوا .. لا يقدر أحد أن يخدم سيدين.. لا تهتموا ... اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره** ". فالصوم هو حياة بأكملها تعبيراً عن إيمان بالله أنه للمؤمن الأول والآخر، حباً واتكالاً ويقيناً، **وكنز المؤمن الحق (أي الملكوت)** هو **فى السماء**(٣)، والمؤمن ليس خاضعاً لسطوة المال، وهو ليس مشتتاً منقسم القلب بين محبته للعالم وسعيه نحو الله (**لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**).وهو يحفظ جسده طاهراً، والنعمة تحرس حواسه وتقدسها لأن "**سراج الجسد هو العين**". ثم هو فى اتكاله وثقته بإلهه المحب لا يغالي في اهتمامه بحاجاته الجسدية واثقاً من رعاية الله، كما يعتني بطيور السماء والزنابق وعشب الحقل (**لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها**)، ولكنه يطلب أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد له بحسب وعد الله.

أحد الأسبوع الثانى (أحد الأسبوع الأول من الأربعين المقدسة)

الإنجيل من مت ٤ : ١- ١١ (التجربة على الجبل)

إن الصوم إعلان عن تحرر المؤمن من الخضوع لسلطان لقمة العيش والمادة والحياة المادية بصورة عامة (المال ومجد العالم والترف واللذات والذات المتكبرة الطامحة) **إذ ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان**. فالذى يأكل الخبز يجوع من

---

(٣) الرب يشبّه الملكوت بكنز مُخفي في حقل أو لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن ومن ينشد أيهما فيبيع كل ماله ليشتريه (مت ١٣: ٤٤-٤٦).

جديد، والذى يشرب الماء سيعطش من جديد. **أما سر الحياة الدائمة فى الله فهو كلمة الله، الإنجيل، يسوع المسيح، خبز الحياة** ، الذى مَن يأكل منه لا يموت إلى الأبد. وهكذ يقتات المؤمن على جسد الرب ودمه، وفى كلمة الله يكمن سر القوة والغلبة على التجارب التى يثيرها عدو الخير.

أحد الاسبوع الثالث (أحد الأسبوع الثاني من الأربعين المقدسة)

الإنجيل من لو ١٥ : ١١ – ٣٢ (توبة الابن الضال)

الصوم هو موسم التوبة، فكلاهما إخلاء وانحناء وتذلل، وتمرد على العالم، ورفض للخطية المسببة للموت، وعودة إلى الله فكراً وسلوكاً (ميتاينا). روحانية الصوم واستقامته يشهد بها اللهج فى كلمة الله **وتواتر التوبة** وتطهير النفس والاقتراب إلى عشاء الرب **المنتظر دوماً عودة الابن الغائب** (وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض **ووقع على عنقه وقبله**)، ثم دعا إلى وليمة ذبح فيها العجل المسمن. وشاع الفرح وُردَّت للابن كرامته بالحلة الأولى والخاتم. وخرج الآب للأخ الكبير الغاضب يحثه أن يفرح معه بقوله "**كان ينبغى أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد**"(لو١٥:٣٣)، **فالخطية موت وضلال، وبالتوبة نعود إلى أحضان الرب المستعد دوماً لقبول التائبين.**

أحد الأسبوع الرابع (أحد النصف = ختام الأسبوع الثالث من الأربعين المقدسة)

الإنجيل من يو ٤: ١–٤٢ (المرأة السامرية)

وإذا كان للابن العائد ذكرياته وخبراته القديمة فى بيت أبيه التى جعلته يتوقف ويكتشف الهوان الذى انتهى إليه فينتفض راجعاً تائباً ليحتل موقعه القديم، فإن هناك من لم يبدأ أبداً : النفس المتغربة الشاردة الجاهلة المكتفية!. والمسيح يتقدم لمثل هؤلاء فاتحاً ذراعيه (وهو مات لأجل **الجميع**:٢كو٥: ١٥)،

مقدماً **الماء الحى** الذى "**من يشرب منه لن يعطش إلى الأبد... بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية**". **فللبعيدين أيضاً نصيب فى المسيح.** وللمسيح وسائله لاجتذاب هذه النفوس مهما كانت مراوغتها (السامرية) أو سمعتها الرديئة (زكا) أو حتى احترافها للخطية (المجدلية) أو تعصبها وكراهيتها (شاول) ومن ثم يطلقها لدعوة نفوس جديدة لمخلص العالم.

أحد الأسبوع الخامس (أحد الأسبوع الرابع من الأربعين المقدسة)

الإنجيل من يو ٥: ١– ١٨ (شفاء مريض بيت حسدا).

ومهما طال الزمان فالفرصة دوماً قائمة – "**إنها الآن ساعة لنستيقظ**" (رو١٣ :١١)، **هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص**(٢كو٦: ٢) – فالذى لم يجد صديقاً أو مرشداً طوال السنين (٣٨ سنة) يصير يسوع صديقه الألزق من الأخ.

ولكن المسيح **يحذرنا من الانتكاس والارتداد بعد أن ذقنا طعم الخلاص،** وأن يختبئ فى قلبنا الاشتياق للحياة الأولى فى العبودية كما فعل بنو إسرائيل (**فلا تخطئ لئلا يكون لك اشرٌّ**).

أحد الأسبوع السادس (الأحد الأخير فى الصوم الأربعينى)

الإنجيل من يو٩: ١–٤١ (تفتيح عينى المولود أعمى)

نعم إن الخطية ظلام، والخاطئ أعمى، والمسيح هو نور العالم . والنفس التى تستنير بخلاص المسيح تتقدم **للشهادة:** "إنما أعلم شيئاً واحداً **أنى كنت أعمى والآن أبصر**. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً ... **أؤمن ياسيد**". أما الرافضون دعوة المسيح فلا مكان لهم فى عشاء عرس الخروف (ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائى) (لوقا ١٤: ٢٤) (**لدينونة أتيت أنا**

إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون) (يو٩: ٣٩).

فى اليوم الخامس (الجمعة) التالى لهذا الأحد يختتم الصوم الأربعينى المقدس بصلاة حافلة تمتد إلى عصر اليوم ، وتستخدم فى القداس ألحان آحاد الصوم الكبير ويبرز من بينها لحن رئيس الكهنة الأعظم ميغالو Megalo أى "الأعظم".

وفى يوم السبت تصلى الكنيسة القداس تذكارا لإقامة لعازر (يو ١١: ١-٤٥). ثم تحتفل يوم الأحد بعيد دخول المسيح أورشليم فى موكب شعبى يليق بملك إسرائيل ليبدأ رحلة آلامه الأخيرة الصاعدة إلى الجلجثة حيث الصليب والموت. ويكون صوم الكنيسة الطويل الذى سبق أسبوع الآلام إعداداً مناسباً للنفس، التى طهرتها التوبة ، لكى تواصل تبعية المسيح فى طريق آلامه من أجلها وتتسلق صليبه وتصلب معه لتموت هى ويحيا المسيح فيها (غل٢: ٢٠).

وهكذا تحقق الكنيسة هدفها الذى قصدته من الصوم الذى رسمته والقراءات التى اختارتها خلاله كخطوة متجددة على طريق الحياة فى المسيح.

أسبوع الآلام وآفاقه الروحية

لحوالى قرنين من عمر الكنيسة كان أسبوع الآلام يحتفل به منفصلاً عن الصوم الأربعيني.. ولكن بدءاً من حبرية البابا ديمتريوس الكرام (١٨٨م) صار أسبوع الآلام تالياً مباشرة للصوم الأربعيني.. وهو يبدو تعديلاً غاية فى التوفيق، إذ صارت الكنيسة تحتفل بأسبوع آلام المخلص بعد أن تهيأت بالصوم الطويل وما يرافقه من القداسات الكثيرة والصلوات المتواترة والأجواء المناسبة للتوبة والعودة إلى الله.

وإذا كان **الصوم الكبير** يبرز بين أيام العبادة فى الكنيسة باعتباره الصوم الذى بدأه الرب فصار لنا.. فإن تاج الأيام يحمله **أسبوع الآلام** دون منازع، حيث تكرس الكنيسة كل وقتها لمتابعة عريسها المحب وهو يتقدم غير هيّاب نحو الصليب والموت لأجل كل واحد (عب ٢: ٩).. وهو الأسبوع الذى اجتمعت له من المعانى ما لم تجتمع لغيره من الأسابيع والأيام.

ونحن هنا نتناول **سمات أربعة** يتفرد بها هذا الأسبوع الذى ينتظر المؤمنون قدومه باللهفة والحنين عاماً بعد عام.

فهو أولاً : أسبوع البصخة

(باليونانية) أو **الفصح** (بالعبرية) بمعنى **عبور**.. ففيه توقف الرمز القديم (**أى خروف الفصح**) الذى برشّ دمه نجا أبكار إسرائيل من الموت "**فأرى الدم وأعبر عنكم** فلا يكون عليكم ضربة للهلاك" (خر ١٢: ١٣) وتم خروج بنى إسرائيل من مصر وخلاصهم من عبودية فرعون وعبورهم البحر إلى سيناء فأرض كنعان، وجاء المرموز إليه **فصحنا الجديد مخلص كل العالم**، الذى بدم صليبه والإيمان به ننجو من أسر إبليس وسجن الموت وننال الحياة الأبدية "**لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا**" (١كو٥: ٧).

وقد ظلت علاقة المسيح بالفصح والفداء بادية منذ ميلاده حين كان التدبير أن يكون ذلك فى **مزود للبقر** (المعدة للذبح)، وأشار إليه المعمدان قبل المعمودية "هوذا **حمل الله** الذى يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩).. وحتى بعد قيامة الرب بقيت آثار المسامير وطعنة الحربة فى جسده علامة محبة أبدية خُتمت بالدم.. وفى رؤياه ذكر عنه يوحنا ".. ورأيت فإذا فى وسط العرش... **خروف قائم كأنه مذبوح**" (رؤ ٥: ٦)، كما سمع ترنيمة الشيوخ الجديدة "**مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك**" (رؤ٥: ٩) وهتاف الملائكة " **مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة**" (رؤ ٥: ١٢)، وهى التسبحة التى تترنم بها الكنيسة مئات المرات خلال صلوات هذا الأسبوع العظيم.

ولكن بينما احتاج خروف الفصح إلى كاهن ليقدمه، فإن الرب ينفرد بأن اجتمع فيه الكاهن والذبيحة والمقدَّم عنهم. **وينفرد الكاهن هنا أنه قدوس بلا خطية وكهنوته دائم لا يزول**، وتنفرد الذبيحة بأنها تمت **مرة واحدة فحققت فداءً أبدياً**، وبأن الرب قد اتحد بالإنسان بتجسده فهو يموت عنه بينما هو فيه.

وفى هذا يذكر سفر العبرانيين "**وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حىّ فى كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه**" (عب ٧: ٢٤-٢٦) "وأما المسيح وهو قد جاء **رئيس كهنة للخيرات العتيدة** فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أى الذى ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول **بل بدم نفسه ودخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً** ...ولكنه الآن قد أُظهر مرة عند انقضاء الدهور **ليبطل الخطية بذبيحة نفسه**... هكذا المسيح أيضاً بعدما قُدِّم **مرة** لكى يحمل خطايا كثيرين **سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه**" (عب ٩: ١١، ١٢، ٢٦- ٢٨) "لأنه **بقربان واحد** قد أكمل **إلى الأبد** المقدَّسين"(عب١٠: ١٤).

وهو ثانياً : أسبوع تتميم الخلاص

أو المرحلة الحاسمة منه.. حيث تتصاعد الأحداث إلى نقطة اللاعودة : من أحزان جثسيمانى ومعاناتها إلى المحاكمات الظالمة المحفوفة بخيانات الأصدقاء وهروبهم، فآلام ما قبل الصليب وساعات الصليب الثلاث التى تعجز الكلمات عن الإحاطة بما جازه الرب خلالها، فالموت، ثم القيامة المظفرة فى اليوم الثالث.

فهو أسبوع آلام الرب، ومجده أيضاً، أى مجد الصليب ومجد القيامة التى أتمت عمل الصليب ووجهه الآخر، وفى هذا يقول الرب "**قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان**.. أيها الآب نجنى من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيت **إلى هذه الساعة**... **وأنا أن ارتفعت عن الأرض أجذب الىّ الجميع**" (يو ١٢: ٢٣، ٢٧، ٣٢).

وهكذا تحققت فى هذا الأسبوع نبوات الأجيال بدءاً من وعد الله بأن **يسحق نسلُ المرأة رأس الحية** (تك ٣: ١٥)، والرموز من **تقديم اسحق** ذبيحة (تك ٢٢)، إلى **الحية النحاسية** (عد٢١) **وذبائح العهد القديم**.. بل أن **داود**، فى مزموره الثانى والعشرين، **وإشعياء**، فى الأصحاحين الثالث والخمسين والثالث والستين من سفره، واللذين تفصلهما القرون عن يوم الصليب، يكتبان عنه كأنهما شاهدا عيان.. وفيما يلى مختارات من هذه الفصول:

فمن المزمور الثانى والعشرين "**إلهى إلهى لماذا** تركتنى...كل الذين يرونى يستهزئون بى... قائلين **اتكل على الرب فلينجّه... ثقبوا يدى ورجلى، أُحصى كل عظامى.... يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون**" (٢٢: ١، ٧ ، ٨ ، ١٦-١٨).

ومن الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء "لاصورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه **محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن** وكمستّر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتدّ به. **لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها.. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا... والرب وَضَع عليه إثم جميعنا. ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه... وجُعل مع الأشرار قبره ومع غنىّ عند موته... أما الرب فسُرّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم...** سكب للموت نفسه **وأُحصى مع أثمة**"(٥٣: ٢-٧، ٩، ١٠، ١٢).

ومن الأصحاح الثالث والستين "**قد دست المعصرة وحدى** ومن الشعوب لم يكن معى أحد... فنظرت و لم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد" (٦٣: ٣، ٥).

ولكن النبوات الأخرى التى تمت حرفياً يوم الصليب كثيرة ونختار منها ما يلى: "**بذلت ظهرى للضاربين** وخدى للناتفين. **وجهى لم أستر عن العار**

والبصق" (إش٥٠: ٦)، "**وفى عطشى يسقوننى خلاّ**" (مز ٦٩: ٢١)، "**فى يدك أستودع روحى**" (مز٣١: ٥)،"فينظرون إلى الذين **طعنوه**" (زك١٢: ١٠)، "ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الرب **أنى أُغيّب الشمس فى الظهر وأقتم الأرض فى يوم نور**" (عا ٨ : ٩).

كما تحققت فى هذا الأسبوع أيضاً ما أشار إليه **ملاك البشارة** "**وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**" (مت ١: ٢١).. "ولد لكم اليوم.. **مخلص** هو المسيح الرب (لو ٢: ١١)، ونبوات **زكريا الكاهن** "أقام لنا **قرن خلاص** فى بيت داود فتاه" (لو ١: ٦٩) **وسمعان الشيخ** "لأن عينى قد **أبصرتا خلاصك**" (لو ٢: ٣٠) وما تنبأ به لمريم "ها إن هذا قد وضع **لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم**.. " (لو ٢: ٣٤).

وهو ثالثاً : أسبوع التعاليم الأخيرة

التى تتضمن تأسيس الكنيسة الجديدة (مثل **الكرامين** : مت ٢١، مر١٢، لو٢٠، ومثل **العرس** عن الملكوت : مت ٢٢) ، ونبوات المستقبل القريب الذى تحقق (رفض الكهنوت اليهودى **وخراب أورشليم** : مت٢٣، ٢٤، مر ١٣) **وعلامات المجئ الثانى** (مت٢٤، مر ١٣، لو ٢١) **وأمثلة الاستعداد له ومشاهد منه** (مت ٢٤، ٢٥، مر ١٣، لو ٢١).

كما تحققت فيه خلاصة تعاليمه : "**أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٨).. "**إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير.. من يحب نفسه يهلكها ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية**" (يو ١٢: ٢٤، ٢٥).

كما أنه الأسبوع الذى أسس فيه الرب – فى يوم خميس الفصح، ليلة الصليب – **سر الشكر** الذى به يستحضر لنا ذبيحة الصليب فى جسد ودم الافخارستيا.. وبعد العشاء قام **وغسل أرجل تلاميذه** فقدم لخدامه نموذج الخدمة

الباذلة المتضعة "**لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت تصنعون أنتم أيضاً**" (يو ١٣: ١٥).

وهو رابعاً : (وعلى مستوى حياة الكنيسة) أسبوع العبادة والصلاة الدائمة

حيث نتابع مع الكنيسة بالخشوع والشكر خطوات المسيح الأخيرة – نائباً عنا ولأجلنا – نحو الجلجثة والتى تتضمنها بكل تفصيل قراءات قطمارس البصخة من العهدين القديم والجديد فى ساعاتها الخمس النهارية والخمس الليلية، نتفرس فى شخصه، ونزاحم الجموع لنظل قرب صليبه، صليبنا، متأملين عمله الخلاصى لأجلنا ومجتهدين أن نّفرغ له الوقت والفكر، وهاتفين بتسابيح الكنيسة وألحانها التى لا تتكرر فى غير هذا الأسبوع، فنقول مع الملائكة: "**لك القوة والمجد والبركة والعزة.. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا... ياربى يسوع المسيح مخلصى الصالح.. قوتى وتسبحتى هو الرب وصار لى خلاصاً مقدساً**"، ونردد مع اللص اليمين سارق الفردوس "**اذكرنى يارب... ياقدوس.. ياسيد – متى جئت فى ملكوتك**"، وننشد مع المرتلين "**هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة**"، ونسجد أمامه مع الساجدين فى ختام يوم الصليب.

إنه وقت مراجعة النفس وانحنائها بالتوبة أمام مخلصها المصلوب وتسأل الرحمة الإلهية لتنال الغفران.

❁ ❁ ❁

احتفال الكنيسة بأسبوع الآلام صيحة ونداء للغفران لأنه زمان الافتقاد، "**هوذا الآن وقت مقبول .. "هوذا الآن يوم خلاص**" (٢كو ٦: ٢)، ومشاهد أسبوع الصليب تتجسد أمامنا ومعها شهادات الأنبياء وتحقيق المواعيد.

فلنتبع الرب فى طريق الصليب ونعترف به مخلصاً للحياة.

عثرة الصليب

كما كان الصليب عثرة لليهود والأمم منذ أيام المسيح بالجسد فهو يظل إلى هذا اليوم عثرة (١) للكثيرين ممن قد يقبلون المسيح ولكن بغير صليبه.

ففي كرازته بالمسيح يقول القديس بولس "**ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة** وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين **فبالمسيح قوة الله وحكمة الله**" (١كو١:٢٣، ٢٤).

وإذا كان المسيح **هو رأس الزاوية** (مز ١١٨:٢٢، مت ٢١:٤٢، مر١٢:١٠، ١١، لو٢٠:١٧، ١٨، أع ٤:١١، ١بط ٢:٧) **وحجر الزاوية**

---

(١) العثرة هي العقبة أو الحجر (حجر عثرة Stumbling block) (مز ٩١:١٢، مت٤:٦، لو٤:١١) أو العقدة أمام السائر في الطريق، وإذ يشتبك بها يعثر Stumble أو يتعثر فيها كمن يقع في شرك entangled قد يؤدي به إلى السقوط أو الزلل إذا كانت العثرة كبيرة (ويقال تعثر اللسان أي تلعثم وارتبك واختلط عليه القول). وفي المزمور يشير المرنم إلى الذين عثروا والذين تفادوا السقوط أو سقطوا ثم قاموا "**هم عثروا (جثوا) وسقطوا أما نحن فقمنا واستقمنا (انتصبنا)**" (مز ٢٠:٨).

(أف٢: ٢٠) المختار الكريم (في بناء الكنيسة والبناء الروحي للذين يطيعون)، فإنه يصير لمن يرفضون ويرذلون ولا يطيعون **حجر صدمة وصخرة عثرة** (إش٨: ١٤، رو ٩: ٣٢، ٣٣، ١بط٢: ٨). وفي هذا قال الرب " **من يسقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه**" (مت٢١: ٤٤، لو٢٠: ١٨).

(أ) المسيح وصليبه... علاقة لا تنفصم

المسيح وصليبه صنوان لا يفترقان... وكل منهما يستدعى الآخر.

ولم يكن الصليب (والآلام والموت) حدثاً عارضاً في حياة الرب، ولا هو فوجئ به في أواخر أيامه على الأرض كنهاية أليمة لحياته.

في كل الأحوال، كان الصليب أمراً واقعاً وحاضراً مختلطاً بحياة المسيح كلها منذ البشارة بميلاد الرب وحتى يوم الجلجثة الرهيب، وعنصراً أساسياً في الكرازة بالخلاص بعد صعود الرب ومنذ يوم الخمسين وإلى آخر الأيام.

وأحداث الكتاب وآياته في العهدين تشهد بدور الصليب المحوري في تدبير الخلاص وأيضاً في حياة كل مؤمن تمتع بتبعية الرب.

أولاً : شهادة العهد الجديد

(١) **فالملاك** وهو يبشر العذراء بميلاد الرب يشير خفية إلى الآلام الخلاصية عندما ذكر أن اسمه "**يسوع**" (أي **مخلص**) (لو١: ٣١). كما أنه وهو يظهر في حلم ليوسف خطيب مريم، الذي كانت تعذبه شكوكه، يطمئنه من جهة مريم مشيراً أيضاً إلى اسم المولود "**يسوع**" "**لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**" (مت١: ٢٠، ٢١). [ومن هنا دعاه يوسف بهذا الاسم عند ختانه بعد ثمانية أيام من ميلاده (مت٢١: ٥، لو ٢: ٢١)]. والملاك في بشارته للرعاة يشير إلى

الفرح العظيم الذي أنعم به الله على البشر بميلاد "**مخلص** هو المسيح الرب" (لو٢: ١١).

(**٢**) وبعد ولادة يوحنا انفلتت عقدة لسان **زكريا الكاهن** أبيه وقال بالروح عن ابن الله المبشَّر به "مبارك الله إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع **فداء لشعبه** وأقام لنا **قرن خلاص** في بيت داود فتاه" (لو١: ٦٨، ٦٩).

(**٣**) وفي ميلاد الرب في **مذود** للبهائم إشارة يسهل التقاطها عن كون المسيح يُعد للذبح كسائر الخراف والأبقار التي أحاطت به (لو٢: ٧).

(**٤**) ولما ذهبت به مريم ويوسف لتقديمه للهيكل قدوساً للرب بعد تمام أيام تطهيرها أتاه بالروح **سمعان الشيخ** التقي عالِم الكتاب المنتظر تعزية إسرائيل و"أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا **خلاصك** (في المسيح) الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب" **فهذا الرضيع ذو الأربعين يوماً هو المخلص**. ويمدّ سمعان يده ليبارك مريم ويوسف ويخاطب أم يسوع قائلاً "ها إن هذا قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل **ولعلامة تقاوم**، وأنتِ أيضاً يجوز في نفسك **سيف** (الآلام) لتعلن أفكار من قلوب كثيرة" (لو٢: ٢٢-٣٥).

(**٥**) **وحنة بنت فنوئيل** النبية، ملازمة الهيكل ما يقرب من القرن، بدورها يعطيها الروح نعمة الشهادة قبل أن تمضي فيذكر عنها الإنجيل أنها "سبّحت الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين **فداءً** في أورشليم" (لو٢: ٢٦-٢٨) فميلاد الطفل يسوع يحقق رجاء كل المنتظرين الخلاص.

(٦) وفي شهادته لمن جاء يهيئ الطريق قدامه، يشير **المعمدان** إلى المسيح المقبل إليه قائلاً: "**هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم**" (يو١: ٢٩، ٣٦) منبئاً

أنه خروف الفصح الجديد والحقيقي الذي بدمه تنتهي كل ذبيحة على الأرض وتُغفر خطايا العالم كله (١كو٥:٧).

ثانياً : الصليب في حياة الرب

المسيح أعلن عهد الله الجديد مع البشر لا بكلمات وإنما بالدم والموت والقيامة.

+ وفي ثنايا أحاديثه وهو يبدأ كرازته الخلاصية يبدو الهدف واضحاً وعينا الرب على الصليب المنتصب على البعد (زماناً ومكاناً) في موضع الجلجثة:

"أنا هو الخبز الذي نزل من السماء.. والخبز الذي أعطى هو **جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم**" (يو٦:٥١)؛

"ابن الإنسان قد جاء **لكي يطلب ويخلص ما قد هلك**" (مت١٨:١١، لو١٩:١٠) ؛

"**ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان**" (يو٣:١٤)؛

"من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم **ويتألم كثيراً** ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة **ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم**" (مت١٦:٢١، ١٧:١٢، ٢٢، مر٨:٣١، ٩:٣١، لو ٩:٢٢، ٤٤، ١٧:٢٥)؛

"ها نحن صاعدون إلي أورشليم **وابن الإنسان يُسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم** (الرومان) **لكي يهزأوا به (ويُشتم) ويجلدوه (ويتفلوا عليه) ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم**" (مت٢٠:١٨، ١٩، مر١٠:٣٣، ٣٤، لو١٨:٣١، ٣٢) وهو ما تم بالضبط يوم الصليب (مت٢٦:٦٧، ٢٧:٢٨-٣٠)؛

"إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم **وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت٢٠:٢٨، مر١٠:٤٥)؛

"**وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع** (قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت) " (يو١٢:٢٧، ٣٢، ٣٣).

وقبل أيام قليلة من الصليب كانت أحاديث الرب صريحة ومحددة تماماً:

"انقضوا هذا الهيكل (جسده) وفي ثلاثة أيام أقيمه" (مت ٢٦:٦١، يو٢:١٩) ؛

"تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح **وابن الإنسان يسلم ليصلب**" (مت٢٦:٢).

+ وليلة الصليب قال الرب "هذا هو **جسدي المكسور لأجلكم (الذي يبذل عنكم)**" (لو٢:١٩)... "هذا هو **دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**" (مت٢٦:٢٨، مر١٤:٢٤، لو٢٢:٢٠)، فهو يرى نفسه على الخشبة قبل أن يُرفع عليها ودمه نازفاً قبل أن يتخضب به وهو يتدفق من جراحه.

+ والمسيح لم يستعفِ من الصليب عندما جاءت ساعته ولم يجتهد للإفلات منه حتى وإن توسل **جسدياً** من أجل أن تعبر عنه كأس الآلام (عب٥:٧) [ولكن هذا يؤكد في نفس الوقت أن الحزن الذي اجتاحه كان هائلاً (مت٢٦:٣٨) وأن الآلام التي سحقته كانت حقيقية وجازها حتى أعماقها كما جازته حتى أعماقه] ولكنه إذ تعلم الطاعة مما تألم به (عب٥:٨) أخلى نفسه تماماً (في٢:٧، ٨) **"ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت"** (مت٢٦:٣٩، ٤٢، مر١٤:٣٦، لو٢٢:٤٢، يو٥:٣٠، ٦:٣٨). وهو أسلم نفسه لجلاديه بكل إرادته **"ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً"** (يو١٠:١٨). وهو واجه

بيلاطس الذي عرض عليه إنقاذه قائلاً له: " **لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق**" (يو١٩: ١١).

وبينما هو يسأل الآب أن ينجيه من هذه الساعة يؤكد في نفس الوقت "**لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة**" (يو١٢: ٢٧) ويُصرِّح بذلك أيضاً أمام بيلاطس (يو١٨: ٣٧).

+ والرب بعد قيامته استبقى آثار الصليب في جسده وأتاح لتوما أن يضع يده في أثر المسامير والحربة (يو٢٠: ٢٧) وسمح لسائر التلاميذ أن يروها (لو٢٤: ٣٩، ٤٠).

+ والرب قد قَبِل الصليب لأن القيامة كانت فيه (**أنا هو القيامة والحياة** – يو١١: ٢٥) وهو كان يذكر قيامته في اليوم الثالث كلما جاء ذكر الصليب لأنها وجه الصليب الآخر، وبالصليب والقيامة كان الخلاص.

+ وحتى في مجيئه الثاني، أشار الرب إلى ما سوف يصاحبه من ظهور "**علامة ابن الإنسان في السماء**" (مت٢٤: ٣٠) وهي صليبه المحيي دليل حق وحب ودينونة.

ثالثاً : الصليب في كرازة التلاميذ والرسل

(**١**) في كرازة التلاميذ والرسل بعد حلول الروح القدس كان الصليب والقيامة هما محور الكرازة والقديس **بطرس** أمام آلاف اليهود يتكلم عن يسوع الناصري قائلاً: "**هذا أخذتموه مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت... فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً**" (أع٢: ٢٣، ٣١).

وبعد شفاء المُقعد واجه القديس **بطرس** اليهود الذين أدهشتهم المعجزة مشيراً إلى الرب الذي أسلموه وأنكروه "**ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموت ونحن شهود لذلك**" (أع ٣:١٣، ١٥).

وفي رسالته الأولى يكتب القديس **بطرس** "عالمين أنكم **افتُديتم** لا بأشياء تفني.. **بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولادنس**" (١بط ١:١٨، ١٩).

(**٢**) والقديس **بولس** يشير إلى اليهود أنهم "**قتلوا الرب يسوع** وأنبياءهم" (١تى٢:١٥)، ويجعل محور الكرازة "**يسوع المسيح وإياه مصلوباً**" (١كو١:٢٣) والصليب موضع فخره "**وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم**" (غل ٦:١٤)، "**مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في**" (غل٢:٢٠). ويقول عن المسيح رئيس الكهنة الفريد أنه "ليس بدم تيوس وعجول بل **بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً**" (عب٩:١٢). "إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا **وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب**" (كو٢:١٤) "**عاملاً الصلح بدم صليبه**" (كو١:٢٠).

(**٣**) والقديس **يوحنا** في رسالته الأولى يشير إلى "**دم يسوع المسيح**" الذي يطهرنا من كل خطية (١يو١:٧) "**هذا الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح**" (١يو٥:٦). وفي رؤياه شاهد في وسط العرش وفي وسط الشيوخ "**خروف قائم كأنه مذبوح**" والشيوخ خروا أمامه مترنمين قائلين: "مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه **لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة**" (رؤ٥:٦، ٩).

رابعاً : شهادة العهد القديم

شهادة العهد القديم، نبواته وأحداثه، عن مهمة المسيح الخلاصية شهادة صادقة لايمكن تزييفها. من ناحية لأنه " **لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم**

بما أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط ١: ٢١)، فالذي أوحى للأنبياء هو روح المسيح لسبق معرفته، وتمام النبوة يشهد بصدقها وبصدق من تشير إليه، ومن ناحية لأنها سُجّلت قبل المسيح بحوالي ٢٠ قرناً (إبراهيم واسحق) أو ١٥ قرناً (موسى) أو ١٠ قرون (داود) أو ثمانية قرون (يونان ويوئيل وعاموس) أو سبعة قرون ونصف (إشعياء) أو ستة قرون (إرميا ودانيال) أو خمسة قرون (زكريا وحجّي) أو أربعة قرون (ملاخي).

+ والرب نفسه أشار إليها في مجال تأكيد إرساليته قائلاً: **"فتشوا الكتب... وهي التي تشهد لي"** (يو٥: ٣٩). وفي إخباره تلاميذه بما سوف يأتي عليه كان يشير إلى اتفاقه مع النبوات **"وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان"** (لو١٨: ٣١). وهو ينتهر بطرس الذي حاول التدخل بسيفه دفاعاً عنه فيقول مستنكراً **"فكيف تكمل الكتب: إنه هكذا ينبغي أن يكون؟"** والتفت إلى الجموع وقال **"وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء"** (مت٢٦: ٥٤، ٥٦).

+ واستخدم الرب النبوات بعد قيامته ليبرهن على أن فيه تتحقق خطة الله للخلاص. فعند لقائه بتلميذي عمواس يسجل الكتاب أنه قال لهما **"أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب"** (لو٢٤: ٢٦، ٢٧).

+ ولما دخل على تلاميذه المحاصَرين بالشك والخوف في العلية ذكّرهم بما سبق أن قال لهم: **"هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث"** (يو٢٤: ٤٤-٤٦).

+ وخلال خدمته أشار الرب إلى أحداث من الماضي تتعلق بموته وقيامته. فيشير في حديثه إلى نيقوديموس **عن الحية النحاسية** التي أمر الرب موسى أن

يصنعها ويضعها على راية فكل من لُدِغ ونظر إليها يحيا (عد٢١:٧، ٨) ويقول "**وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد..**" (يو٣:١٤-١٨). والرب يتكلم هنا عن المستقبل كأنه يحدث ذلك اليوم ولابد له أن يحدث (**ينبغي... بذل ابنه الوحيد**). كما أشار إلى **يونان النبي** الذي كان رمزاً لدفن الرب وقيامته قائلاً "جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي **لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال**" (مت١٢:٣٨-٤٠).

+ والرب نفسه أشار إلى نبوات بعينها في معرض أحاديثه الأخيرة عن آلامه الآتية فيذكر نبوة أشعياء "**وأحصي مع أثمة**" (إش ٥٣:١٢، لو٢٢:٣٧) استباقاً لما جرى بالفعل من صلبه بين لصين (مت٢٧:٣٨، مر١٥:٢٧، لو٢٣:٣٣، يو١٩:١٨)

+ والبشيرون وهم يسجلون أحداث آلام الرب يقرنونها بالنبوات المتعلقة بها. فالقديس متى يستعيد نبوة **زكريا** (زك١١:١٢) في سياق طرح يهوذا للفضة في الهيكل وشراء رؤساء الكهنة بها حقل الفخاري كمقبرة للغرباء. والقديسان متى ويوحنا يذكران (مز ٢٢:١٧، ١٨) عن اقتسام الجنود ثياب الرب والاقتراع عليها (مت٢٧:٣٥، يو ١٩:٢٣، ٢٤). وبشائر ثلاث تشير إلى نبوة **إشعياء** (إش٥٣:٩) عن دفن الرب بعد موته في قبر جديد لرجل غني (يوسف الرامي) (مت٢٧:٥٧-٦٠، مر١٥:٤٣-٤٦، لو٢٣:٥٠-٥٣). والقديس يوحنا يقتبس (مز٤١:٩) الذي يتنبأ عن خيانة يهوذا لسيده (يو١٣:١٨) و(مز٦٩:٢١) الذي ينبئ أنه لم تكسر عظام الرب (لموته السريع، على غير ما حدث مع اللصين) (يو١٩:٣٣).

+ والقديس بطرس في خطابه للآلاف يوم الخمسين يستشهد بكلمات المزمور (١٠:١٦) عن قيامة الرب من الموت (أع٢:٢٧). وفي نفس السياق يذكر سفر الأعمال عن القديس بولس أن اليهود في حكمهم على الرب "**وأقوال الأنبياء التي تقرأ كل سبت تموها**" (أع ١٣:٢٧-٣٢)، وفي محاكمته كان يؤكد "**وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم به الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون**" (أع ٢٦:٢٢).

+ هذا قليل من كثير من النبوات المتعلقة بآلام الرب وصليبه (واغفلنا ما يتعلق بسائر حياة الرب فهنا ليس مجاله). وهناك شواهد أخرى من **المزامير** عن الآلام الخلاصية مثل (مز٢٢:١، ١٢-١٨، ١٢٩:٣) إضافة إلى ما سجله **النبي إشعياء** في أكثر من موضع (٥٠:٦) خاصة الأصحاح ٥٣ الشهير، وما ذكره **زكريا النبي** عن طعن الرب بالحربة (زك١٢:١٠) وغيرها .

○ ○ ○

وإذا كان القديس بولس يجعل قيامة الرب محوراً للإيمان وأنه "**إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم... أنتم بعد في خطاياكم**" (١كو١٥:١٤، ١٧).. ولأن القيامة مرتبطة بالموت السابق والموت مرتبط بالصليب، **فيمكن القول إذاً إن إبطال الصليب هو إبطال للكرازة وإبطال للإيمان و"إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا"** (١كو١٥:١٨).

(ب) الذين عثروا ويعثرون في الصليب

رغم هذه الرابطة الوثيقة بين المسيح وصليبه.. يظل **الصليب عثرة** للكثيرين: ينكرونه وينفونه ويستبعدونه بل ولا يطيقونه.

وقد سبق وتنبأ الرب أنه في وقت الضيق "**يعثر كثيرون**" (مت ٢٤: ١٠)، وفي نفس الوقت طوّب من لا يعثرون فيه (مت١١: ٦)(٢).

وكثيرون هم الذين عثروا ويعثرون في الصليب ويتعاملون مع المسيح بغير صليبه.

والأسباب تختلف بحسب منطلق كل جماعة من الجماعات التي ترفض **الصليب**، وتفرّق بينه وبين "**المصلوب**" وهو الذي صار واحداً من أشهر ألقاب الرب (مت٢٨: ٥، مر١٦: ٦). كما أن الصليب والمصلوب توحّدا معاً بحيث أنه لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. والقديس بولس يعبّر عن هذا المفهوم عندما يكتب عن المصالحة التي تمت في المسيح فإنه ينسب الدم الذي نزف من جراحه للصليب "وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح **بدم صليبه**" (كو١: ٢٠):

(١) الصليب بلا مبرر

ليس كل الذين رفضوا صليب الرب وعثروا فيه أعداء مناوئين، فبينهم الأصدقاء الذين تمنّوا ألا يجتاز السيد هذه المحنة وحثّوه أن يتفاداه، وأن يتوقف عن السعي إليه.

---

(٢) نذكر هنا بالأسي الموجات الأولي لتحول الآلاف عن الإيمان المسيحي، تحت وطأة الاضطهاد وتوابعه، منذ أواخر الألفية الميلادية الأولي وما بعدها، عندما لم يحتملوا ثقل الصليب، وفي هرولتهم خارج أسوار الحظيرة داسوا ابن الله وازدروا بروح النعمة (عب ١٠: ٢٩). وهم لم يفقدوا خلاصهم وحدهم وإنما حرموا أجيالاً وأجيالاً من بعدهم من معرفة المسيح الحقيقية وسلموهم إيماناً ينكر علي المسيح صليبه ويضيّع عليهم خلاصهم ويضعهم تحت الدينونة عند مجئ الرب في مجده وهو ما سوف يحاسَبون هم عليه في يوم الدين.

هذا كان موقف **بطرس**، تلميذ الرب المخلص، من الصليب إنطلاقاً من حبه وحرصه على المعلم وعدم تصوره أن يغيّب الموت سيده وبهذه الصورة الدموية الأليمة.

فلما ابتدأ الرب يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم، هال بطرس هذا التوجّه رافضاً قبول هذا المصير للسيد المحبوب "فأخذه إليه وابتدأ ينتهره" أي آخذه بقوة وصاح فيه محتجّاً محتدّاً **"حاشاك يا رب. لا يكون لك هذا"** فما كان من الرب، الذي كان يمتدح بطرس قبل قليل على إيمانه واعترافه المجيد به مخلصاً (مت١٦:١٦، مر ٨:٢٩، لو ٩:٢٠)، إلا أن انتهره بشدة وجابهه بكلمات صعبة قائلاً : **"اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس"** (مت ١٦:٢١-٢٣، مر ٨:٣١-٣٣).

والرب يقصد أن هذه الشفقة الظاهرية هي في حقيقتها مقاومة لخطة الله للخلاص (بمالله)، هي فقط تعبير عن عواطف جسدية والتصاق بالراحة والدعة وتفادي الحلول الصعبة (بما للناس)، وهي في واقعها تحقيق لخطة الشيطان الذي لا يسعى إلى خير وإنما إلى هلاك الجميع (أي هلاك بطرس نفسه وهو ما لم يفطن له بطرس عند دعوته الرب أن يتخلى عن الصليب والموت).

وواصل الرب بعدها الكلام مؤكداً لمن يريد أن يأتي وراءه **"أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعه"** لأن من يخلص نفسه (من نفقات التبعية وآلامها) هو في الحقيقة يهلكها (لأنه يفقد أبديته)، بينما من يهلك نفسه (برفض محبة العالم وميول الجسد وتكريس النفس للمسيح) يحفظها إلى حياة أبدية، فالنفس هي أثمن عطية للإنسان وأعظم من العالم كله (مت١٦:٢٤-٢٦، مر ٨:٣٤-٣٧، لو٩:٢٣-٢٥).

(٢) الصليب ضعف

وبعض الذين عثروا في الصليب رأوه علامة ضعف وانكسار وأنهم بالصليب قد ظفروا بالرب، دون أن يدركوا أن الرب الذي كان يعرف غايته قد قبله بإرادته (يو١٠:١٨) وأنه لهذا قد جاء (يو١٢:٢٧، ١٨:٣٧). ومن هؤلاء **رؤساء الكهنة** الذين استخدمهم الشيطان كما استخدم بطرس من قبل، ووقفوا أمام المصلوب يتحدّونه أن ينزل (الآن) عن الصليب "إن كان هو ملك إسرائيل" فيؤمنون به. ويقولون ساخرين "خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها... قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده. لأنه قال أنا ابن الله". وبذلك أيضاً كان **اللصان** اللذان صلبا معه يعيّرانه، كما استهزأ به **الجند** قائلين "إن كنت ملك اليهود فخلِّص نفسك" (مت ٢٧:٤٢-٤٤، مر ١٥:٣٢ لو ٢٣:٣٦، ٣٧).

هؤلاء جميعاً رأوا الصليب ضعفاً وهواناً، وبعضهم عبّر عن استعداده للإيمان لو استجاب الرب للتحدي ونزل عن الصليب، أي يريدون الإيمان بالمسيح بغير صليبه على غير الخطة الإلهية التي تجعل الصليب الغاية وطريق الخلاص ومحور الإيمان.

والرب شجب دفاع بطرس عنه بالسيف ساعة القبض عليه منتهراً إياه لاستخدامه القوة الجسدية كأنما الرب كان عاجزاً عن قهر أعدائه ومتسائلاً **"أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من إثنى عشر جيشاً من الملائكة؟ فكيف تكمَّل الكتب"** (مت ٢٦:٥١-٥٦). كما قال أيضاً **"الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها"** (يو١٨:١١). فالرب رفض أن يحقق انتصاراً صاخباً ضد القوى الغاشمة. ربما حاز إعجاب الناس إلي حين ولكنه في ذات الوقت يحقق شهوة إبليس ويحبط خطة الخلاص ويصير انتصاراً للموت وهزيمة الإنسان.

فالتدبير اقتضى ضعف الرب واستسلامه كي يرتفع على الصليب فيجذب إليه الجميع (يو ١٢:٣٢) ويتم الخلاص وينهزم إبليس الحية القديمة ويُقهر العالم "**ثقوا. أنا قد غلبت العالم**" (يو١٦:٣٣) وتُبطل الخطية (عب ٢:٩) والموت (٢تى١:١٠).

نعم.. من زاوية ما اجتمع في الصليب الضعف والإنكسار والخطية واللعنة والعار، ولكن قوة الدم سحقتها جميعاً، كي ينبع من الصليب قوة الله وبر الله ومجد الله، ولنستعدْ كلمات الكتاب :

"**لأنه وإن كَان قد صلب من ضعف لكنه حي بقوة الله فنحن أيضاً ضعفاء لكننا سنحيا معه بقوة الله من جهتكم**" (٢كو ١٣:٤)؛

"**لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه**" (٢كو٥:٢١)؛

"**الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر.. الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر**" (١بط ٢:٢٢-٢٤).

فهو أمام الكل بدا كأكثر الناس خطية، ودين وهو البار القدوس كمجدّف ومثير للفتن ومتعدٍّ على الناموس والقانون وتحققت فيه النبوات :

"**والرب وَضَع عليه إثم جميعنا.. وأُحصي مع أثمة وحمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين**" (إش٥٣:٥، ٢)؛

"**هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم**" (يو١:٢٩) "**متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح**" (رو٣:٢٤)؛

"**إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسّمراً إياه بالصليب**" (كو٢:١٤). فالمسامير التي اخترقت جسد الرب مزقت أيضاً صكوك خطايانا التي حملها عنا فسقطت عنا كل ديوننا؛

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة" (غل١٣:٣،٤). فاللعنة التي جلبتها الخطية للإنسان (تك٣:١٤، ١٧، ٤:١١، ٥:٢٩)، واللعنة التي يحملها ضمناً كل مذنب يعاقب برفع جثته على خشبة (تث ٢١:٢١-٢٣)، قد رفعها الرب عندما تحّملها هو لمّا قَبِل الصليب وحوّلها إلى بَركة (تث ٢٣:٥، أف ١:٣).

(٣) الصليب أكذوبة

وهناك هؤلاء الذين يعثرون في الصليب لأنه مقترن بالفداء والخلاص. والفداء عمل إلهي يتجاوز قدرة الإنسان المديون أصلاً ولايستطيع أن يسّدد ما على مديون آخر. و لم يجتمع قط الإله والإنسان بصورة كاملة إلا في الابن الوحيد يسوع المسيح. فالصليب والفداء (بالموت والقيامة) هو إعلان لاهوت المسيح أيضاً، وتجريد المسيح من صليبه يعني أيضاً قصر المسيح على إنسانيته دون لاهوته وأزليته وتجريده أيضاً من مجده وعمله وخلاصه وهدف مجيئه، وهكذا يُنتزع من المسيح تفرّده ليصير في أحسن الأحوال رسولاً بين الرسل أو نبياً بين الأنبياء لا يتميز عن غيره:

(ا) والقصة الأشهر في هذا الصدد أن الله قد أنقذ المسيح من الصليب(٣) وألقى شبهه على آخر (يهوذا أو أحد التلاميذ أو سمعان القيرواني الذي شارك في حمل الصليب) الذي قبض عليه وصلب بدلاً من المسيح. فالذي كان معلقاً على الصليب كان يشبه المسيح شكلاً وصوتاً ولكنه في حقيقته شخص آخر بينما رُفع المسيح إلى السماء. وما معنى أن يُرفع المسيح دون أن يحقق الفداء؟

---

(٣) آية سفر العبرانيين عن الرب وقت آلامه **"الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات للقادر أن يخلّصه من الموت وسُمع له من أجل تقواه من كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به وإذ كُمّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي"** (عب٥:٧-٩) تشير من ناحية إلى آلام حقيقية جازها الرب بالجسد وتضرع من أجل أن تعبر عنه (مت٢٦:٢٩، مر١٤:٣٥) **"وسُمع له"** لا تعني نجاته من الموت (كما تقول القصة) وإنما قيامته بعد الموت إذ أنه رغم الآلام أطاع كعبد متمماً الخلاص **"لأجل كل واحد"** (عب٢:٩) ممن **"يطيعون الإيمان"** (أع ٦:٧).

ماذا صنع إذاً؟ ولماذا جاء أصلاً؟ وإذا كان المسيح قد رُفع ونجّاه الله من الموت فما جدوى صلب شخص آخر (مع إبقاء هذا التدبير سراً قروناً إلى أن وردت هذه القصة!) ولماذا استسلم هذا الشخص الآخر للموت دون أن يكشف عن هويته وينقذ نفسه من هذا المصير الظالم.

والقبض على المسيح ومحاكمته وصلبه لم يتم في زاوية بل أمام رؤساء كهنة وشيوخ ووالٍ روماني وملك يهودي وجنود رومان وخدام الهيكل وتلاميذ الرب وجموع تبعته وتعرفه، فضلاً عن مريم أمه وأختها والمجدلية وغيرهم، وكانت هناك محاكمات وكلمات وأحداث لا يعقل أن تتم إن لم يكن الرب هو هو المصلوب. وإن اختلط الأمر على الكل (حتى على تلاميذه!!) فلم يكن لتختلط على أم عن ابنها.

والرب مات ودُفن وقام من الموت لأنه ابن الله الذي لا يسود عليه الموت، وشهود موته ودفنه وقيامته كانوا كثيرين. وقد بقيت آثار جراحه في جسده بعد قيامته، فالذي لمسته أيدي توما وسائر التلاميذ بعد القيامة هو هو الذي صُلب. ولا يمكن لمصلوب غير المسيح أن يقوم من الموت. **وحاشا للرب "القدوس البار"** (أع ٣:١٤) **و"المنزّه عن الكذب"** (تى١:٢) أن يكذب ويخدع ويغرّر بالناس أو حتى لا يكشف لتلاميذه هذا التدبير الطارئ المريب (بل والخديعة الكبرى) بما يتنافى مع كل ما عاهد الرب عليه تلاميذه وسائر البشر المنتظرين الخلاص، ويفتح الباب للشك في كل عهود الله وقوانينه.

(ب) ثم نأتي إلى هذه القصة المختلقة وعنوانها ما يسمى بـ **"انجيل يهوذا"** والتي تحولت إلى فيلم سينمائي يضاف إلى قائمة الأفلام التي تحاول جاهدة أن تشوّه شخص المسيح المبارك وتسلبه بره وكماله وقداسته وتُسقط عليه قصور البشر وخطيتهم (مثل "الإغراء الأخير للمسيح" و"شيفرة دافنشي")، وهذه القصة تنفي عن يهوذا خيانته وتخليه عن سيده، وأنه كان على العكس أقرب الجميع إلى الرب، وأن الرب هو من توّسل إليه كي يسلمه إلى أعدائه ليتم الصلب، وأن يهوذا أضطر مرغماً لتنفيذ مهمة تسليم الرب الثقيلة على قلبه

وتحمّل تهمة الخيانة طاعة لمن أحبه. أي أن صلب المسيح والفداء كان تواطؤاً وتدبيراً مشتركاً في الظلام بما يفترض تعاون المسيح ابن الله – الإله الحق والنور الحقيقي الذي لايعمل إلا في النور – مع الشيطان الكذاب وأبي الكذاب (يو٨:٤٤)، وكأن الشيطان صار شريكاً في الخلاص (!) ضد كل منطق وضد حق الإنجيل. والهدف أن تصبح قصة الصليب تدبيراً بشرياً يُلقي بالظلال على خطة الخلاص وبر المسيح وتثير الشكوك حول صدق كلمة الله وحول جدوى الإيمان بالمخلص.

والقصة في مجملها هي نتاج خيال شرير لا يستند إلى أي أساس وتدحضها بسهولة الأحداث التي سجلتها بالتفصيل الأناجيل الأربعة.

(جـ) وجه الصليب الآخر

كما رأينا، فالذين عثروا في الصليب فرفضوه نظروا إليه من أحد وجوهه: عدم ضرورته، أو ما مثّله من ضعف وانهزام بحسب الظاهر وربما لا يزالون يحلمون بمسيّا يرضون عنه غير مسيّا النبوات.

والذين لا زالوا يعثرون فيه حتى اليوم يرون فيه تفرّده (باقترانه بمن صلب عليه) وقبولهم له يعني إلغاءهم، ومن هنا فهم يعرضون عنه ويقدمون تصوّرهم الذي يجرد الرب من صليبه أي من مجده.

الرؤية الشاملة للصليب تكتشف فيه عِظَم الحب والقوة، الطريق والحق والحياة، المجد والفخر والانتصار والفصل الأخير البهيج من قصة الله مع الإنسان والعودة لا إلى جنة عدن القديمة وإنما إلى الفردوس والملكوت.

(١) مهما كانت النوايا والتبريرات، فاستبعاد الصليب من حياة المسيح، ومن ثم من حياة الناس، هو فكر شيطاني كما وصفه الرب نفسه عند انتهاره بطرس الذي كان يضغط على سيده أن يتفادى الصليب والموت قائلاً: "**اذهب عني يا شيطان**" (مت ١٦:٢٣، مر ٨:٣٣). استبعاد الصليب (كاستبعاد الموت

والقيامة) – على غير ما يُظن – يمثل هزيمة حقيقية للمسيح، وفضيحة وفشلاً وعاراً، ويشكّل في نفس الوقت انتصاراً ساحقاً لابليس وخيبة أمل عظمى للإنسان الذي يظل ساعتها تحت سيادة الخطية والموت ورئيس هذا العالم. والإيمان بمسيح لم يُصلب أو أُعفي من الصليب تكريماً له (أو حتى دبّر أمر الصلب بالحيلة والتواطؤ) هو إيمان لا يخلّص بل يضمن للإنسان موته الأبدي.

فالإيمان المسيحي مرتبط بشكل جذري بالصليب (وبالضرورة بالموت والقيامة)، والصليب هو محور الكرازة: "**نحن نكرز بالمسيح مصلوباً**" (١كو١:٢٣) "**لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً**" (١كو٢:٢)؛ "**أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً**" (غل ٣:١).

والمسيح ربط بصورة مباشرة بين الصليب والإيمان حينما طلب من **توما** الذي لم يصدق أن الرب قد قام بعد موته أن "**هات أصبعك إلى هنا وأبصر يديّ وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً**" (يو٢٠:٢٧)، كما جعل تلاميذه يرون يديه ورجليه المثقوبة ليكونوا شهوداً للخلاص (لو ٢٤:٤٠، أع ١:٨، ٢:٣٢، ٣:١٥، ٥:٣٢، ١يو ١:٢).

(٢) **الصليب هو إعلان محبة الله** التي لم تسقط يوماً منذ سقوط البشر (يو ٣:١٦، أف ٣:١٩)، وهو تحقيق وعد الله القديم أن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تك ٣:١٥).

الصليب هو الامتداد الطبيعي للتجسد وعلى دربه سار الرب فكان الخلاص والمصالحة والتبرير ودخولنا إلى الأقداس بلا لوم ولا شكوى أمام الله (كو ١:٢١، ٢٢)، ونصرة الحق (رؤ ٣:٢١، ٦:٢) وهزيمة ابليس وتوقف سيادة الموت (هو١٣:١٤، ١كو١٥:٥٥).

الصليب هو السلّم الذي نزل عليه ابن الإله لفداء الإنسان (نزل إلى الجحيم من قبل الصليب – القداس الباسيلي، **"نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى"**– أف ٤:٩)، والذي صعدنا عليه للدخول إلى حيث عرش الله.

(٣) الصليب هو قوة الله (١كو١:١٨، ٢٤). **هو مجد المخلص ومجد المخلَّصين.**

عندما اقترب الصليب من المسيح قال الرب لتلميذيه اندراوس وفيلبس **"قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان"** (يو١٢:٢٣)، وقال مناجياً أباه **"أيها الآب قد أتت الساعة. مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً... والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم"** (يو١٧:١، ٥). ولما خرج يهوذا بعد العشاء مدفوعاً بخيانته لتسليم السيد قال يسوع **" الآن تمجد ابن الانسان وتمجدد الله فيه"** (يو١٣:٣١).

وبعد قيامته قال الرب لتلميذي عمواس " أما كان ينبغي **أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلي مجده** " (لو٢٤:٢٦).

وعند دخول المسيح اورشليم وتسارع الأحداث نحو الصليب واحتفاء الجموع بالرب، يسجل الكتاب " وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً (عند حدوثها). **ولكن لما تمجد يسوع** (بالصليب والقيامة) حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له" (يو١٢:١٦).

وقبلها، في اليوم الأخير العظيم من عيد المظال، يذكر الكتاب أن الرب وقف ونادى قائلاً "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب... قال هذا عن **الروح** الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن **الروح القدس** لم يكن قد أُعطى بعد **لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد"** (يو ٧:٣٧-٣٩).

فالكتاب يربط بصورة مباشرة بين الصليب (وما تبعه من الموت والقيامة) وتمجيد المسيح، ومن هنا لم يكن ممكناً أن يُرسَل الروح القدس إلا بعد أن يتمجد الرب بالصليب والقيامة.

(٤) رغم الضعف البادي وطاعته الكاملة كعبد (أش ٥٣:١١، في ٢:٧، ٨)، وتسليم نفسه دون مقاومة، والاتهامات والمحاكمات الظالمة، والهزء والسخرية واللطم والتفل والتعرية والجلَد والضرب وإكليل الشوك ثم حمل الصليب إلى الجلجثة وفي النهاية دق المسامير في يديه ورجليه بالصليب ورفعه عليه وطعنه بالحربة، فإن الرب أظهر وسط كل هذا تماسكه وشجاعته وصموده أمام الظلم والقسوة ومجافاة الحق وتوجهه نحو الصليب دون خوف، وعدم محاولته تفادي ما يأتي عليه وقدرته على الرد والمواجهة بكرامة ملك حقيقي (زك٩:٩، مت ٢:٢، ١١:٢٧، ٢٩، ٣٧، مر ٢:١٥، ٩، ١٢، ٢٦، لو ٣٢:١، ٣٣، ٣:٢٣، يو ١٣:١٢، ١٥، ١٨: ٣٧، ٣٨، ١٩:١٩) (حتى وإن كان عرشه صليباً خشبياً وتاجه إكليلاً من شوك)، وأيضاً ترفّعه عن الرد عندما يشاء كصاحب سلطان، ولنترك المجال لكلمة الله تتحدث ففيها كل الحق:

"**قد أتت الساعة. هوذا ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الخطاة. قوموا لنذهب. هوذا الذي يسلمني قد اقترب**" (مت ٢٦:٤٥، ٤٦، مر ١٤:٤١، ٤٢) "**فقال له** (ليهوذا) **يا صاحب لماذا جئت**" (مت٢٦:٥٠)؛

"فخرج يسوع **وهو عالم بكل ما يأتي عليه. وقال لهم من تطلبون.** أجابوه يسوع الناصري. **قال لهم يسوع أنا هو ... فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً من تطلبون.** فقالوا يسوع الناصري. **أجاب يسوع قد قلت لكم أنا هو. فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء** (التلاميذ) **يذهبون**" (يو ١٨:٤-٨)؛

" وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. **فقال له يسوع رد سيفك إلى مكانه. وقال دعوا إلي هذا** (أي كفى عند هذا الحد) **ولمس أذنه وأبرأها**" (مت ٢٦:٥١، ٥٢، مر١١:٤٧، لو ٢٢:٥٠، ٥١)؛

"في تلك الساعة **قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذوني. كل يوم كنت أجلس معكم أعلّم في الهيكل ولم تمسكوني...**" (مت٢٦:٥٥، مر ١٤:٤٨، ٤٩، لو ٢٢:٥٢، ٥٣)؛

"فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. **أجاب يسوع أنا كلمت العالم علانية... وفي الخفاء لم أتكلم بشئ. لماذا تسألني أنا. اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلّمتهم**.. ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة. **أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد علي الردي وإن حسناً فلماذا تضربني؟**" (يو ١٨:١٩-٢٣)؛

فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله (ابن المبارك) **قال له يسوع أنت قلت** (أنا هو) **وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء**" (مت٢٦: ٦٣، ٦٤، مر١٤:٦١، ٦٢، لو ٢٢:٦٩، ٧٠)؛

"ولما كان الصباح... أوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي... فسأله **الوالي قائلاً أأنت ملك اليهود. فقال له يسوع أنت تقول**" (مت ٢٧:١، ١١، مر١٥:٢، لو ٢٣:٣)،"أجاب يسوع **مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا**. فقال له بيلاطس أفأنت إذا ملك. **أجاب يسوع أنت تقول أني ملك لهذا ولدت أنا. ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق**" (يو١٨:٣٦، ٣٧)؛

"وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جداً. وسأله بكلام كثير **فلم يجبه بشئ**" (لو٢٣:٨، ٩)؛

"وقال ليسوع من أين أنت. **وأما يسوع فلم يعطه جواباً**. فقال له بيلاطس أما تكلمني. ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك. أجاب يسوع **لم يكن لك على سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق. لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم**" (يو١٩:٩-١١)؛

"... والنساء اللواتي كن يلطمن أيضاً وينحن عليه. فالتفت إليهن يسوع **وقال يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن**" (لو ٢٣:٢٧، ٢٨).

وسائلاً من أجل صالبيه يقول الرب في عمق آلامه " **يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون**" (لو ٢٣:٣٤) ويخاطب اللص "**الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس**" (لو٢٣:٤٣).

كما لم ينسَ أمه المحبوبة "فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً **قال لأمه يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك**" (يو ١٩:٢٦، ٢٧).

فحملنا للصليب وقبولنا الآلام والتمييز من أجل الإيمان لا يعني تخاذلنا أو خوفنا أو فقدان كرامتنا الإنسانية أو كراهيتنا لمن يضطهدوننا أو حرصنا على ما تبقى من أيامنا أو انحصارنا في آلامنا بما يحجب عنا هدفنا الأبقى والأعظم وهو بيتنا الأبدي.

سيُنتزع الخوف منا وسنكتسب صلابة وقدرة على المواجهة لو كان هدف حياتنا واضحاً وإيماننا بالمسيح ثابتاً عميقاً لا يهتز، ويقيننا بحضور الله معنا يطرد أي شعور بالاغتراب أو الوحدة في ضيقتنا أو أن يقتحم الاضطراب قلبنا "**إن كان الله معنا فمن علينا**" (رو٨:٣١) أو كما قال الرب "**وأنا لست وحدي لأن الآب معي**" (يو١٦:٣٢).

(٥) الكنيسة في ترتيباتها وطقوسها تضع الصليب، علامة المسيح والمسيحيين (مت٢٤: ٣٠)، في الصدارة، وتضعه على مبناها وكل أدواتها، وترسم الصليب في بدء كل صلاة وتقرنه بالثالوث، وتحتفي به في عيدين، وتخصص اسبوعاً لآلام الرب يختمه تذكار الصليب والموت والقيامة، واختارت الكنيسة من الكتاب بعهديه في صلوات أسبوع البصخة كل ما يتعلق بخلاص الرب وآلامه، وتسبحه ملكاً كما تسبحه الملائكة في السماء "**لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا..**"(رؤ٥: ١٢، ١٣، ٧: ١٢)، فهي تعامله **كالملك المصلوب أو المصلوب الملك.**

❁ ❁ ❁

الصليب هو الباب الملكي المفتوح على المجد الأبدي. فكما تبعثْه قيامة الرب هكذا كل من سار في طريق الصليب تابعاً سيده سيدخل معه ملكوته. وهو ينتصب بيننا وبين العالم كأنه حدود الدولة. فهو العازل وهو وسيلة الاتصال "**الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم**" (غل٦: ١٤).

والالتزام بالصليب هو الشرط الذي وضعه الرب لمن يريد أن يكون له تلميذاً (لو١٤: ٢٧) " **ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني**" (مت ١٠: ٣٨). والحياة بحسب الصليب تعني الالتصاق بالرب وطاعة الإنجيل والسلوك بالإيمان والقبول بكل خسارة مع دوام التوبة والاستقلال الصارم عن العالم الحاضر، والعبادة القلبية المقدمة لله والمتوشحة بالروح، والحياة الروحية المستقيمة التي لا تعرف العرج بين الفرقتين.

والرب حذّر من خيانته : "**من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات**" (مت١٠: ٣٣) "**لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل**

الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين" (مر٨:٣٨).

فهل أنت تحمل الصليب فخوراً أنك نلت نعمة الإيمان؟

أم أن الصليب صار ثقلاً وتبعية الرب أضحت عبئاً، حتى أنك من حيث لا تدري ضيّق به وبشكل ما أنت ضمن الجماعات التي تعثر فيه؟

فربما أنت تخاف الغد أو تتوجس منه قلقاً علي مستقبل أولادك في مجتمع مضاد؟ او لعلك تشعر بالاضطهاد(٤) وتتبرم بالتمييز ويؤّرقك أنك ضمن أقلية (٥) دينية لاتنال كامل حقوقها المدنية؟

هل تسلل إلى قلبك كراهية الآخر تحت وطأة التمييز؟ وهل انتقلت من رحابة المحبة إلى انحصار حبك في طائفتك وأهلك؟

هل تفكر جدياً في الهجرة (٦) إلى بلاد لا تعرف التمييز العنصري والدين؟

---

(٤) ليس الاضطهاد قَدَراً لا فكاك منه. وكثير من الدول في عالم اليوم لا تعرف التمييز الديني أو العنصري. والدول التي لا تراعي حقوق الإنسان والمواطنة تتعرض للعزلة والإدانة. فهل تسقط وصية حمل الصليب كحتمية لتبعية الرب؟ لا لن تسقط. فحتى في غياب الاضطهاد الديني فإن ابليس المشتكي علينا يظل على موقفه المناوئ من كل مؤمن. وبالتالي فمسيرة المؤمن مع المسيح تظل محاطة بالأشواك سواء من عالم الشر والفساد والظلم خارجه أو من آلام الجسد أو شهواته ومحبة العالم من الداخل.

(٥) تذّكر أن الرب كشف لنا أن من سينالون الملكوت هم أيضاً أقلية **"لأن كثيرين يُدعون وقليليون يُنتخبون"** (مت٢٠:١٦، ٢٢:١٤).

(٦) نحن هنا لا نقصد أن ندين الهجرة سعياً وراء ظروف أفضل للحياة، وهي أمر واقع منذ فجر البشرية، ولكننا ندين التبرم بحمل الصليب والشهادة للمسيح. وربما لا يعرف البعض أن ملايين من مسيحيي الشرق الأوسط (من فلسطين ولبنان والعراق)، وهم سكانه الأصليون، الآن يهجرونه،وبينهم نصف مسيحيي العراق (حيث عاش إبراهيم ودانيال)، ومدينة بيت لحم، مسقط رأس المسيح، تكاد تخلو حالياً من كل أتباع المسيح!!

هل من السهل التخلّي عن الإيمان وتبعاته وخيانة المصلوب من أجل المال أو العمل أو المركز أو بسبب علاقة عاطفية أو من أجل الزواج (شاباً كنت أم فتاة)؟(٧)

التحرر من الصليب هو واحد من الاختيارات بالنسبة لمن اعتمدوا في طفولتهم ولكن لم يمارسوا الإيمان: عاشوا بالجسد و لم يختبروا في حياتهم معرفة الله وعشرته ومحبته، وظلوا مسيحيين أو مسيحيات بالاسم دون أن يكون لهم من الإيمان المسيحي غير شكله ورسمه، ربما يعبدون بشفاههم أما قلبهم فمبتعد عن الله بعيداً (مت١٥:٨، مر ٧:٧).

على العكس من هؤلاء، فإن الذين جازوا مع الرب اختباراً حقيقياً وكان الإيمان عندهم حياة بأكملها، لا يمكن أن يجول بخاطرهم ولو إلى لحظة أن يتخلوا عن سيدهم أو يطرحوا صليبه صليبهم مهما كان الثمن، لأن الصليب هو لهم قوة الله وخلاصه وحكمته ومحبته ومشاركته آلامهم وضيقاتهم، كما هو مجدهم الأبدي، ولأنهم ينظرون لا إلى ما يرى بل إلى ما لايرى (٢كو ٤:١٨)، ولأنهم يصدقون كلمات الكتاب :

" إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضا معه" (رو ٨:١٧)

"إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه

"إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه

"إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا

"إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه" (٢تى٢:١١-١٣)

وكلمة الله تخاطب الكل اليوم وغدا وكل يوم:

---

(٧) رغم أن انكار المسيح والارتداد عنه لا يزال يصدمنا بين الحين والحين من هؤلاء الذين لم يذوقوا الرب أو يختبروا محبته، إلا أننا في ذات الوقت نشكر إلهنا الذي لم ينس خليقته، وها هي الكرازة بالصليب والمصلوب تمتد إلي كل ركن قصيٍّ من المعمورة كي نخلّص علي كل حال قوماً.

"**جربوا أنفسكم. هل أنتم في الإيمان. امتحنوا أنفسكم**" (٢كو١٣:٥)

حول الترتيبات الطقسية لأسبوع الآلام

اجتمع لأسبوع الآلام ما لم يجتمع لغيره من جلال المناسبة وعلاقته المباشرة للخلاص، والمتابعة الدقيقة الإنجيلية والنبوية لخطوات السيد نحو الصليب، فضلاً عن تفرّده بألحان تأخذ بمجامع القلوب وتتداخل فيها نغمات الحزن والفرح(١).

وألحان أسبوع الآلام هي بالفعل قمة العبقرية الموسيقية للمسيحي المصري القديم المعّبرة عن نفس روحية سامية وقلب ممتلئ بمحبة الله وكلماتها هي الأخري مختارة بإلهام إلهي معجز. وحتي عند استخدام قطع من القداس الإلهي فإن هذه في أسبوع الآلام لها ألحانها الخاصة (مثل قطع الساعتين السادسة والتاسعة، طاي شوري وتي شوري: المجمرة الذهب، آجيوس : قدوس الله)، بل

(١) مثل "أومونوجينيس..يا وحيد الجنس"، أو "بيك إثرونوس.. كرسيك (أو عرشك) يا الله" ، أو "غولغوثا .. الجلجثة (لحن الدفن)"، وغيرها.

أن مقدمة وختام النبوات والعظات والطروحات تم تلحينها هي الأخري مما جعل هذا الأسبوع وترتيباته الطقسية شيئاً متميزاً عن باقي المناسبات الكنسية.

ومن ميزات هذا الأسبوع اشتراك الشعب في كل جوانب العبادة، فهم يرددون معاً تسابيح كثيرة شهيرة لها مغزاها العميق مثل (**ثوك تيه تي جوم..لك القوة والمجد والبركة والعزة..**، أو **ابؤرو انتيه تي هيريني .. يا ملك السلام..**، أو **كيرياليسون.. يا رب ارحم**..بمتنوعاتها اللحنية العديدة)..كما يشاركون في قراءة النبوات والمزامير والأناجيل وينالون بركة الصلاة والتأمل، كما يدركون فيما يقرأون ويسمعون وحدة الكتاب المقدس بعهديه، وأزلية شخص المسيح المبارك وأنه قطب العهدين معاً.

لهذا كله فإن لأسبوع الآلام موضعاً في كل قلب. وأكثر المؤمنين يحرصون علي الاشتراك في صلواته صباحاً ومساءً، وخاصة يوم الجمعة العظيمة حيث تمتد الخدمة منذ الصباح الباكر حتي قرب الغروب دون انقطاع .

رغم هذا الغنى في المناسبة والترتيبات التي تصاحبها، إلا أن هناك بعض الجوانب السلبية (وأكثرها ناجم عن تغير العصر والظروف) التي تتدخل لتعطل فائدة المؤمن الروحية، أو تحمل إليه الملل، أو تصيبه بالتشتت فيبذل الجهد مضاعفاً لتركيز ذهنه فيما يسمع ويرى، او تدفعه للحزن وهو يرى تناقض بعض ما يسمعه مع ما هو مفترض فيه من خلوّه من القصور كلمةً ومعنىً وأسلوباً وتركيباً وتجانساً مع الواقع.

وقد اخترنا أن نعرض لبعض ما يثور حوله الجدل خاصةً ما يتعلق بالجوانب **الأربعة التالية**:

(١) الطِلبة

الطلبة التي يتلوها الأب الكاهن في نهاية كل فترة من فترات البصخة وأحياناً في نهاية كل ساعة من ساعاتها (كما في الجمعة العظيمة)، مرتبة بحيث

تحوي تقريباً كل نواحي احتياجات المؤمن والكنيسة سواء الروحية أو المادية **ولكن يلاحظ** :

+ جنوحها أحياناً إلى المطالب الجسدية والمادية والبركات الأرضية (ابهج قلب الانسان بكثرة ثمرات القمح والخمر والزيت.. بارك في كيل غلاتهم ومخازنهم... فهل هي هذه البهجة والبركة التي نطلبها في أسبوع آلام الرب؟) بما يعطي الانطباع أنها ربما كتبت في ظروف ضعف روحي سائد.. كما أن التوسل من **أجل رفعة شأن المسيحيين في المسكونة – وليس سيادة اسم المسيح وشهادة المؤمنين بشخص المسيح** – (والتي يتعالى عنده لهج البسطاء من العابدين) يراه الروحيون مناوئاً للاتجاه المسيحي الرافض لمملكة في هذا العالم (يو١٨:٣٦، عب ١٣:١٤) تعويضاً عن آلام الاضطهاد.

+ افتقارها أحياناً إلى الترابط المنطقي والتداعي الطبيعي للمعاني (أصلّي بالروح وأصلي بالذهن أيضاً -١كو١٤:١٥) كما في الفقرة التي **تطلب ممن** "اشبع الآلاف من الخمس خبزات، وأقام الأموات، وبارك في العرس بقانا الجليل" أن يبارك لعبيده في خبزهم وزيتهم وخمرهم..الخ".. فهل هذا هو التفسير الكتابي لهذه المعجزات التي تكشف عن لاهوت الرب وتقديمه جسده ودمه عن حياة العالم علي الصليب وفي سر الشكر، خاصة والطلبة تأتي في أسبوع آلام الرب الذي يتوِّجُهُ الصليب والموت وتأسيس سر الأفخارستيا؟.. وهل يليق أن نفهم هذه المعجزات من جانبها المادي المحدود بدل أن نطلب من أجل البركة في جهادنا ومواهبنا المحدودة وأن يقيمنا الرب من الخطية المسببة للموت، ويحل بالفرح في حياتنا الداخلية.

+ قصورها عن تغطية كل احتياجات جمهور المؤمنين وهي تبدو مناسبة لمجتمع الفلاحين والتجار الذين كان سائداً قبل زمان (لاحظ : زرعهم وغلاتهم وزيتهم وخمرهم ونحلهم ومتاجرهم وصنائعهم ومباشراتهم)، ولكن المجتمع الصناعي،

الذي يسود الآن، يحتاج إلى طلبة من أجل (مكاتبهم ومصانعهم وشركاتهم ومعاهدهم ومعاملهم..الخ).

+ **احتواؤها على معان غير مناسبة لمجتمعنا** الذي يعيش في القرن الحادي والعشرين... فتعبير (صوناً للحريم)، فضلاً عن كلمة الحريم المنفرة (وبعض الكهنة لتخفيف اللفظ استبدل بها كلمة النساء)، يبدو انعكاساً لما هو سائد في المجتمعات المتخلّفة التي تعتبر المرأة مصدراً للشر والعار بينما تبتلع خطايا الرجال. والحقيقة أن الجميع في حاجة إلى عناية الله لئلا يسقطوا، رجالاً كانوا أم نساء، شباباً أم شيباً.. وبالتالي فأنه يصعب تبرير هذه الطلبة مسيحياً، وأفضل منها أن يقال مثلاً (**طهارة لكل شعبك**).

+ **ثم هذا التوسل للعذراء من أجل أن تحارب عن ملوكنا الأرثوذكسيين...** وليس القصد بالطبع حرباً روحية، وإنما حرب لرد الاعتداء أو للتوسع. فالملك الأرثوذكسي يمارس الحرب هنا كرئيس للدولة لأسباب مختلفة ليس من بينها بالتأكيد الدفاع عن مجد المسيح فهذا لا يكون بالسيف، ومن هنا فالطلبة مناوئة لروح المسيح واتجاه الكتاب المقدس. **فضلاً عن أنه ليس هناك حالياً ملوك أرثوذكس فجميع الدول يرأسها رؤساء منتخبين. هذه إذاً طلبة خارج العصر وتتناقض مع الدولة المدنية والفصل المفترض بين ما لقيصر ومالله.**

+ بعض أجزاء الطلبة يتعامل مع أفراد الشعب المسيحي لا كمواطنين ضمن دول وإنما كجماعة من المستضعَفين لا حقوق لهم في الأرض ويطلبون عطف المسئولين (صلوا لكي يعطينا الله رحمة ورأفة أمام السلاطين الأعزاء **وَيعطِّف قلوب المتولين علينا بالصلاح في كل حين**). هذا لا يليق في عصر يحترم حقوق الإنسان ويجعل كل المواطنين من كل جنس ولون وعقيدة متساوين أمام القانون متمتعين بكامل حقوقهم دون توسل.

+ هناك أيضاً حاجة إلي إعادة صياغة بعض الفقرات واستبعاد بعض الكلمات الغريبة علي اللغة المعاصرة كما في الأمثلة التالية :

السلامة العالية وتآلف سائر البيع التي في العالم (السلام الكامل وتآلف أو وحدة كنائس العالم)، **والقيام بأحوالها** (القائمين عليها)، **والمربوطين من جهة رباطات إبليس** (المتسلِّط عليهم إبليس)، **أئمة للمؤمنين ومناراً للدين** (قادة للمؤمنين ونوراً للعالم)، **يا ناصر جميع المتوكلين عليك** (المتكلين عليك)، كتب القراءة (كتب القراءات الكنسية)، **المُشفي** (الشافي)، **إليك نسأل** (نسألك)، **ديارات** (أديرة، لأن ديارات هي جمع ديار أي بلاد)، **إيليا التسبيتي** (التِشْبي)، **إبعد عنهم اليمين الحانثة** (احفظهم من نكث العهود أو النكوص عن التوبة أو الأرتداد عن الإيمان،أما اليمين، حانثةً كانت أم غير حانثة، فلا يمكن تبرير ذكرُها بأي حال لأنها ببساطة ضد الوصية!).

ونظن أن مجرد ذكر هذه النماذج كاف لأن يدعونا لمراجعة الطلبة مراجعة شاملة وإعادة صياغتها من جديد.. **بل لم لا تكون هناك طلبات عديدة بدل طلبتي الصباح والمساء السائدتين حالياً والمتشابهتين كثيراً** (والتي تتكرر احداهما ست مرات خلال يوم الجمعة العظيمة)، فتكون هناك مثلاً طلبة مناسبة لكل ساعة منها، فنتلافى نواحي القصور، وننشّط ذهنية المؤمن الروحية بالمعاني المتجددة التي لا تعطي للملل مكاناً، ويسهم آباء هذا الجيل بنصيبهم في إثراء الذخيرة الروحية للكنيسة.

(٢) الطرح

الطرح هو التفسير الذي يتلى في ختام كل ساعة من ساعات البصخة. **وفي كثير من الأحيان لا يضيف الطرح جديداً إلى ما قرئ خلال الساعة. وفي أحيان أخرى يفسر تفسيراً بسيطاً يخلو من العمق المطلوب.** وعموماً فإن الطرح مقتضب بصورة واضحة حتى أن اغفاله تماماً لن يغيّر كثيراً. ويكاد يكون قصد الطرح هو تفسير القراءات القبطية باللغة العربية لجمهور بدأ في التحول من اللغة القبطية إلى العربية، وهو غير الحال السائد الآن.

ونعتقد أن هناك الحاحاً على وضع طروحات لقراءات البصخة أكثر مناسبة مما هو سائد حالياً. ورغم أن هناك تفاسير أخرى في الكنيسة – لا تُتداول تقريباً في غير الأديرة – كتفسير النبوات وعظات لآباء الكنيسة، **إلا أن أكثرها يفتقر إلى الأسلوب العصري الذي يجتذب ذهن السامع**. لقد كان الكاتب أو المفسر يكتب لغة عصره وبالطبع فإن هذه تفقد ملاءمتها من جيل إلى جيل.

وإذا كنا ندعو إلى صقل هذه الكتابات ومراجعتها فأننا في ذات الوقت ندعو آباء الكنيسة في هذا الجيل لتسجيل عظات كثيرة تتضمن تفسيراً لقراءات كل ساعة ولتستخدم حسب ظروف كل كنيسة، وهي ستكون بالتأكيد ذات فائدة لكنيسة لا يتوفر لها كاهن يتقن الوعظ والتفسير.

(٣) استخدام اللغة القبطية في القراءات

المشكلة تتمثل هنا في استخدام لغتين (العربية والقبطية) في قراءة نبوات ومزامير وأناجيل أسبوع البصخة (وليس ألحانه)، وهذه لكثرتها وطولها تصير تلاوتها بلغتين عبئاً ليس له ما يبرره ومضاعفةً للوقت في ما لا فائدة روحية واضحة من ورائه للمؤمن العادي والعامي البسيط وهم الغالبية (١كو ١٤:٩).

وقد حُلّت هذه القضية جزئياً في أغلب كنائسنا **بقصر القراءة باللغة القبطية على الفقرة الأولى من النبوة وفي بعضها على الفقرة الأولى (وأحياناً الأخيرة أيضاً) من الأنجيل. أما المزمور القبطي فأنه مُلحّن** ولتعدد ألحانه بقى كما هو، وإن كان البعض قد عمد إلي تركيب اللحن على المزمور العربي وهي محاولة تحتاج إلي تقييم، وإن كانت تلقى قبولاً عاماً.

على أنه لا تزال هناك كنائس إلى اليوم – رغم قلة عددها – تلتزم بقراءة كل أناجيل البصخة باللغة القبطية، فإذا كان القارئ غير مؤهل للقراءة القبطية

وتلحين الإنجيل بصورة معزية، عندها يصبح الاستماع لكلمة الله – ويا للحزن – عبئاً ثقيلاً ينوء تحته الضعفاء وغير الضعفاء. وقد يلجأ البعض إلى القراءة في الكتب التأملية المتعلقة بالصليب وما يناسب البصخة بصفة عامة أثناء القراءة القبطية للإنجيل ولكن ضميرهم يثقلهم أثناء ذلك بأنهم يتجاهلون سماع الإنجيل حتى ولو بالقبطية.

وقد يجتهد البعض في التأمل في المصلوب وقت هذه القراءات ولكن ليس الجميع لهم هذه الموهبة خاصة إذا لم يتوفر الهدوء المناسب.. وفي كل الحالات فإن الكثيرين حتى من محبي الكنيسة وطقوسها والمواظبين على صلواتها يحسون بإزاء هذا الموضوع أنهم في مأزق ويتطلعون إلى حل تقدمه لهم الكنيسة.. كأن يعمم في كل الكنائس قراءة أجزاء محدودة من الأناجيل القبطية، أو دمج القراءة القبطية للأناجيل الأربعة الخاصة بكل ساعة من ساعات الجمعة العظيمة في فصل واحد كما يجري في **الكنيسة السريانية** حيث يُتلى في كل ساعة منها فصلٌ مُجمّعٌ من الأناجيل الأربعة معاً.

ولن يكون الهدف طبعاً في النهاية هو اختصار الوقت لراحة الركب المرتخية وإنما هو الاستفادة بكل دقائق الأسبوع فيما يعزي وينعش ويتوّب ويملأ القلب والذهن ويحفظه من التشتت أو الهروب.

ومن الممكن للكنيسة أن تضيف إلى الترتيبات الطقسية ما يثريها ويكملها، أو على الأقل فإن الوقت الفائض من اختصار القراءات القبطية يتيح التمهل والتأمل في سائر الصلوات بدل أن يضطر الكاهن إلى الإسراع – خاصة في الساعات الأخيرة – عندما يرى أن الوقت المتبقي لا يكفي للقراءات والألحان العديدة التي تنتظر دورها، مما يؤثر بصورة سلبية على جمال ورزانة الصلاة في هذا الأسبوع الجليل.

(٤) الميطانيات

المفروض في الميطانيا أنها **ركوع وسجود وانحناء بالرأس حتى التراب أمام الله** التماساً لمراحمه وتذللاً بسبب خطايا الإنسان المسببة لآلام المسيح. وقد رتبت الكنيسة أن تأتي الميطانيا في ختام هذا اليوم العظيم، وقبل طقس الدفن مباشرة، مائة مرة في كل الاتجاهات الأصلية الأربعة[٢] (وهي المرة الوحيدة كل عام التي تتجه فيها الكنيسة بالصلاة إلى غير ناحية الشرق) إعلاناً ضمنياً على أن الله يملأ الكل وليس منحصراً في الشرق وحده.

والمشكلة هنا أن أداء الميطانيا كما ينبغي يكاد يكون مستحيلاً في كل كنائسنا – وهي تزدحم في هذا اليوم ازدحاماً عظيماً – ولا يتاح إلا لعدد قليل ممن يقفون في هيكل الكنيسة أو لمن يصلون في الأديرة (وعدد من يتجهون إليها في أسبوع الآلام آخذ في الازدياد عاماً بعد عام).

وبالتالي تعذر الركوع والسجود ولم يبق سوى احناء الرأس بالخشوع اللائق وترديد كيرياليسون بكل انسحاق. ولكن هذا الحد الأدنى يصير في أغلب الأحيان متعذراً بسبب ما يصاحب هذه الممارسة من عجلة: من ناحية لكثرتها ومن ناحية للانتهاء من الصلاة بعد يوم طويل حافل **بالجهاد والجهد. وهذه العجلة تجعل حتى مجرد الانحناء عملاً آلياً متلاحقاً كأننا في سباق، وقد لا يستطيع الكثيرون مواصلة السجود الجزئي بهذه السرعة**، بينما هم يطلبون فرصة لالتقاط أنفاسهم. كما أن التذلل والتوسل يتطلبان الحركة الهادئة الخاشعة وهذه لا تتوفر مع الايقاع السريع الذي يهتم في الأساس بالانتهاء من الميطانيات الاربعمائة بأي شكل في وقت محدود.

---

(٢) إلى عهد قريب كانت بعض الكنائس تضيف في ختام الميطانيات الأربعمائة ٥٠ ميطانيا أخرى في اتجاه الشرق (وكان يزج هنا باسم العذراء دون تبرير مقنع) ولكن هذه الاضافة آخذة في الاندثار.

وقد يبدو مطلب البعض باختصار عدد الميطانيات لأدائها بصورة متزنة هادئة معقولاً ولكن آثاره السلبية كثيرة ويكفي أنه يفتح الباب لاختصارات لا تنتهي يثيرها الفاترون الذين توقفوا عن الجهاد، ولكنها دعوة جديرة بالمناقشة على أي حال: **فإما أن يتاح الوقت الكافي والخشوع اللائق مع أربعمائة ميطانيا كاملة ينحني خلالها جميع العابدين معاً** (٣)، **وإما أن يتناسب عدد الميطانيات مع الوقت المتاح حتى يكون انشغالنا الأول هو في عبادة مقبولة تُدخل إلى القلب العزاء والسلام**، وليس مجرد الأداء الشكلي المتعجل الذي يترك النفس فارغة بلا شبع.

❖ ❖ ❖

في النهاية نريد أن نقول أن الكثيرين يلاحظون جوانب القصور هذه فيلجأون- وإنما كل بطريقته - إلى إدخال التعديلات لتلافيه(٤) وبالتالي تتعدد الأنظمة داخل الكنيسة الواحدة وقد يكون ذلك مدخلاً لأن تفقد الكنيسة وحدة الطقس والترتيب التي هي احدى جوانب تقليدية الكنيسة.

ومن هنا فتدخل الرئاسة الكنسية أمر ضروري إذا شئنا أن نتفادى الحلول الفردية والنظرة الشخصية المتفاوتة وهو أمر يخالف اتجاه الوحدة الكنسية بروحها الواحد وسلوكها الجماعي.

وبصفة عامة فإن جوانب عديدة من الطقوس الكنسية تحتاج إلي مراجعة شاملة لاهوتياً ولغوياً وتقرير مدي ملاءمتها للتنفيذ مع ظروف المؤمنين المتباينة.

---

(٣) وقد يُنظر في تعديل موقع الميطانيات من ختام يوم الجمعة العظيمة إلى ساعة الصلب مثلاً (الساعة السادسة)، أو تقسيم الميطانيات على الساعات الأربعة الأخيرة من البصخة.

(٤) فبعض الكنائس اتخذت "طلبة" خاصة بها، وغيرها أدخلت الترانيم الموزعة هارمونياً بين فقرات اليوم، وغيرها يعدّل ويحوّر في الكلمات التي يراها غير مناسبة، والبعض يختصر القراءات القبطية، والبعض يتلو الترجمة العربية للالحان القبطية الرئيسية مع شرحها. ونحن لا ندين هذه المحاولات، فهي اجتهاد شريف القصد، كما أن بعض الترانيم معزية جداً، ولكن المهم ألا تترك الحرية للتعديلات ويصبح لكل كنيسة اتجاهها الخاص بها.

وليس القصد هو تراجع الكنيسة عن أي مبدأ روحي انجيلي أو عن اتجاهها النسكي في العبادة الذي هو أحد سماتها الأصيلة وعنوان تفردها، وانما التعديل ينصّب أساساً على التطبيق والشكل بما يؤدي إلى تلافي العيوب المشوهّة لوجه الكنيسة المشرق.

ولا ننسى أنه قد تمت على مر السنين تعديلات في نواحي كنيسة عديدة: فأسبوع الآلام مثلاً كان يحتفل به مستقلاً ثم ضُمّ ليلتحم مع الصوم الكبير. والقراءات الكنسية في البصخة تعرضت للتعديل في عهد البابا غبريال بن تريك فبعد أن كان الكتاب يُقرأ كله بعهديه خلال أسبوع الآلام اقتصر الأمر فيما يتعلق بالعهد القديم على أجزاء مختارة منه لها علاقتها المباشرة بموضوع الفداء سواء ما هو نبوي أو رمزي أو ما يشير إلى خطة الله للخلاص.

ومع رهبة المسئولية، ومن ثم احجام كثيرين من آباء الكنيسة السابقين عن التصدي لإجراء التعديلات في النواحي الطقسية رغم عدم عصمتها إلا بمقدار اتفاقها مع نصوص الإنجيل وروحه ومع التقليد الرسولي، فإن آمالنا تتجمع في قداسة البابا شنوده والآباء المطارنة والأساقفة، أي في الجيل الروحي المتنور، الذي يدرك من جوانب القصور أكثر مما نعرف وعنده الشجاعة الروحية وروح القيادة والمعرفة للمبادرة باتخاذ كل ما يبني الكنيسة ويحفظ لها كمالها وقداستها وطاعة المؤمنين وإخلاصهم لها واقتناعهم بكل ترتيباتها ونظمها.

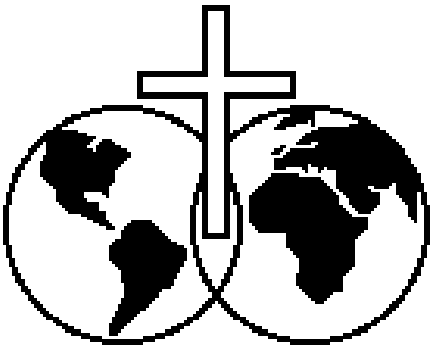

" أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا " (يو ١١:٢٥)

القيامة والكرازة

+ القيامة والكرازة

+ قوة من الأعالي

+ أتحبني ... ارع خرافي

القيامة والكرازة

العلاقة بين القيامة والكرازة علاقة عضوية. فإرسالية المسيح لتلاميذه ببشارة الخلاص **للخليقة كلها**، كانت **بعد قيامته** وانتصاره على الموت وتحقيق الخلاص. وكان محور بشارة التلاميذ (والرسل) هو **قيامة الرب**، وكانت شرعية قيادتهم للكنيسة تستند إلى أنهم **شهود القيامة** .

لماذا كانت للقيامة كل هذه الأبعاد؟ وماذا عن عمل الرب وكرازته قبل الصليب والقيامة؟ ثم أَلَم يُرسِل الرب تلاميذه للخدمة قبل الصليب والقيامة. فماذا كانت، إذاً، إرساليتهم الأولى هذه؟ وماذا حقَّقوا خلالها؟ وكيف تمّ إعدادهم وقتها للكرازة بالصليب والقيامة؟

أولاً: عن خدمة الرب قبل الصليب

من الطبيعي ألاَّ يُرسل الرب تلاميذه للبشارة بإنجيل الخلاص قبل تحقيق الخلاص، أي قبل الصليب والقيامة.

وعندما نتابع خطوات المسيح خلال سني خدمته الثلاث ونصف، نلاحظ أنه رغم الإشارات الكثيرة التي ربطت بينه وبين الصليب منذ البداية: ولادته بين الخراف المُعدَّة للذبح، "**اسمه يسوع. لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم**" (مت١:٢١)، شهادة يوحنا المعمدان أنه "**حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم**" (يو ١:٢٩)؛ إلاَّ أنه لم يُفصِح عن ذلك إلاَّ في أواسط خدمته.

كما أن عمومية الخلاص لم تتكشَّف في البداية. **فخدمة الرب كانت تبدو موجَّهة أساساً إلى اليهود خاصته** (يو ١:١١) والمؤتمنين على الناموس والعهود والعبادة والمواعيد، والذين "**لهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد**" (رو ٩:٤و٥). والرب يُصرِّح "**لم أُرسَل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**" (مت ١٥:٢٤). وحتى عندما كانت له اثنتا عشرة سنة وتخلَّف عن رفقة أُمه العذراء ويوسف النجار، وجداه في هيكل أورشليم "**جالساً في وسط المعلِّمين يسمعهم ويسألهم**" (لو ٢:٤٦). وفي كرازته المُبكِّرة، استخدم الرب مجامع اليهود في السبوت وما يُقرأ في الأسفار ويشير إلى نبوَّات الأنبياء عنه (لو ٤:٢١). وبشارته **للأُمم** في هذه المرحلة (**الكنعانية** مت ١٥:١٢-٢٨، مر ٧:٢٤-٣٠؛ **قائد المئة** مت ٨:٥-١٣، لو ٧:٢-١٠)، كانت استثناءً مقصودًا لإظهار أن التبنِّي سيكون لكل مَنْ يقبل الإيمان (يو ١:١٢)، فيصير مِنْ ثَمَّ **ابناً لإبراهيم** بالإيمان (رو ٤:١٦، غل ٣:٦و٢٩).

والرب يُبشِّر باقتراب ملكوت الله ويُنادي بالتوبة والإيمان بالإنجيل (مر ١:١٥)، ويطلب الالتزام الروحي بالناموس لا التمرُّد عليه (مر١:٤٤)؛ ولكنه لا يكشف كيف سيتحقَّق الخلاص، وحتى كلمات يوحنا المعمدان: "**هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم**" (يو ١:٢٩و٣٦) لا تُفصح عن كيف سيتم ذلك.

وفي الموعظة على الجبل (مت ٥-٧، لو ٦) توجيهات في السلوك

واستقامة العبادة المتَّجهة إلى الله لا إلى الناس، وتأكيد على دور الإنسان الجديد كملح للأرض وكنور للعالم، وتكميل الناموس، وتجاوز لمستوى الكتبة والفرِّيسيين الشكليين، وتهيئة الإنسان لنوع أفضل من الحياة (يو١٠:١٠) تتطلَّب وصايا تناسب هذه الحياة الجديدة. **ربما كان الباب الضيِّق والطريق الكَرب هما التلميح اللافت لاجتياز الضيقات لدخول الملكوت.**

ثم يستخدم الرب **معجزات الشفاء**، التي كثيراً ما يُقْرِنها **بغفران الخطايا** (مت ٩:١-٨، مر ٢:١-١٢)، **وإظهار سلطانه على الطبيعة** (مت ٨:٢٣-٢٧، مر ٤:٣٥-٤١؛ ٦:٤٧-٥١) في تنبيه الجموع إلى لاهوته وبنوَّته للآب، وقبل كل شيء محبته للبشر.

كما يستخدم الرب **المَثَل** في التعليم الذي يُلفت النظر مباشرة إلى **ملكوت السموات** (مت ١٣:٣-٥٠، مر ٤:٢٦-٣٤، لو ١٣:١٨-٢١) مقابل هذه الحياة الأرضية المؤقتة التي لا يصح أن نكتفي بها، وأنَّ هذا الملكوت يُغصَب (مت ١١:١٢، لو ١٦:١٦)، ولكنه لا يكشف وقتها عن كيف ننال هذا الملكوت؟

على أن الرب - في إرساليته الأولى للتلاميذ - بدأ يتكلَّم عن **الصليب** الذي يجب أن يحمله مَنْ يريد أن يتبعه ويكون له تلميذاً (مت١٠:٣٨؛ ١٦:٢٤و٢٥، مر ٨:٣٤؛١٠:٢١، لو ٩:٢٣؛١٤:٢٧). وبعدها أشار مراراً إلى **موته وقيامته** (مت١٦:٢١،مر٨:٣١؛٩:٣١؛١٠:٣٣و٣٤؛ لو٩:٢٢؛ ١٧:٢٥؛ ١٨:٣١-٣٣، يو ٣:١٤-١٧) وبَذْل نفسه **فدية** عن كثيرين (مت ٢٠:٢٧، مر ١٠:٤٥). ولكن تلاميذه لا يدركون حتمية هذا الحل حتى أن بطرس أخذ ينتهر الرب ويحثّه ألاَّ يقبل هذه النهاية (مت ١٦:٢٢، مر ٨:٣٢)،

قبل أن تتسارع الأحداث بالفعل وتتصاعد نحو الجلجثة.

ثانياً: المسيح يختار تلاميذه ويعدُّهم للكرازة

كانت معمودية المسيح من يوحنا المعمدان إعلاناً عن بدء خروجه إلى العالم، يُكلِّله هذا الظهور الإلهي الفريد للثالوث القدوس: **روح الله** نازلاً مثل حمامة وآتياً على **الابن** الصاعد للتوّ من مياه الأردن، وصوت **الآب**: "**هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ**" (مت ٣:١٧) تتردَّد أصداؤه في الوادي في مشهدٍ مجيد غير مسبوق (مت ٣:١٧، مر ١:١٠و١١، لو ٣:٢٢، يو ١:٣٢).

بعد معمودية المسيح أخذ يوحنا المعمدان يُنادي في البرية مُبشِّراً **بالمسيَّا** الذي انتظرته الأجيال شاهداً أن يسوع هو ابن الله (يو ١:٢٩-٣٤)، حتى أثار اهتمام تلاميذه بشخص المسيح، وبدأ بعضهم يسعى للتعرُّف عليه. ويذكر معلِّمنا يوحنا الإنجيلي (يو ١:٣٥-٤٠) أن أندراوس ورفيقاً له تبعا يسوع، الذي دعاهما ليمكثا معه طيلة اليوم. **وكان هذا اللقاء لقاءً بهيجاً غيَّر مسار حياتهما**، فأخبر أندراوس أخاه سمعان: "**لقد وجدنا مسيَّا**" (يو ١:٤١)، وأتى به إلى يسوع. وفي لقاء سمعان به، غيَّر المسيح اسم "سمعان" إلى "صفا" أو "بطرس" (يو ١:٤٢). هذه كانت بداية التعارُف.

ثم جاء **يوم الاختيار والتعيين**. فبعد أن استخدم الرب سفينة **بطرس** كمنبر لتعليم الجموع المزدحمة على الشاطئ، طلب إليه الدخول إلى العمق وإلقاء الشباك، وكان الصيد الكثير الذي لم يَفُزْ به بطرس ورفقاؤه الليل كله. عندها أدرك بطرس الفارق الشديد بين خطيته وقداسة الرب وخرَّ تائباً (لو ٥:٨)، فدعاه فاحص القلوب - هو و**أندراوس** أخاه وشريكيه **يعقوب ويوحنا** ابني زبدي - لكي يصيروا صيادين للناس لشركة الحياة الأبدية (مت ٤:١٨-٢٢،

مر ١٦:١-٢٠، لو ١٠:٥). ومن بيت صيدا، مدينة بطرس، دعا الرب أيضاً **فيلبُّس وبرثلماوس (نثنائيل)** (يو ٤٣:١-٥٠). ومن مكان الجباية دعا الرب **لاوي (متَّى)** (مت ٩:٩)، ثم **توما ويعقوب بن حلفى وتدَّاوس (يهوذا)** أخا يعقوب **وسمعان القانوي** (الغيور)، **وأيضاً يهوذا الاسخريوطي** الذي أسلمه (مت ٢:١٠-٤، مر ١٦:٣-١٩، لو ١٣:٦-١٦).

وكما نرى، فقد اختار الرب تلاميذه من بسطاء الناس العاميين لكي يُظهِر فيهم قوته ومجده وليُخزي بهم حكماء العالم. ورغم أنه من المنطقي أن يختار المسيح تلاميذه من رجال الدين العارفين بالناموس، إلاَّ أن هؤلاء كانوا على الأغلب محترفين حَرْفِيِّين مُرائين حتى أن الرب شبههم بالقبور المُبيَّضة من الخارج (مت ٣:٢٣-٣٦، لو ٣٩:١١-٥٢). وبالتالي فقد تم رذلهم وتنحيتهم، وأُخفيت عنهم معرفة المخلِّص التي قَبِلَها هؤلاء "الأطفال" الصيَّادون (مت٢٥:١١، لو ٢١:١٠)، فطوَّب الرب عيونهم وآذانهم (مت١٦:١٣و١٧، لو ٢٣:١٠و٢٤). وربما قيل إن **بولس** كان فرِّيسياً متعصِّباً، ولكن الأمر احتاج أن يظهر له الرب في الطريق إلى دمشق في مشهد زلزل كيان شاول الطرسوسي، وحوَّله من مضطهِد للكنيسة إلى بولس أعظم المبشرين بالخلاص على مدى التاريخ.

لقد تَرَك التلاميذ كل شيء وتبعوا السيد (مت ٢٢:٤، مر ٢٠:١، لو ١١:٥)، وبدأوا في مرافقته في جولاته في المجامع، حيث كان يُعلِّم ويشفي المرضى (مت ٢٣:٤؛ ٣٥:٩، مر ١٤:١). وفي عظة المسيح على الجبل كان التلاميذ يلتفون حوله يستمعون ويتعلَّمون (مت ١:٥، لو ٢٠:٦)، ويرون معجزاته، وإخراجه للشياطين التي كانت تشهد للاهوته، وسلطانه على الطبيعة، وغفرانه للخطايا (مت ٢:٩، مر ٥:٢، لو ٢٠:٥؛ ٢٤:٨)، وغيرته على بيت أبيه (يو ١٤:٢-١٧).

كانت كرازة التلاميذ في أيامها الأولى (مت ١٠، مر ٦، لو ١:٩-٦؛

١٠:١-٢٤) موجَّهة **إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** (مت ١٠:٦)، وألاَّ يمضوا في طريق الأُمم أو مدن السامريين؛ وإطار عملهم هو التنبيه إلى اقتراب الملكوت (أي اقتراب الخلاص المؤدِّي إلى الملكوت)، وعمل المعجزات، وأن يسيروا على نهج معلِّمهم فلا يقتنون مالاً ولا مزودًا، متحمِّلين كل الأتعاب من أجل الذي أرسلهم، ومستندين إلى روح أبيهم السماوي الذي يتكلَّم فيهم (مت ١٠:٢٠).

كانت عين المعلِّم على تلاميذه، فهؤلاء هم الخميرة الصغيرة التي ستخمِّر العالم كله (١كو ٥:٦، غل ٥:٩). فهُم رفقاؤه الدائمون، يسجِّلون مواقفه في قلوبهم وعقولهم، ويُشاهدون معجزاته، ويسمعون كلماته، وربما يشرح لهم وحدهم ما يغمض عليهم فهمه (كما في مَثَل الزارع: مت ١٣:١٨-٢٣، مر ٤:١٠-٢٠). وهم يرونه يُصلِّي (لو ٩:١٨) كما كان يُعلِّمهم كيف يصلُّون (لو ١١:١-٤)، **حتى لم تَعُد لهم حياة إلاَّ معه: "يا رب إلى مَنْ نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك"** (يو ٦:٦٨). وقد كشف لهم أسرار ملكوت السموات، وعلاقته بالآب والروح القدس، في أحاديث لم يسمعها أولاً إلاَّ هم، قبل أن تُتاح لكل مَنْ يؤمن من خلال الأناجيل المكتوبة. وجعلهم يعرفون مَنْ هو: **"أنت هو المسيح ابن الله الحيّ"** (مت ١٦:١٥-١٩، مر ٨:٢٩، لو ٩:٢٠، يو ٦:٦٩)، وأعطاهم مفاتيح ملكوت السموات، وأن يحلّوا ويربطوا على الأرض. وحدَّثهم عن موته وقيامته وأنه سيأتي في مجد أبيه (مت ١٦:٢٧؛ مت ٢٤)، وأنهم في مجيئه الثاني سيجلسون على كراسي يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر (مت ١٩:٢٨). وسمعوا كلامه أنه **نور العالم** (يو ٨:١٢)، وأنه **المُحرِّر** (يو ٨:٣٦)، وأنه **الراعي الصالح** (يو ١٠:١١و١٤)، وأنه **الطريق والحق والقيامة والحياة** (يو ١١:٢٥؛ ١٤:٦).

وقد أعدَّهم السيد للكرازة فيما بعد للأُمم بإشاراته أن كثيرين من غير اليهود، بل من العشارين والزواني، سيأتون من المشارق ومن المغارب ويتَّكئون

مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت الله (مت ٨:١١؛ ٢١:٣١، لو١٣:٢٩)؛ وبما ذكره من أمثال في نفس المجال: مَثَل الابنين (مت٢١:٢٨-٣٢)، ومثل الكرَّامين (مت٢١:٣٣- ٤٤، مر١٢:١-١٢، لو٢٠:٩-١٩)، ومثَل عُرْس ابن الملك (مت ٢٢:١-١٤).

وقد تفرَّد التلاميذ أيضاً بأن شهدوا تجلِّي الرب على جبل تابور (مت ١٧:١-٨، مر ٩:٢-٨، لو ٩:٢٨-٣٦)، وبأنَّ السيد غسل أرجلهم (يو١٣:١٢-١٧)، وأنه ناولهم جسده ودمه قبل أن يصيرا هبة الابن لكل مَنْ يؤمن (مت ٢٦:٢٦-٢٩، مر ١٤:٢٢-٢٦، لو ٢٢:١٩و٢٠)، وسمعوا حديثه الوداعي الطويل ليلة الصَّلْب (يو ١٤-١٦) الذي وعدهم فيه بإرسال الروح القدس المعزِّي، وشاهدوه في صلاته الشفاعية - ومهمته تقترب من نهايتها - سائلاً من أجلهم (يو ١٧).

كانت هذه الفترة، إذاً، **تدريباً وإعدادًا وتعليماً وتنويراً وتلمذة**، قبل أن تباغتهم الأيام الصعبة وينكشف المستور عن كيف يتحقَّق الخلاص، فيجتازون المحنة بصور مختلفة، إلى أن تأتي القيامة الباهرة ومعها فرح لقاء السيد بعد انتصاره. **ومن خلال الصليب والقيامة، كان فَهْم ما سمعوه قبلاً ولم يستوعبوه: "فتذكَّرْنَ كلامه"** (لو ٢٤:٨).

ثالثاً: الكرازة بعد القيامة

نُلاحظ أن الرب في لقائه الأول بعد قيامته المظفرة مع تلاميذه، كلَّفهم بالكرازة بالخلاص، انطلاقاً من أورشليم وإلى العالم أجمع. إذاً، فقد دقت ساعة العمل العظيم:

"أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متَّكئون، ووبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يُصدِّقوا الذين نظروه قد قام. وقال لهم: **اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**. مَنْ آمن واعتمد خَلَصَ، ومَنْ لم يؤمن يُدَنْ" (مر ١٦:١٤-

١٦)؛

"دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، **فاذهبوا وتَلْمِذوا جميع الأُمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**... وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين" (مت ٢٨: ١٨-٢٠)؛

"**هكذا كان ينبغي أنَّ المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأنْ يُكرَز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأُمم، مُبتدأً من أورشليم. وأنتم شهودٌ لذلك**" (لو ٢٤: ٤٦-٤٨)؛

"ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع أيضاً: سلامٌ لكم. **كما أرسلني الآب أُرسلكم أنا**" (يو ٢٠: ٢٠و٢١).

رابعاً: الكرازة بالقيامة

نلاحظ أيضاً **أن القيامة هي موضوع الكرازة**، إذ أنها تكشف عن لاهوت وقوة المسيح المنتصر على الموت الذي استعبد الجميع (عب ٢: ١٥)، "لأعرفه **وقوة قيامته**" (في ٣: ١٠)، كما أنها تحتوي الصليب وتستدعيه بالضرورة؛ بل تجلّيه وتُحقِّق كل ما قَصَدَ إليه من فداء ومُصالحة: "**عاملاً الصُّلح بدم صليبه**" (كو ١: ٢٠)؛ وغفران الخطايا: "**ودم يسوع المسيح ابنه يُطهِّرنا من كل خطية**" (١يو ١: ٧)؛ وإدانة للعالم الشرير ورئيسه: "الآن **دينونة هذا العالم**" (يو١٢: ٣١)، "**لأن رئيس هذا العالم قد دِينَ**" (يو ١٦: ١١)؛ ودخول إلى الحياة الأبدية: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، **لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٦). وهنا نقتطف أجزاء من خطاب بطرس الرسول يوم الخمسين يشير إلى هذه الحقيقة:

"يسوع الناصري... هذا أخذتموه... وبأيدي أَثَمَة صلبتموه وقتلتموه. **الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت** إذ لم يكن مُمْكناً أن يُمسَك منه. لأن داود يقول فيه: ... **لأنك لن تترك نفسي في الهاوية** ولا تَدَعَ قدُّوسك يرى فسادًا...

فيسوع هذا **أقامه الله، ونحن جميعاً شهودٌ لذلك**" (أع ٢:٢٢-٣٢).

وقد كانت أوراق اعتماد أي تلميذ أو رسول، هي أنه كان مع الرب بعد قيامته: "**واحدٌ منهم شاهداً معنا بقيامته**" (أع ١:٢٢)، "الذي كان من البدء، **الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإنَّ الحياة أُظْهِرَتْ، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا**" (١يو ١:١و٢). وكانت دلالة صدق هذه الشهادة وحقها أن التلاميذ واصلوا طريق الكرازة حتى نهايته باذلين حياتهم من أجل سيدهم الذي أحبهم ومات من أجلهم. ولو كان خبر القيامة مختلقاً أو أكذوبة أشاعها التلاميذ، لما صدَّقوها هم أنفسهم وقَبِلوا الموت من أجل مسيحٍ غَلَبَه الموت ولم يَقُم.

ومن ناحية أخرى، فإن قيامة المسيح "**باكورة الراقدين**" (١كو ١٥:٢٠) هي ضمان القيامة الأخيرة لكل مَنْ يؤمن، وإعلان الخلاص الأخير؛ وإلاَّ فباطلٌ إيماننا، وموت الخطية لا يزال يحكمنا (١كو ١٥:١٦-١٩):

"إنْ يُؤلَّم المسيح، يَكُنْ هو **أول قيامة الأموات**" (أع ٢٦:٢٣)؛

"مُبارَكٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة وَلَدَنا ثانيةً **لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات**، لميراث لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل، محفوظٌ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون، بإيمانٍ، **لخلاصٍ مُسْتَعَدٍّ أن يُعلَن في الزمان الأخير**" (١بط ١:٣-٥).

خامساً: القيامة في الطقس الكنسي

لقد ظلت القيامة والاحتفاء بها جزءًا لا يتجزَّأ من العبادة الكنسية وطقوسها وألحانها وقانون إيمانها: "**تألَّم وقُبِرَ وقام في اليوم الثالث كما في الكُتُب**". فيوم القيامة (الأحد) صار هو يوم الرب الجديد ويوم الاحتفال

الإفخارستي الأسبوعي، وضمن ألحانه تنشد الكنيسة: "**هلليلويا، هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، فلنفرح ونبتهج فيه**"، وتختم ألحاناً كثيرة بـ "لأنك **قمتَ وخلّصتنا**"؛ إدراكاً منها أن القيامة تُكمِّل عمل الصليب الخلاصي. وفي كل قدَّاس يهتف المؤمنون: "**بموتك يا رب نُبشِّر، وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات** نعترف".

أما في الخماسين المقدسة، فيطوف الكهنة والخُدَّام الكنيسةَ في كل قداس بأيقونة القيامة، يتقدَّمها الصليب، وذلك بعد قراءة الإبركسيس (أعمال الرسل) وقبل قراءة الإنجيل؛ إشارةً إلى أن القيامة هي محور الكرازة منذ الكنيسة الأولى، وأنها سر النهوض من موت الخطية بعمل الصليب. وينشد المُرتِّلون أثناء الدورة: "**المسيح قام من بين الأموات**" (باليونانية: "**خرستوس آنستي إك نكرون**"، وبالقبطية" "**Πιχριcτοc ⲁⲛⲧⲱⲛⲓ ⲉⲃⲟⲗⲍⲉⲛ ⲛⲏⲉⲛⲙⲟⲩⲧ**").

وحتى في الجنازات ـ أيام الخماسين المقدسة ـ فالصلوات تكون بلحن الفرح، وتبدأ أيضاً بـ "خرستوس آنستي"، لأن التأكيد على قيامة المسيح هنا هو الرجاء الوحيد المُتاح في مناسبة كهذه. ولا شك أن هذا الترتيب يُحدِث أثره في تعزية المؤمنين وإخراجهم من سجن الحزن إلى يقين الحياة الأبدية؛ بل إننا نتمنى لو بدأنا كل صلوات الجنازات على مدى العام بلحن: "**المسيح قام من بين الأموات**"، لأنه الردّ المباشر على حضور الموت، عدونا الأخير.

✞ ✞ ✞

أما بعد، ففي تناولنا للعلاقة بين القيامة والكرازة، عرضنا إلى خدمة الرب الأولى: كيف بدأت؟ وإلى ما هدفت؟ وكيف أظهر الرب أن طريقه يمر بالصليب والقيامة فداء للبشر الذين أحبهم.

وبعد أن اختار الرب تلاميذه بدأ في إعدادهم للعمل الكرازي، بالتعليم والمعجزة والقدوة. وإذا كان الصليب قد زلزل كيانهم؛ فإنَّ القيامة قد

أنهضتهم، وكشفت لهم قوة مخلِّصهم وكمال فدائه، ووهبتهم إيمانهم المُفتقَد والاستعداد للخدمة. وما أن حلَّ الروح القدس عليهم، حسب وعد الرب، حتى خرجوا يُبشِّرون بالخلاص، ويفتنون المسكونة، وهم يكرزون للجميع بقيامة الرب الفادي التي ظلت محور فرح الكنيسة وشدوها على مدى الأجيال.

قوة من الأعالى

لأربعين يوما بعد قيامته، ظل الرب يظهر لتلاميذه يساندهم ويشددهم ويعّدهم لإرساليتهم العظمى **ببشارة الخلاص** للعالم "**اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**" (مر١٦: ١٥) "**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**" (مت٢٨: ١٩، ٢٠)، ويتكلم معهم "عن الأمور المختصة بملكوت الله"(أع١: ٣).

وفى لقائه الأخير بتلاميذه، أكد الرب على كل ما سبق أن أوصاهم به وعلمهم إياه، وكيف تحققت فيه نبوات الأنبياء فاتحا ذهنهم لكى يفهموا الكتب قائلا: "**هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير.. وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئا من أورشليم وأنتم شهود لذلك**"

(لو٢٤: ٤٤-٤٨)، ثم أعلن لهم وعده "ها أنا أرسل إليكم موعد أبى فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا **قوة من الأعالى**"(لو٢٤: ٤٩).

ويذكر **القديس لوقا** فى مقدمة سفر أعمال الرسل أن الرب "أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا **موعد الآب**... لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير... لكنكم **ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهودا** فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة **وإلى أقصى الأرض**"(أع١: ٤، ٥، ٨).

ويذكر الكتاب أن **الرب** بعد ذلك خرج مع **تلاميذه** إلى **بيت عنيا** ورفع يده وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم **وأُصعد إلى السماء** وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم.. **فسجدوا له** ورجعوا إلى أورشليم **بفرح عظيم** (لو٢٤: ٥٠-٥٢، أع١: ٩، ١٢).

وفى **يوم الخمسين** وكان الجميع معا بنفس واحدة، **تحقق الوعد الإلهى وحل الروح القدس** على التلاميذ "وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت.. **وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس** وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا"(أع٢: ٢-٤).

إذاً فقد جاءت **القوة** التى وعدهم الرب بها، وهى **قوة من الأعالى**.

ضرورة نوال القوة من فوق

نحن جميعا، خداما كنا أم مؤمنين عاديين، نحتاج إلى **قوة من فوق** لكى نمارس مسيحيتنا فى المقام الأول. إن حياتنا الجديدة ليست منا وإنما هى ثمر الخلاص، الذى وهبه الرب لنا بموته وقيامته، وعمل الروح القدس.

وكلمات الرب واضحة: "**بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**" (يو١٥: ٥). والوحى الإلهى يؤكد **أننا خلصنا بالنعمة** (أف٢: ٥، ٨)، أى إنعاماً إلهياً مجانياً،

وأن كل أعمالنا لا تنتسب إلينا بقدر ما تنتسب إلى نعمة الله "**لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها**" (اف٢: ١٠) وبولس المتوشح بالنعمة يقول "**أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى**"(فى٤: ١٣).

فوصايا الرب مستحيلة بدون شركة المسيح وعمل الروح، وبالمسيح وفي الروح تصير "**وصاياه ليست ثقيلة**"(١يو٥: ٣).

وسلوكنا بالروح، **وانفصالنا** عن روح العالم ونصرتنا على رئيسه، وقدرتنا على احتمال الآلام، ويقيننا بأبديتنا، **هذا كله عطاء إلهى**. ودورنا هو الإيمان ["**آمن فقط**" (مر٥: ٣٦، لو٨: ٥٠)]، **وطاعة حق الإنجيل** (يو٢: ٥، ٢تس١: ٨، ١بط١: ٢، ٢٢، ٤: ١٧)، **وتسليم الحياة** ["**سلّمنا فصرنا نُحمل**" (اع٢٧: ١٥)]، **وأداء الواجب** ["احملوا نيرى عليكم" (مت١١: ٢٩)، "عملنا ما كان **يجب** علينا"(لو١٧: ١٠)، "املأوا الأجران"(يو٢: ٧)، "ارفعوا الحجر... حلّوه ودعوه يذهب"(يو١١: ٣٩، ٤٤)]. فنحن نقدم القليل الذى عندنا: الخمس خبزات والسمكتين (مت١٤، ١٧، مر٦: ٣٨، لو٩: ١٣، يو٦: ٩) وهو يمنح البركة الفائضة، بل ويقيم من الموت: موت الخطية وموت الجسد.

وبالنسبة للتلاميذ – ولكل الخدام من بعدهم – **فوصية المسيح** لهم بألا يشرعوا فى خدمتهم إلا بعد أن يتوشحوا **بقوة الروح**، الذى سيرسله إليهم سريعاً، هى **الأمر الإلهى** واجب الطاعة والنصيحة الذهبية التى تضمن نجاح الخدمة.

وكلمات الرب للتلاميذ وسائر الخدام خلال أيام خدمته على الأرض، وخاصة فى خطابه الوداعى ليلة الآلام، تكشف عن هذه الضرورة ، وهو يشير إلى دور الروح فى الكرازة والتعليم ومؤازرة عمل الابن الخلاصى ومساندة الكارزين بالقوة والتعزية إلى النهاية: فهو "**روح الحق**" (يو١٤: ١٧، ١٥: ٢٦) "**المعزى**" (يو١٤: ١٦، ٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ٧)، الذى "**يمكث معكم إلى**

الأبد"(يو١٤: ١٦)، والذى "**يشهد لى**"(يو١٥: ٢٦)، وهو "**يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم**"(يو١٦: ١٤، ١٥)، وهو "**يعلمكم** كل شئ **ويذكركم** بكل ما قلته لكم"(يو١٤: ٢٦) "لأن لستم أنتم المتكلمين **بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**" (مت١٠: ٢٠، مر١٣: ١١)، كما أنه "ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس" (١كو١٢: ٣)، وهو "يبكت العالم على **خطية** وعلى **بر** وعلى **دينونة**"(يو١٦: ١٠).

وفى حياتنا اليومية فالروح القدس هو **كنز الصالحات ومعطى الحياة، وروح الإيمان** (٢كو٤: ١٣) **وروح القوة والمحبة والنصح** (٢تى١: ٧)، **وهو واهب القداسة** (مز٥١: ١١، رو١: ٢٤، ١كو٣: ١٦، ١٧، ٦: ١٩، أف١: ١٣، ٢: ٢١، ٤: ٣٠)، **والوداعة** (١كو٤: ٢١، غل٦: ١) **وسائر ثمار الحياة فى المسيح** (غل٥: ٢٢، ٢٣).

ومعلمنا القديس بولس يخصص جزءا كبيرا من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس **عن مواهب الروح القدس** (١كو١٢-١٤) خاصة ما يتعلق بالخدمة: كلام حكمة، كلام علم، إيمان، مواهب شفاء، عمل قوات، نبوة، تمييز الأرواح، أنواع ألسنة، ترجمة ألسنة "**ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء**"(١كو١٢: ١١).

وفى رسالته إلى أهل غلاطية يحثّهم على **السلوك بالروح** كى ينالوا ثماره: "**محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف**" (غل٥: ٢٢، ٢٣).

نحن إذاً **لا نستطيع أن نكون مسيحيين بدون المسيح والروح القدس**.. القوة التى أفاضها علينا من فوق. والذين هم فى الجسد "لا يستطيعون أن يرضوا الله" (رو٨: ٨) و"**إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك** (أى المسيح) **ليس له**" (رو٨: ٩) أما "**كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله**"(رو٨: ١٤).

مجالات لعمل قوة الروح

القوة التى وعد بها الرب تلاميذه من الأعالى لا حدَّ لمجالات عملها.

إنها تشمل كل جوانب الحياة المسيحية للمؤمنين كما إنها تهيمن على كل أمور الخدمة من تعليم الأطفال وحتى رسامة الأساقفة، مرورا بكل خدمات الكنيسة المتنوعة والكرازة بالمسيح للمتغربين.

وسنختار فيما يلي بعضا من هذه المجالات وهى السلوك بالروح، وخدمة الكرازة، والشهادة للمسيح:

أولا: قوة من الأعالى للسلوك بالروح والتوبة المتجددة

هذا مجال أساسى لعمل الروح القدس فى حياة كل مؤمن وخادم، سواء فى جانبها الإيجابى من نواحى العبادة والسلوك الروحى، وجانبها السلبى من رفض الخطية والانسلاخ من العالم الشرير.

فأى نشاط روحى لابد أن يستند لقوة من فوق كى ينجح ويتواصل، وبدون هذه القوة تتزلق النفس إلى الرياء والتدين الشكلى وإرضاء الناس وتتعرض النفس بالتالى لخطر فقدان المسيح.

والكتاب يوصينا أن "**اسلكوا بالروح** فلا تكملوا شهوة الجسد" (غل٥: ١٦)، وأن الله لم يعطنا روح الفشل "**بل روح القوة والمحبة والنصح**" (٢تى١: ٧). ومعلمنا بولس يصلى إلى الرب من أجل أهل أفسس "كى يعطيكم بحسب غنى مجده **أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم .. ولكى تمتلئوا إلى كل ملء الله**"(اف٣: ١٦-١٩).

ولن يستغنى مؤمن أو خادم عن مؤازرة الروح لممارسة عبادته من صلاة وصوم وتوبة متواصلة واشتراك فى القداس ومحبة الإخوة وحفظ كلمة الله والالتزام بها وطاعتها. فنحن "**لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى**"(رو٨: ٢٦)

كما يكتب معلمنا بولس إلى أهل روميه. وقد نصوم عن الطعام فقط ودون توبة وهكذا لا نتغير، وقد نقرأ الكتاب دون طاعة أو التزام ونظل متغربين عن الكلمة، وقد نشترك فى صلاة القداس ونحن لا ندرك حضور المسيح وروحه والذهن شارد فى العالم الخارجى وهموم الحياة ومشاغلها، ونحن قد نكون مسيحيين اسميين ولم نلتفت بعد إلى وصية الرب أن ننكر أنفسنا ونحمل صليبنا ونتبعه (مت١٦: ٢٤، مر٨: ٣٤، لو٩: ٢٣)، ففى هذه كلها **نحن نحتاج إلى عمل المسيح وقوة الروح القدس** القادر وحده على "**ختان القلب**"(رو٢: ٢٩)، والذى به نستطيع أن نميت أعمال الجسد فنحيا (رو٨: ٣٣).

ولا شك أن للخدام الملتزمين دورا فى جذب الشاردين وتوجيههم لنوال هذه القوة كى يفلحوا مثلهم فى **رفض الخطية** ومقاومتها، **والانسحاب من محبة العالم** والمال وتعظم المعيشة، **والترفع عن الانحراف السلوكى** كألوان الغش (فى الامتحانات أو فى الإنتاج الزراعى أو الصناعى أو الأعمال الحرفية)، أو استخدام الرشوة، أو الانخراط فى علاقات جسدية غير سوية تغذيها الشهوة، وغيرها.

ثانيا: قوة من الأعالى لخدمة باذلة للكرازة والتعليم

فى مجال الخدمة تكون القيادة بلا منازع للروح فى الكرازة "لأن لستم أنتم المتكلمين **بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**"(مت١٠: ٢٠)، "وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل **ببرهان الروح والقوة** لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس **بل بقوة الله**"(١كو٢: ٤، ٥) "لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما **يعلمه الروح القدس** قارنين الروحيات بالروحيات"(١كو٢: ١٣)؛ "أنا غرست وأبلوس سقى **لكن الله كان ينمى** إذاً ليس الغارس شيئا ولا الساقى **بل الله الذى ينمى**"(١كو٣: ٦، ٧).

كلمات خادم الله التى يرسلها الروح، مقولةً كانت أم مكتوبة، لا ترد فارغة بل تنخس القلوب وتغير الحياة وتهب الإيمان. وعظة قصيرة للقديس بطرس حولت ثلاثة آلاف دفعة واحدة "**قبلوا كلامه بفرح واعتمدوا**" (أع٢: ٤١)، "**وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**" (أع٢: ٤٧).

وفى الكنيسة الأولى كان الروح هو كاتب الأناجيل والرسائل (٢بط١: ٢١)، وهو الذى كان يسمح بالخدمة (أع٨: ٢٦، ١٣: ٢، ١٦: ٩) أو يمنع عنها (أع١٦: ٦)، وهو الذى كان يرأس المجامع (أع١٥: ٢٨)، وهو الذى شدد الكنيسة وسط المحن والضيقات (اع٤: ٣٢، ٩: ٣١، ١٢: ٥)، وهو الذى وحَّد جماعة المؤمنين وجعلهم "معا بنفس واحدة" (اع٢: ٤٦).

وعلى مدى الزمان فالروح هو الذى يدعو ويرسل ويتكلم ويمنح قوة الكلمة المغّيرة والمعزية، وهو الذى يهيئ القلوب للإيمان والتوبة، وهو الذى يساند كل خدمة صغرت أم كبرت.

وإلى اليوم وغدٍ، **فالروح قادر ومستعد لمؤازرة الخادم، وكل مؤمن يدرك مسئوليته كشاهد للمسيح وخادم لكل البشر، فيتوارى وراء الصليب تاركا للروح قيادة دفة الحياة والخدمة، وقابلا الكلمة على أنها مرسلة له قبل أن ترسل للآخرين، ممارسا للتوبة كأنه أول الخطاة** (١تى١: ١٥)، **متضّعاً سائلا الروح قبل كل خدمة وخلالها أن يتفضل ويحل ويعمل ويرسل ويتكلم ويخدم. وبغير ذلك يظهر الإنسان ويتوارى الروح وتتبدد الخراف.**

ثالثا: قوة من الأعالى للشهادة للمسيح وقبول الآلام من أجله بفرح

عندما دعا الرب تلاميذه أن يكونوا شهودا له بدءاً من أورشليم وحتى أقاصى المسكونة، أى أن يعلنوا للعالم شهادتهم عن المسيح المصلوب والذى

غلب الموت وقام فى اليوم الثالث، والذى "**ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص**"(أع٤: ١٢)، كان يعرف أنه يرسلهم مثل **حملان وسط ذئاب** (مت١٠: ١٦، لو٧: ٣)، وأنهم يقتحمون مملكة رئيس هذا العالم لكى ينقذوا أتباعه من موت الخطية مختطفين إياهم من النار لينضموا إلى خراف المسيح التى لن تهلك، وهى مهمة محفوفة بالمخاطر لن يستطيعوا القيام بها إلا **بقوة خاصة تأتيهم من الأعالى**. وهكذا استطاعوا بها أن يعلنوا شهادتهم للعالم بكل مجاهرة "**وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة يسوع**" (أع٤: ٣٣)، "وفى الليلة الثالثة وقف به الرب وقال ثق **يا بولس لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً** "(أع٢٣: ١١)، "فقال الرب لبولس برؤيا فى الليل **لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأن لى شعبا كثيرا فى هذه المدينة** (كورنثوس) فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم كلمة الله" (اع١٨: ٤-١١) "ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال **إذهبوا قفوا وكلموا الشعب فى الهيكل بجميع كلام هذه الحياة**"(اع٥: ١٩، ٢٠).

أما محور الكرازة كلها فهو المسيح المصلوب المنتصر على الموت "لم أعزم **أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً** "(١كو٢: ٢)، وهو الذى يدين له التلاميذ والرسل بخلاصهم من الموت، وهو إذ أحبهم حتى المنتهى ومات عنهم فهم يبادلونه حبا بحب ومستعدون لاحتمال الآلام بل وقبول الموت من أجله بفرح "**أما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسِبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه**"(أع٥: ٤١).

وفى حديثه لقسوس كنيسة أفسس يتكلم معلمنا بولس عن الآلام التى تنتظره قائلاً "**لست أحتسب لشئ ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله**"(اع٢٠: ٢٤).

ولما جاء القديس بولس إلى قيصرية وحثه المجتمعون ألا يصعد إلى أورشليم خوفا على حياته أجابهم قائلا "تبكون وتكسرون قلبى، **لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً فى أورشليم لأجل اسم الرب يسوع**" (اع٢١: ١٣).

نعم... فى ساعات الحصار وضغوط الاضطهاد والتعصب، وخيانة الإخوة والأصدقاء، وسطوة الآلام الجسدية والنفسية من أجل الإيمان والخدمة، ينكشف ضعف الإنسان وقلة حيلته، **ولكن حضور المسيح وروحه القدوس** فى هذه المواقف هو الذى يشدد ويؤازر ويعزى ويخرج من الحبس إلى النور وينقذ الخادم والخدمة.

وبالنسبة للمؤمن المضطهَد فإن الروح يعينه إما بانتهاء المحنة، أو برفع درجة الإيمان بمقدار يتجاوز التجربة ويعبر به الأمر الواقع إلى ما لا يرى، ويرفع عينيه من الحاضر المر إلى مجد الأبدية، وهكذا يأتى الفرح ممتزجا بالألم.

❋ ❋ ❋

فلنطلب قوة من الأعالى:

+ للسلوك بالروح والتوبة الشاملة المتجددة؛

+ ولخدمة باذلة للكرازة والتعليم ومحبة الإخوة؛

+ وللشهادة للمسيح أمام العالم المضاد وقبول الاضطهاد من أجله بفرح. فنحن فى حاجة إلى هذه القوة وبدونها لن نقدر أن نفعل شيئاً.

أتحبني ... ارع خرافي

كلما حلّ صومُ الرسل تتداعى إلى الذهن الخدمة الباهرة لآبائنا الرسل الذين نشروا رسالة الخلاص فى كل العالم بعد أن حل الروح القدس عليهم يوم الخمسين حسب وعد الرب. وكان سلاحهم هو هذه "**القوة من الأعالى**" (لو٢٤: ٤٩) التى وهبتهم طاقة جبّارة للكرازة بكل مجاهرة دون خوف، وحققت لهم وعود السيد السابقة بالمساندة فى الخدمة "وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى.. فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا. **لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها**" (لو٢١: ١٢-١٥)، "فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به **لأنكم لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**" (مت ١٠: ١٩ - ٢٠).

هى خدمة يقودها الروح القدس إذاً وغايتها استئثار النفوس إلى طاعة المسيح المخلص.

وإذا كانت المناسبة تفرض علينا أن نكتب عن خدمتنا اليوم، فإن كرازة التلاميذ والرسل تبقى لنا النموذج الذى نقيس عليه هذه الخدمة لتقييمها، وتعظيم جوانب القوة فيها واكتشاف نواحى القصور فيها لمعالجتها أو استئصالها لاستبقاء الوجه المشرق لخدمة الرب حتى مجيئه.

وقد اخترنا أن نكتب عن **دوافع الخدمة** للتمييز بين ماهو زائف منها وما هو حقيقى.

دوافع زائفة للخدمة

إن البداية الصحيحة للخدمة يحققها أن يكون الدافع إليها صادقاً وقاصداً مجد الله وخلاص الآخرين، وهذا يضمن نجاح الخدمة ونموها. إلا أن البعض يدخلون الخدمة بدوافع ذاتية. وقد يستمرون فيها بعض الوقت، ولكن مآلهم- إذا لم يصححوا مسيرهم بالتوبة واكتشاف مصدر القوة فى الخدمة – أن يتخلفوا عن الركب مهما طال الزمن.

وها نحن هنا نعرض لبعض الدوافع غير الحقيقية للخدمة – على سبيل المثال لا الحصر- قبل أن نشير إلى الدافع الحقيقى، كما ينبغى أن يكون، وكما عرضه لنا الرب.

(١) السعى للمكان الأول

مع اتساع الخدمة وتنوع مجالاتها تضاعفت أعداد الخدام والشمامسة، وصار لكلمة "خادم" أو "خادمة" وقعٌ يرضى الذات والأهل، ويحقق لصاحبها بعض الكرامة دون أن يكلفه بالضرورة بذلاً للذات أو حباً حقيقياً للقريب. وبات الأمر مغرياً للبعض أن ينخرط فى سلك الخدام، لا استجابةً لدعوة الله وإنما سعياً لموقع متقدم فى الكنيسة حتى لو لم يقترن باختبار أصيل للإيمان وتوبة حقيقية. وربما كان عدم التدقيق فى اختيار الخدام وإعدادهم سبباً أساسياً فى هذا التسلل إلى مجال الخدمة من غير المدعوين.

(٢) الشعور بالاستحقاق والأفضلية

يقارن البعض بين قدراتهم العملية والشخصية وما عند غيرهم ممن صاروا خداماً فيرون أنهم الأفضل والأحقّ بهذا الموقع، فيسعون إليه حاسبين أن العناصر المطلوبة هى مواهب شخصية ولباقة اجتماعية مع قدر من المعرفة، دون أن يتطرق تفكيرهم إلى مدى محبتهم للرب أو التزامهم بالإنجيل. وخدمة الذات هذه تحمل فى طياتها بذرة فنائها سواء بانعدام الثمر أو بالصدام مع المسئول أو مع الذات الأخرى.

(٣) إرضاء الناس

ينضم البعض لدائرة الخدام فى محاولة لإرضاء – أو استجابة لرغبة – الأهل أو غيرهم الذين يلحون عليهم فى الدخول إلى مجال الخدمة. وربما توفرت فى البعض شروط الخدمة، وكانوا فى حاجة إلى هذه الاشارة لكى ينالوا بركة خدمة الله. ولكن غيرهم قد لايكونوا مستعدين بعد لهذه المسئولية ومع هذا يتجاسرون على الالتحاق بالخدمة إرضاءً للناس. ومعلمنا بولس ينبهنا فى هذا السياق بكلماته "**فلو كنت بعد أُرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح**" (غل١: ١٠). فإن لم يتحول هؤلاء إلى حياة الإيمان مكرّسين ذواتهم لله، فإن خدمتهم الشكلية هذه لن تستمر طويلاً بعد أن حققت غرضها فى إرضاء الناس وليس الله.

ماذا عن الدافع الحقيقى للخدمة إذاً ؟

يسجل لنا القديس يوحنا فى نهاية إنجيله الحوار التالى بين السيد المسيح والقديس بطرس بعد القيامة : "**يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء. قال له نعم يارب أنت تعلم أنى أحبك. قال له ارع خرافى.** قال له ثانية يا سمعان بن يونا **أتحبنى** . قال له نعم يارب أنت تعلم أنى أحبك. قال له **ارع غنمى.** قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبنى. فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة يا سمعان بن يونا **أتحبنى.** فقال له يارب أنت تعلم كل شئ. أنت تعرف أنى أحبك. قال له يسوع **ارع غنمى**" (يو٢١: ١٥ – ١٨).

ربما عنى الرب بحديثه الشخصى إلى بطرس وسط إخوته أن يظهر لـــه أن محبته لم تهتز بعد سقطة إنكاره له وسط خَدَم رئيس الكهنة، وأنـــه لا يـــزال عموداً صلب الإيمان فى كنيسته، وأنه أراد بتساؤله المثلث عن حبه له ودعوتـــه له فى كل مرة برعاية خرافه أن يمحو من قلبه أى أثـــر للـــشعور بالـــذنب أو الضعف إزاء إنكاره المثلث له قبل أيام.

إلا أن ما تضمنه حديث الرب من **اقتران المحبة بالرعاية والخدمة** يـــصبح تعليماً مباشراً لكل خادم فى الكنيسة.

فها هو الرب **يؤكد أن الدافع الحقيقى الأول لخدمته يجب أن يكون محبـــة الرب "أتحبنى أكثر من هؤلاء : ارع خرافى.. ارع غنمى"**. وهو بهـــذا يريـــد أن يستبعد أى دافع شخصى. فكثيرون ممن تبعوا الرب كانوا تلاميذ مزيفين ممـــن أكلوا من الخبز فشبعوا، وصارت تبعيتهم نفعاً شخصياً لا تعبيراً عـــن حـــب حقيقى لشخص الرب.

ارتباط محبة الله بخدمته

ولماذا جعل الرب محبته شرطاً وجوبياً لخدمته، أو أن تكون خدمتـــه نتيجـــة طبيعية لمحبته؟:

(**١**) لأن المحبة فى الأساس هى **جماع صفات الله**، وأن **من يثبت فى المحبة يثبت فى الله ويثبت الله فيه "الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه"** (١يـــو٤: ١٦)، **وهى السبيل لمعرفة الله "من لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة"** (١يـــو٤: ٨)، **وهـــى علامة الميلاد من الله "كل من يحب فقد ولد من الله"** (١يو٤: ٧). وقد وصف السيد محبة الرب من كل القلب والنفس والقدرة بأنها **أولى الوصايا وأعظمها** (مت ٢٢: ٣٩، مر ١٢: ٣٠). وتبعه القديس بولس قائلاً "والآن يثبت الإيمان والرجاء والمحبة. هذه الثلاثة **ولكن أعظمهن المحبة"** (١كو١٣: ١٣)، وذاكراً أنهـــا **أولى ثمـــار الروح القدس** (غل٥: ٢٢)، **وهى غاية الوصية** (١تـــى ١: ٥)، **وربـــاط الكمـــال**

(كو٣: ١٤) **وتكميل الناموس** (رو ١٣: ١٠)، بل أن الرب يشير أنه يجتمع فيها كل الناموس "**بماتين الوصيتين** – أى محبة الله ومحبة القريب – **يتعلق الناموس كله والأنبياء**" (مت ٢٢: ٤٠).

(**٢**) ولأن محبتنا لله تعنى **إدراكنا لمحبته لنا "نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً"** (١يو ٤: ١٩)، هذه المحبة التى كلفته حياته لأجل كل واحد "**وهو قد مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام**" (٢كو ٥: ١٥). وهى تعبير **عن إيماننا به كمخلص** أنقذنا من موت الخطية ووهبنا الحياة الأبدية، وامتناننا للنعمة التى أفاضها علينا وجعلت اسمه يدعى علينا إذ صرنا بالإيمان **أولاداً لله** (يو ١: ١٢).

(**٣**) ولأن محبته تجعلنا **نتبعه** أى نسير على نهجه "فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا **تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته**" (١بط٢: ٢١)، **ونتمثل به، ونجتهد فى حفظ وصاياه** "**إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى**" (يو١٤: ١٥)، "**إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا**" (يو١٤: ٢٣)، "**فإن هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياه**" (١يو٥: ٣). كما أن حفظ وصاياه بالتالى يجعلنا **نثبت فى محبته** (يو١٥: ١٠).

وعندما نحفظ وصيته وننفذها بمعونة وعمل الروح فنحن عملياً نمارس مسيحيتنا، ونعرف إرادته **فننكر ذواتنا** (مت١٦: ٢٤، مر ٨: ٣٤، لو ٩: ٢٣) **ونتغير** عن شكلنا بتجديد أذهاننا (رو ١٢: ٢)، وتصير **التوبة** نهج حياتنا وعنصراً رئيسياً فى **حياة القداسة** التى إليها دعينا، **ومن ثم نصير مؤهلين لخدمة الرب**. فالتلاميذ لكى ينخرطوا فى الخدمة احتاجوا أولاً أن يتحرروا من ارتباطاتهم الأولى: الشِبَاك (مت٤: ٢٠) والسفينة والأهل (مت

٤: ٢٢) ومكان الجباية (مت ٩ : ٩) وهى مجرد رموز لقيود الحياة القديمة التى يجب التخلص منها بالتوبة وبالتالى يمكن أن نتبع الرب.

ارتباط محبة الله بمحبة القريب و خدمته

كما اعتبر الرب محبته أولى الوصايا وأعظمها، فقد وضع أيضاً **محبة القريب** فى نفس المستوى وجعلها وصية عظمى (مت ٢٢: ٣٩، مر ١٢: ٣١)، كما يصف بذل النفس لأجل من تحب بأنه **أعظم حب** "**ليس حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه**" (يو ١٥: ١٣).

وهو قد أوصانا أن يكون مقابل حبه لنا أن نحب بعضنا بعضاً "**كما أحببتكم أنا تحبون أنتم بعضكم بعضاً**" (يو ١٣: ٣٤)، "**هذه وصيتى أن تحبوا بعضكم كما أحببتكم**" (يو ١٥: ١٢، ١٧). وهكذا أيضاً أوصى القديس بولس: "**اسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً**" (اف ٥: ٢).

وقد أشار الرب إلى أن محبتنا بعضنا لبعض هى علامة تلمذتنا له "**بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعضا لبعض**" (يو ١٣: ٣٥). ومعلمنا بولس يجعل المحبة أساس خدمة القريب "**بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً**" (غل٥: ١٣).

ولما كان الرب يجعل ارتباطه بالخراف عضوياً وينسبهم إليه "**خرافى** تسمع صوتى **وأنا أعرفها** فتتبعنى" (يو ١٠: ٢٧) "ارع **خرافى.. غنمى**" (يو ٢١: ١٥، ١٦، ١٧)، ويعتبرهم خاصته "**أما أنا فإنى الراعى الصالح وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى**" (يو ١٠ : ١٤)، **وإخوته الأصاغر** "بما أنكم فعلتموه **بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم**" (مت ٢٥: ٤٠)، وأن خدمتنا لهم هى خدمة مباشرة لشخص الرب، **تتلازم محبة الرب بمحبة الإخوة وخدمة القريب الخدمة الكاملة** التى فصّلها الرب فى قصة السامرى الصالح (لو١٠: ٢٥ – ٣٧)؛ وفى

نهايتها طلب الرب من كل خادم "**اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا**". وقد جعل الرب موضوع خدمتنا أىَّ إنسان يقترب منا أو نقترب إليه: كل من يضعه الرب فى طريق حياتنا ويبدو محتاجاً لنا، فوسّع دائرة الخدمة أمامنا بحيث تتجاوز كل حدود القرابة الجسدية، والوطن، والعنصر، واللون، والعقيدة، وتتجرد من التعصب، ولا تنتظر مكافأة أو امتنانا من أحد بل **ترى شخص المسيح فى كل من نخدم**. وتصير خدمتنا لهم الرد الطبيعى لمحبة المسيح لنا حتى الموت.

ليست الخدمة إذاً ترفاً للبعض، وإنما هى **ضرورة موضوعة** على كل واحد (١كو ٩: ١٦)، وشعوراً طاغياً بالمسئولية عن خلاص الآخرين "**من يضعف وأنا لا أضعف. من يعثر وأنا لا ألتهب**" (٢كو ١١: ٢٩)، حتى أن القديس بولس بالمبالغة كتب يقول متلهفاً على خلاص اليهود إخوته "**كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح لأجل اخوتى أنسبائى حسب الجسد**" (رو ٩: ٣). وفى حضرة أغريباس الملك كان بولس فى السلاسل يحاكم ولكنه لم يُخفِ شهوته فى أن يسببه ومن معه للإيمان بالمسيح قائلاً "**كنت أصلى إلى الله أنه بقليل وبكثير ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى هنا اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود**" (أع ٢٦: ٢٩). فبولس لم يكن معنياً بقيوده ومحاكمته، لأنه كان حراً فى المسيح، ولكنه كان منشغلاً مهموماً بخلاص الآخرين حكاماً كانوا أم محكومين.

ارتباط محبة الله بالشهادة له كمخلص

عندما ندرك محبة الله لنا، ونكتشف سر الحياة الموهوبة لنا فى المسيح، ننطلق لكى نخبر بفضائل الذى دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط٢:

٩)، وتصلنا كلماته التى قالها للمجنون الذى أخرج منه الأرواح النجسة "اذهب إلى بيتك وإلى أهلك **وأخبرهم بكم صنع الرب بك ورحمك**" (مر ٥: ١٩) فننادى للجميع بكم صنع الرب بنا ورحمنا.

وستكون أولى الشهادات أمام النفس بالتوبة الشاملة (الميتانيا) التى بها يصبح المسيح قطب الحياة والشمس التى ندور فى فلكها لنستمد من نورها الحقيقى حياة لأنفسنا.

وستكون هذه الشهادة اليومية أمام الذات هى **ضمان شهادتنا الناجحة أمام الآخرين** بتقديم المسيح كمخلص لحياتهم. سواء **بالكلمة** (رو ١٠: ١٧)، أو **خدمات الرحمة المتنوعة** (مت ٢٥: ٣٥ – ٣٦)، أو ما هو متاح لكل مؤمن **بتقديم القدوة** التى تعكس من خلال الكلام والتصرف والسلوك والحب تجسيداً حقيقياً لحياة المسيح فينا (١تى٤: ١٢)، فنحقق وصية الرب بأن نكون **نوراً للعالم وملحاً للأرض** (مت ٥: ١٣، ١٤).

ولعل القصص الكثيرة التى نعرفها عن بسطاء الناس العاديين، الذين بحياتهم المقدسة حركوا القلوب للإيمان بالمسيح، بمن فيهم من اضطهدوا الرب طويلاً ثم تبعوه وصاروا مبشرين باسمه، تجعلنا ندرك مسئوليتنا جميعاً عن تقديم المسيح لمن حولنا، وألا نلقى بها تكاسلاً أو تهيّباً على عاتق الآباء والخدام وحدهم.

أما بعد، فليراجع كل منا نفسه ليتيقن من توهج محبته لله التى هى روح الخدمة ونارها المقدسة لكل مؤمن وخادم. "ولهؤلاء الذين فترت همتهم وتركوا محبتهم الأولى يجيئهم صوت الرب إلى ملاك كنيسة أفسس "**اذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى**" (رؤ ٢: ٥).

المسيح موضوع الكرازة والخدمة

+ لمحات من الكنيسة الأولى

+ العمل الإلهي في الخدمة

+ الأرض الجيدة

+ عن خدمة المسيحي

لمحات من الكنيسة الأولى

تبقى كنيسة الرسل على الزمن مثلاً خالداً لن يتكرر، إليه نتطلع دوماً لنعرف مواقع أقدامنا – استقامة أو انحرافاً – ونقيس عليها منهاجنا الروحى – بعداً أو قرباً.

والمتأمل فى الظروف التى صاحبت نشأة الكنيسة والأسلوب الذى عاشت به والخبرات التى خطتها يدرك كم كانت هذه الكنيسة متـــفرِّدة فى كل شىء:

+ فقد كانت باكورة اجتماع المؤمنين واتصالهم فى المسيح بالروح القدس، حيث اختبروا – لأول مرة فى الحياة البشرية – شركة من طراز فريد بين الله والانسان صهر فيها روح الله النارى كل النفوس المجتمعة وجمعها جسداً واحداً فى شخص المسيح.

+ وهى الكنيسة التأسيسية الأم التى امتدت منها وتشعبت كنيسة المسيح. كان أعضاؤها الرواد الأوائل الذين اقتحموا بإرشاد الروح أرض المجهول فجعلوا منها أرضاً مطروقة ممهدة حافلة بالحياة. كانوا يبنون لنا الإيمان ومنهج

الحياة مع الله وأسس العبادة الحقيقية، فهم تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم.

+ وهى الجماعة المؤمنة التى لم تكن تضم سوى الأعضاء الأحياء المتأصلين فى المسيح، الكرمة الحقيقية، فكان الإيمان عندهم التزاماً وحياة ليس مجرد انتماء بالوراثة.

+ وهى الجماعة التى عاشت الإنجيل حياةً وسلوكاً، قبل أن يكون كلمة مكتوبة بين دفتى كتاب.

+ وهى الجماعة التى قبلت إنجيل المسيح، أفواجاً بعد أفواج، وقت أن كان مجرد الاعتراف بالمسيح يكلف الحياة نفسها أكثر الأحيان. فكان الصليب ثقلاً حقيقياً، وكانت لحظة إعلان الإيمان هى فى واقع الأمر قبولاً للموت بالنية.

+ وهى الجماعة التى توفرت لها قيادة روحية باذلة من طراز فريد، من أشخاص عاشر أكثرهم الرب بالجسد عن قرب. وكلهم خرجوا من يوم الخمسين تلهب قلوبهم حماسة العمل الإلهى التى فجرتها ألسنة النار القدسية.

● ● ●

وتعالوا نقترب قليلاً لنتبين بعض ملامح هذه الكنيسة المباركة، ونتعمق فهم أسرارها قياساً على أنفسنا. ويشد انتباهنا منها ملامحٌ أربعة: قيادة روحية، حياة مسيحية، رسالة جلية، وشهادة قوية.

أولاً: قيادة روحية

إن ما تعرضه لنا الأصحاحات الأولى من سفر الأعمال عن الانتشار السريع للإيمان يلفت النظر حقاً. فعظة قصيرة واحدة قالها بطرس الرسول لجمع حاشد نخست قلوب ثلاثة آلاف شخص منهم دفعة واحدة "قبلوا كلامه بفرح واعتمدوا" (أع ٢: ٤١). وكانوا باكورة مقدسة، فمع كل يوم كان الرب يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون (أع ٢: ٤٧) حتى صار عدد الرجال نحو خمسة

آلاف (أع ٤١:٤)، كما تكاثر التلاميذ جداً فى أورشليم وتحول جمهور كبير من الكهنة إلى طاعة الإيمان (أع ٧:٦).

ومع الأيام كانت كلمة الرب تنمو، كأنها نور الصباح البازغ يكتسح أمامه فى هدوء جحافل الظلام. وفى نصف قرن كانت كلمة المسيح تبسط سلطانها على القلوب فى أركان الدنيا، وتهزّ بعنف كل المؤسسات العالمية التى تعب إبليس وجاهد طويلاً فى إقامتها ومؤازرتها، وتحويلها إلى مواقع الدفاع عن النفس قبل أن تترنح وتنهار.

ما الذى أعطى الكلمة تلك الأيام قوتها وتأثيرها الحاسم حتى أنها لم تكن ترتد فارغة، إنه **الروح القدس** النارى الذى كان يقود هذه الحملة المباركة. لقد لبث التلاميذ والرسل فى سكون فى أورشليم متطلعين بالتفرغ والصلاة لتحقيق موعد الآب الذى أخبرهم به الابن، وكان انتظارهم إعلاناً بتسليم قيادتهم للروح حتى لا يكونوا هم المتكلمين بل روح أبيهم هو الذى يتكلم فيهم (مت١٠:٢٠).

عندما يتكلم الروح

وماذا تكون كلمات خادم الله التى يرسلها الروح القدس إلا لهيباً حارقاً مبكِّتاً ونوراً مضيئاً معزياً؟

+ الكلمة التى يحركها الروح تخرج بلا افتعال ولا توسط للذات، هادئة وبسيطة ولكن لا تستطيع النفس أن تهرب من مواجهتها، ولا تقدر نفس الخاطئ بعد سماعها أن ترتاح فى خطيتها. **إنها كلمة مقلقة لأجل سلام دائم.**

+ الكلمة التى يرسلها الروح عند افتتاح الفم لا تتطلب علم المتكلم ولا ذكاءه ولا حكمته (١كو٢:١، ٤، أع ١٣:٤)، هى قوية بذاتها ولا يمكن مقاومتها (أع ١٠:٦).

+ الكلمة التى يطلقها خادم الله المتوشح بنعمة الروح هى بلسم للجراح

وتعزية للنفوس الكسيرة وحافزاً للهمم التى أصابها اليأس، بل إن مجرد سماعها هو بركة فى حد ذاته (١تس٤: ١٨). الكلمة التى يصدرها الروح كلمة شجاعة قوية مملوءة نعمة وحقاً، لا تهاب جبروت الإنسان ولا تعمل حساباً للنتائج حتى ولو أدت بصاحبها إلى الموت (أع ٧: ٥١، ٢٦: ٢٩).

من هنا يمكن أن ندرك سر جفاف كثير من الكلمات فى أيامنا هذه وعدم جدواها وتأثيرها، ذلك لأنها فقدت مصدر قوتها وبالتالي سر فاعليتها. والكلمة التى تخرج من الشفاه بفعل ذات صاحبها – مهما تكن بلاغته – عملة زائفة وضجيج لا فائدة تُرجى من ورائه بل هى فى الواقع معطل لعمل الروح.

وأكثر من ذلك، فإن الكلمة المفتعلة التى لا يصدرها الروح هى مشجع للخاطئ أن يستمر فى طريقه. بالضبط كما يتوقع المجرم أن ينال التأديب والتبكيت، لكن إذا وجد أن جريمته – ويا لدهشته – تعبر دون أن يحس بها أحد، فتكون النتيجة أنه يزداد جرأة أكثر فى اختبارات الإثم!

الكلمة الجافة الباردة كأوراق الخريف هى شهوة عدو الخير، الذى يريد أن تمتلئ أفواه الخدام وجو الخدمة كلاماً كثيراً..كثيراً.. ولكناً ميت بارد.

لا يصح أن ننخدع بالنشاط الكثير، وبالاجتماعات المتواترة، والانفعالات السطحية، عن أن "**يكون كلامنا كل حين بنعمة مُصلَحاً بملح لنعلم كيف يجب أن نجاوب كل واحد**" (كو٤: ٦).

الروح يعمل كل شئ

على أن **الروح** لم يكن يعمل فى الكلمات فقط، بل كان يعمل كل شئ ويرتب كل شئ. لقد أسلم هؤلاء الرجال العظام قيادهم للروح مع كل خطوات الحياة، حتى أننا لا نتجاوز الحقيقة إذا أطلقنا على سفر أعمال الرسل اسم "**سفر أعمال الروح القدس**".

كان **الروح** هو كاتب البشائر والرسائل (٢بط ١: ٢١)، وكان وراء

شهادة الرسل للمسيح بكل مجاهرة أمام الحكام (أع ٤:٨، ٢٢:١، ٢٦:٢٩)، وكان القائد الآمر بالتحرك للخدمة (أع ٨:٢٦، ١٣:٢، ١٦:٩) أو بالمنع عنها (أع ١٦:٦)، وكان القوة الفاعلة فى الآيات والمعجزات (أع ٤:٣٠، ١٩:١١)، وكان الرئيس غير المنظور لمجامع الرسل (أع ١٥:٢٨)، وكان المصباح المنير الذى كشف محاولات تسلل العالم إلى الكنيسة (أع ٥:٣، ٨:٢٠)، وهو الذى أعطى الإذن بدخول الأمم وقبولها فى الإيمان (أع ١٠:٤٤، ١٤:٢٧)، وهو الذى وحَّد المؤمنين قلباً ونفساً (أع ٤:٣٢)، وهو الذى شدد الكنيسة وسط الألم والضيق (أع ٩:٣١، ١٢:٥)، وهو الذى عزَّى الرسل فى أعماق المحنة (أع ١٦:٢٥، ١٨:٩، ٢٧:٢٤)، وكان اليد التى فكت إسارهم وحررتهم (أع ١٢:٧).

لكى يعمل الروح

ولقد عمل الروح ما عمل، لأنه قد توفرت له الأدوات المناسبة والمسارات المفتوحة من غير عقبات فى أشخاص الرسل والتلاميذ وأعضاء الكنيسة المؤمنين. وهو قادر ومستعد أن يعمل إلى اليوم وغدٍ ولكن فى النفس التى تترك له دفة حياتها ليقودها هو: النفس المستقيلة من كل إمكانيات الذات والحكمة الشخصية، والتى تدرك أنها بدون الروح – مهما بلغت – لا تساوى شيئاً ولا تستحق شيئاً ولا تقوى على فعل شئ (أع ٣:١٢-١٦)؛ النفس المتوارية وراء الصليب والتى تشتاق أنَّ عريسها يزيد وأنها هى تنقص؛ النفس الأمينة المجاهدة الساهرة الطائعة لكلمة الله؛ النفس التى تحيا فى توبة مستمرة فتقبل الكلمة على أنها مرسلة لها هي أولاً قبل أن ترسلها للناس، مهما كانت شدتها وقسوتها؛ وهى النفس المتضعة التى تسأل الروح فى كل مرة أن يتفضل ويحل ويعمل فيها ويرسل الكلمة المناسبة أو الرأى السديد أو العمل البانى.

وليس أمامنا بديل، إذا شئنا نهضة روحية شاملة، وثمراً متكاثراً مباركاً، عن أن

يسلم جميعنا كل شئ لقيادة الروح ليعمل اليوم وكل يوم عمله المجيد فى كنيسة الرسل.

ثانياً: حياة مسيحية

كانت إحدى السمات البارزة للكنيسة الأولى حياتها المسيحية العملية. كان المؤمنون يرون الفارق واضحا حاداً بين حياة الضعف والخطية التى عاشوها يوماً، وحياة النعمة التى تحولوا إليها بفعل الروح، فأقبلوا عليها راكضين يعوّضون بالبذل والحب أيام الجهالة الأولى. كان إيمانهم حياً وملتهباً، **فعاشوا مسيحيين قبل أن يُدعَوا مسيحيين** (أع١١: ٢٦)، وحفظوا وصايا الرب (يو١٤: ٢١) ومارسوها فى حياتهم اليومية بكل تدقيق.

والذى يشغلنا هنا أن الأمر لم يكن قاصراً على قلة منهم التهبت بالحياة المسيحية – كما هو فى أيامنا هذه – ولكن "**جميع الذين آمنوا كانوا معاً**" (أع٢: ٤٤) "**وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات**" (اع٢: ٤٢)، "**وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة**" (اع٢: ٤٦). فالعبادة كانت يومية والعابدون كانوا معاً بنفس واحدة.

كان سر وحدتهم هو حيوية إيمانهم بالمسيح. **كان المسيح هو موضوع حياتهم وصلاتهم وحبهم**. والتصاقهم جميعاً بالمسيح الواحد الكائن فى وسطهم (مت١٨: ٢٠)، والتفافهم حول المذبح وشركتهم فى الجسد والدم، هو الذى جعلهم قلباً واحداً ونفساً واحدة (اع٤: ٣٢)، فانتزع منهم الأنانية والفردية، ووهبهم نقاوة القلب وبساطته (أع٢: ٤٦) ورفع من بينهم الفوارق الجسدية والاجتماعية المختلفة، فأحبوا بعضهم بعضاً من قلب طاهر بشدة (١بط١: ٢٢). وكانت محبتهم حقيقية عملية (١يو٣: ١٨) من طراز نادر بيننا الآن، فما أسهل محبة الكلام واللسان، ولكن المحبة الحقيقية هى اختبار للإيمان الحقيقى ولطاعة الانجيل وهى إحدى الثمار الناضجة لعمل نعمة الروح

القدس (أع٤: ٣٣).

محبة عملية

انظروا أية محبة كانت لهم :

"**لم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شئ مشتركاً، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً، لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول وبيوت كانوا يبيعونها ويأتون بثمن المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزَّع على كل واحد كما يكون له احتياج**" (أع٤: ٣٢-٣٥).

+ لقد تصاغرت فى نظرهم قيمة المال والأرض جداً: "**عند أرجل الرسل**" لما اختبروا حياة إيمانية حقيقية (١تى٦: ٨)، وحيث يكون كنز الإنسان هناك يكون قلبه أيضاً (مت٦: ٢١).

عندما نفتقر إلى الشبع الروحى تتزايد فى نظرنا قيمة العالم الحاضر وتغلب على تقديرنا القياسات المادية، وتغدو المحبة نيراً شديداً ومحنة مؤلمة والعكس صحيح أيضاً.

+ إن محبة القريب كالنفس (لا١٩: ١٨، مت٢٢: ٣٩) تجعل منه شريكاً لى فى كل شئ، أى لا تصير لى ملكية فردية خاصة، فالذى عنده **لا يتصدق** على من ليس له بل **يقتسم** معه نصيبه، على أساس أنه إذا كنا شركاء فى **الإيمان** - وهو الأعظم بما لا يقاس، فبالأولَى أن نشترك فى نِعَم الجسد.

+ إن صدق الايمان والحب يبدو فى أن حركة بيع الممتلكات وتقديم أثمانها لتوزيعها على الاخوة المحتاجين كانت تلقائية تماماً، دون إجبار أو حتى توجيه من قادة الكنيسة (اع٥: ٤)، وإنما كانت التهابا بالإيمان الانجيلى وخضوعاً لأمر المحبة المُطاع وتقديراً لظروف كنيسة أورشليم الخاصة. "أما من كانت له

معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه" (١يو٣: ١٧).

لم يكن أحد محتاجاً

والنتيجة أنه "**لم يكن فيهم أحد محتاجاً**"، ومن ثم "**فإن نعمة عظيمة كانت على جميعهم**". وواضح أن الظلم الاجتماعى يذبل ويموت فى إطار الايمان **الحقيقى** فالكنيسة **الحية** لن ترتاح – وفى وسطها مؤمنون معتازون – حتى تسد أعوازهم وتحررهم من ضغط الفاقة وتأثيراتها المرة.

والأمر هنا ليس تكافلا اجتماعيا يفرضه القانون أو الأخلاق (أو ربما الخوف!)، وإنما هو عمل إيمانى روحى بالدرجة الأولى حتى وإن كانت له – فضلا عن بركاته الروحية – ثمار اجتماعية طيبة.. وهذا هو سر الروح "**مائة ضعف فى هذا الزمان، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية**" (مر١٠: ٣٠). وهذا هو سر الروحيين "**وأما الروحى فيحكم فى كل شئ وهو لا يُحكم فيه من أحد**"(١كو٢: ١٥).

موقف الرسل

أما عن موقف الرسل الرائع من أمور هذا الزمان فيعلن عن نفسه. فهم لم يحفلوا بالمال الذى قدمه أغنياء المؤمنين، ولكنهم جعلوه عند الأقدام. ولم يفكر واحد منهم أن يأخذ لنفسه منه نصيباً (اع٣: ٦)، فقد كانت كلمات الرب لهم عند إرساليتهم الأولى لا تزال تملأ القلب "**لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاسا**" (مت١٠: ٩)، ولم يفكروا أن يمدوا أيديهم لأحد: "**فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشتهِ**" (أع٢٠: ٣٣) فقد كان المسيح يملأ عليهم حياتهم فأشبعهم جداً وأغناهم "**كفقراء ولكن نُغْنى كثيرين كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ**" (٢كو٦: ١٠). لقد كانوا يخدمون خدمة عظيمة تصاغرت بجانبها كل أمجاد

هذا الزمان.

وانطلاقاً من هذه الحياة العملية المقدسة التى عاشها المؤمنون حباً فى المسيح، فإن الرسل كانوا يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع "**بقوة عظيمة**" (أع٤: ٣٣)، ذلك أن الكرازة كانت تحمل دليل صدقها، ولأن قوة قيامة الرب كانت تبدو بأسطع ما تكون فى غلبة ذواتهم وموتهم عن أمجاد هذه الحياة.

ولاشك أنه يصيبنا الخجل ونحن نتابع هذه الحياة المقدسة التى عاشها الآباء، وعندما نجد أنفسنا كم نحن متغربون عنها وتبدو كلمات معلمنا بولس وكأنها كُتبت لنا "**جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان. امتحنوا أنفسكم**" (٢كو١٣: ٥).

ثالثاً : رسالة جلية

يسترعى انتباهنا من ملامح الكنيسة الأولى العديدة أن الرؤية عندها كانت واضحة بلا ضباب أو ظلال، وأن الرسالة جلية بلا غموض أو التباس. فكانوا يسيرون على طريق مضيئة محددة الجوانب ونحو هدف لايغيب عن عيونهم مهما تغيرت ظروف الزمان أو المكان أو الأشخاص.

عمل الكارز : الصلاة وخدمة الكلمة

فنرى على سبيل المثال أنه لما تكاثر عدد المؤمنين، وأتسع نطاق الخدمة وتعددت دروبها لتشمل حاجات المؤمنين الجسدية وما تتصل به من نواح تنظيمية ومالية وإدارية وغيرها، لم يشأ الرسل أن يبتعدوا عن عملهم الأساسى وهو الصلاة وخدمة الكلمة (اع٦: ٤). ورغم أهمية "**خدمة القديسين**"، كما يسميها معلمنا بولس (٢ كو٩: ١)، الذى لم يغفل أثناء كرازته عن حث الكنائس على جمع العطايا لفقراء المؤمنين كجزء من خدمته للكلمة، إلا أنه وسائر الرسل لم يترلقوا إلى تولى مسئوليات الجمع والتوزيع والتنظيم والإدارة،

وكل ما يتصل باستثمار وتنمية الأموال لصالح احتياجات الكنيسة المادية، وهى أمور كفيلة بابتلاع كل وقت الكارز ولاتترك له شيئاً لعمله الأساسى **وهو الدعوة لملكوت الله، وحث النفوس على التوبة وتعزيتها وانقاذها من الهلاك.** ومن هنا فلم يرحب الرسل بهذه المسئوليات الإضافية مؤثرين أن يتحملها الشمامسة من أجل ألا يخفت صوت الكنيسة الكارز بالتوبة ومن أجل ألا يحتل المقام الأول من اهتمام الكنيسة وقادتها موضوع آخر غير عبادتها وصلاتها وسجودها وتبشيرها بالإنجيل؛ وإلا فما هو الفارق بين الكنيسة كمؤسسة يقتادها الروح وتعمل للأبدية وإعلان ملكوت المسيح وبين المؤسسات العالمية التى تحيط بها!

نموذج من خدام الموائد

على أن هذا التقسيم للعمل فى الكنيسة لم يكن يعنى فى مفهوم الرسل أن خدمة احتياجات القديسين ذات صبغة اجتماعية لا روحية يترفعون عن ممارستها ومن ثم يكلفون بها أشخاصاً ذوى ملكات إدارية وتنظيمية ولا يهم إن كانوا بعيدين عن المجال الروحى، وإنما على العكس من ذلك كله، وبحسب فهم سليم لروح الإنجيل غير المكتوب : **أن الكنيسة لا تمارس إلا نشاطاً روحياً مهما تعددت خدماتها وتنوعت،** فقد اشترطوا على من يتصدوا لهذا العمل أن يكونوا **"مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة"** (اع٦ : ٣)، وكان من بين هؤلاء على سبيل المثال **استفانوس،** الذى يذكر عنه سفر الأعمال أنه "كان يصنع عجائب وآيات عظيمة" (أع٦: ٨)، وأنه كان محاوراً بارعاً للذين هم من خارج حتى "لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به" (أع ٦: ١٠). كما كان مؤمنا جسوراً فنطق بالحق بلا مواربة أو مجاملة، ونزل إلى ميدان الحرب الروحية يقاتل بلا هوادة دون أن يرهب كثرة اعدائه ولا مراكزهم وهو المؤمن الشاب. **وسار فى طريق سيده حتى الموت ليصبح أول شهيد**

بعد المسيح ومن أجله.

هذا واحد ممن كانوا يخدمون الموائد!. لم يكن أسقفاً.. ولاقساً.

على نهج السيد

والرسل فى اتجاههم هذا لم يكونوا مبتدعين وإنما كانوا يسيرون على نهج سيدهم، فالرب يسوع لم يقدم الخبز للجموع إلا بعد أن كلمهم عن ملكوت الله أولاً (لو٩ : ١١) وبعد أن مكثوا معه وقتاً طويلاً (مر٨ :٢)، ورغم أن الرب قصد أن يعلن لنا أنه ملتزم – وبالتالى تلتزم كنيسته – بالإنسان روحاً وجسداً، إلا أنه يجعل سد الأعواز الجسدية عملاً روحياً ينبع من المحبة ويتماشى مع الخدمة الروحية بلا أى تناقض، ذلك أنه إذا خلت خدمة الموائد من لمسة الحب، ولم تتم بفعل روحى، ولم توصل إلى هدف روحى، انتفت صفتها المسيحية فى الحال وصارت عملاً اجتماعياً بحتاً قد لا يصل فى مستواه إلى ما تؤديه المؤسسات الاجتماعية الصريحة..

فالرب يسوع لم يشأ أن يكون إلهاً للبطون يشبعها فتردد – وقد أتخمت – أنه "هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم" (يو ٦: ١٤).. بل إنه وبخ النفوس التى تبعته وهى تطلب خبزاً ولا تطلب حياة **"أنتم تطلبوننى لا لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم"** (يو٦: ٢٦). هؤلاء لم يروا سوى أرغفة الخبز تتكاثر فى يد الرب المباركة ولم يفطنوا إلى القوة المذخرة فى هذه اليد وصاحبها. كان رغيف الخبز هدفهم، وغفلوا عن القادر وحده أن يشبعهم فلا يجوعوا أبداً.

وقد بيّن الرب غرضه عندما أمسك بالخيط وانتقل من خبز القمح، إلى الخبز السماوى، إلى شخصه الفادى وجسده المكسور عنا **"أنا هو خبز الحياة من يقبل الىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً"** (يو ٦: ٣٥).

لم تكن معجزة تكثير الخبز الذى أشبع الآلاف إذاً هدفاً فى حد ذاتها بقدر ما كانت مدخلاً إلى أمر بالغ الأهمية هو فى صميم اللاهوت ألا وهو تقديمه جسده لنأكله ودمه لنشربه من أجل أن تكون لنا حياة أبدية (يو٦: ٥٤) **"فمن يأكلنى فهو يحيا بى"**

(يو٦ : ٥٧).

موقف الكنيسة من مدّعى الإيمان

على أن وضوح الرؤية وجلاء الرسالة التى حملها الرسل قد ظهرا فى مواقف أخرى تستحق الاشارة إليها والإشادة بها.

فماذا كان يضير بطرس لو قبل المال الذى قدمه حنانيا وامرأته. وهَبْ أن هذا المال هو جزء من ثمن الحقل وليس ثمنه كله، أليست الكنيسة فى حاجة إلى المال؟ فلتغضّ الطرف إذاً وتمد اليد وتقبل. حاشا.. هذا لا تُقدم عليه كنيسة **تحيا بالإيمان وتقتات بكلمة الله وتشهد بحق المسيح**، يسير عليها أن تعتاز ولا أن تبيع مسيحها مجاملة على حساب الحق. لقد كان سلطان الكنيسة الذى قبلته من إلهها مستنداً إلى **استقامتها وانفصالها عن العالم وحكمته**.

وكان الاسلوب الذى اتبعه حنانيا وسفيرة امرأته مما يتنافى مع النقاوة المفترضة فى جماعة المؤمنين. وقد كان اندفاع حنانيا للاشتراك فى احتياجات الكنيسة اندفاعاً زائفاً مبعثة الرغبة فى ارضاء الجماعة وقادتها من جهة، وخضوعاً ادبياً لتيار عام كان يجتاح المؤمنين من جهة اخرى. فالذى حرك حنانيا لم يكن الإيمان أو الحب، وإنما الخوف والأضطرار. ومن هنا كان احتجازه لجزء من ثمن الحقل ارضاءً لروح العالم التى تسكنه، فقدم مثالاً للمؤمن المدعى يقدم بيد ويسرق بالأخرى.

وبقدر ما كان قبوله وقبول عطيته دعوة للحرام ليدخل إلى الكنيسة وتمييعاً للحدود بين النور والظلمة وتنازلاً مخزياً عن سر قوتها وتأثيرها، بقدر ما كانت تعرية فعلته وكشفها إعلانا عن حيوية الكنيسة واقتيادها بروح الله، الفاحص القلوب والكلى، وتمسكها بطريق إلهها الكرب وبابه الضيق المؤدى

إلى الحياة الأبدية.

موقف الكنيسة من شراء المواهب

كما يشد انتباهنا ايضاً هذا الموقف الصارم الذى وقفته الكنيسة من سيمون الساحر. لقد تعود سيمون طيلة حياته أن يبيع موهبته بالمال. ورغم إنه آمن وأعتمد إلا أنه ظل على منهجه الأول فى أن المال يشترى كل شئ. فتقدم من بطرس ويوحنا ومعه دراهمه طالباً أن يقتنى مواهب الروح. وفارق بين أن تشتهى الخدمة وتعد قلبك لأجلها وتنذر حياتك وبين أن تسعى إليها مستخدماً ضغط المال أو النفوذ أو القوة أو أنواع الوساطات الأخرى. فالروح أعظم وأثمن من أن يتحول إلى سلعة. وهو يوهب ولا يُشترى، ولاينظر إلى ما فى الجيب بل إلى ما فى القلب. وكلما أدرك الإنسان افتقاده وعوزه كلما كان مهيئاً أكثر لسكنى الروح. وكلما استغنى وأكتفى (رؤ٣: ١٧) كلما تباعد عنه الروح ومضى.

من هنا كان وقع ما طلبه سيمون من الكنيسة صارخاً ومهيناً، مما جعل روح بطرس تحتد فيه وأطلق صيحته التى ظلت تدوى فى مسامع الأجيال "**لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم. ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله**" (اع ٨: ٢٠ – ٢٤).

وقد عاشت الكنيسة حياتها ولقرون طويلة تنفر من تسلل إله المال إلى ساحتها. ونصت قوانينها على طرد كل من تسول له نفسه أن يعيد قصة سيمون القديمة، أو من يقبل ان يكون شريكاً فى هذه الجريمة.

وبشكل عام فإن الكنيسة التى تنحنى أمام سلطان المال تفقد دورها كشاهدة للمسيح وداعية للتوبة والخلاص وقادرة على التوبيخ والانذار. وعندما تمد الكنيسة يدها لتأخذ المال من العالم فهذا يعنى أن اليد قد فقدت قدرتها على

ان تعطى الروح إلى العالم. وهى مأساة أن تتحول الكنيسة إلى الأخذ بدل العطاء.

موقف الكنيسة من أعمال الناموس

ثم لما تصاعدت بعض الأصوات تنادى بأنه على الأمميين الراجعين إلى **الله** أن يتهودوا أولاً، حزمت الكنيسة أمرها، ورأت أن لايثقّل عليهم بنير الناموس الذى - كما يصفه معلمنا بطرس - "**لم يستطيع آباؤنا ولا نحن أن نحمله**" (أع٥: ١٠).

فرغم أن أكثر قادة الكنيسة كانوا أصلا يهوداً إلا أنهم كانوا يدركون بطريقة قاطعة "**أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح**" (غل ٢: ١٦). ورغم الروابط العاطفية والقومية التى كانت تربط بين الأثنى عشر وبين جمهور اليهود الذين آمنوا بالمسيح، إلا أن الكنيسة لم تعط اليهود الذين آمنوا بالمسيح امتيازاً خاصاً عن غيرهم. دون أن تلقى بالا إلى ما قد يحمله هذا الاتجاه من إثارة مشاعرهم ذلك أن ما أستقر فى ضمير الكنيسة من أن المسيح "**قد مات لأجل الجميع**" (٢كو ٥: ١٤)، وأن فيه "**سيُحيا الجميع**" (اكو ١٥: ٢٢) كان أقوى من كل احتجاجات المتعصبين.

ولما ضعف بعض قادة الكنيسة وغلبهم الخوف من اليهود المؤمنين فكانوا يتفادون شركة الأمين فى حضورهم، وجدوا من بين إخوتهم الرسل من يلومهم ويكشف انحرافهم عن حق الإنجيل (غل ٢: ١١). فلم يكن يجمع قادة الكنيسة مصالح مشتركة تجعلهم يغضّون الطرف عن انحراف بعضهم البعض، بل كانت شركتهم هى فى المسيح يسوع، ومن هنا كان خروجهم عن ذواتهم، وشغلهم عن مجد أنفسهم سعيُهم الدائم من أجل مجد المسيح وحده (اكو٢:٢).

وواضح أن احتمالات الانحراف أثناء السير لا محل لها عندما يكون المسيح هو الغاية، ويكون الإنجيل هو سياج الطريق وسراجه، وبالتالى فليس غريباً أن

تتعثر الكنيسة وتفقد قدرتها على الرؤية الصحيحة عندما يغيب عنها شخص المسيح أو عندما تحاول الإفلات من التزامها بالوصية.

رابعاً : شهادة قوية

كان يرن في مسامع الرسل صوت المعلم الذى اجتاز عذابات الصليب وأهواله، ثم قام ناقضاً أوجاع الموت، وقبل أن يمضى صاعداً إلى المجد الذى كان له قبل تأسيس العالم، استودعهم كلماته التي لم ينسوها قط "**وتكونون لي شهوداً**" (أع ١: ٨). فعاشوا حياتهم وكانوا حتى في موتهم شهوداً لذاك الذى اختبروا محبته العظيمة ودعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب. والذي رأوه وسمعوه ولمسوه أخبروا به (ايو١: ١-٣). "**وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع**" (أع ٤: ٣٣). وكانوا يرون في القيامة علامة الانتصار على الموت وشوكته والعالم ورئيسه، وصدق إرسالية المخلص ابن الله، وضمان الحياة الأبدية التي وعد بها الرب للذين يحبونه.

ولقد ملكت على مشاعرهم محبة شديدة للملك المسيح، فحفظوا وصاياه في القلب وانطلقوا يكرزون بخلاصه بكل مجاهرة (أع٤: ١٣) وبلا أدنى خوف، وفى قلبهم إصرار مبارك وغيرة لا تنثني على المضي في الطريق إلى نهايته مهما كانت العقبات والمصاعب. وهذه بعض الصور على سبيل المثال:

مجاهرة بلا خوف

ففي أعقاب معجزة شفاء المقعد الذى كان يراه الجميع لأكثر من أربعين سنة على باب الهيكل الجميل يسأل صدقة، حاصر رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة الرسولين بطرس ويوحنا يحققون ويسألون. أما بطرس فبكل شجاعة الإيمان وصدقه يعلن لهم أن شفاء المقعد كان **باسم يسوع الناصري** (أع٣: ٦، ٤: ١١)، ثم يحول دفة الكلام نحوهم مواجهاً إياهم بخطيتهم "الذى صلبتموه **أنتم**.. هذا هو الحجر الذى احتقرتموه **أيها البناؤون** الذى صار رأس الزاوية"

(أع ٤: ١٠،١١)، ومن ثم يمجد إلهه مبشراً إياهم بخلاصه الفريد "**وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص**" (أع ٤: ١٢).

ولم يحر المجتمعون جواباً. كانت الكلمات تحمل معها صدقها وقوتها. وكانت مجاهرة بطرس ويوحنا، رغم بساطة مظهرهم وكونهما "عديما العلم وعاميان" (أع ٤: ١٣)، موضع التعجب. كما كان وقوف الإنسان الذى نال الشفاء معهما مما لا يمكن معه إنكار الأمر أو دحضه.

ولكن لأن رؤساء الكهنة والشيوخ كانوا مخلصين لأنفسهم أكثر من إخلاصهم لله، فبدل أن يذعنوا للحق حاولوا اجتثاث الشجرة من أساسها ووأد البشارة بالمسيح عن طريق التهديد "**أن لا يكلما أحداً من الناس فيما بعد بهذا الاسم، وأن لا ينطقا البتة ولا يُعلما باسم يسوع**" (أع ٤: ١٧،١٨). وكان ظاهراً أنهم يطلبون منهما المستحيل (أع ٤: ٢٠). فأية قوة مهما عظمت تستطيع أن توقف تيار الحق عن الاندفاع ليكشف الباطل ؟! وكيف يمكن لمن عرف المسيح بالاختبار الخلاصي أن يكتم في قلبه غيرة إلهه التي تتأكّله، وينكر ما رأى وسمع وهما أسطع من الشمس في رابعة النهار؟!

وعندما اجتمع الرسولان بطرس ويوحنا بأعضاء الكنيسة يقصّان ما حدث كان رد الفعل واحداً. لم يكن بينهم مترددون أو "عقلاء" يطلبون التروي ويشيرون "بالحلول الوسط" لتهدئة الموقف، بل على العكس رفع **الجميع وبنفس واحدة** صوتاً إلى الله لكي يمنح تلاميذه ورسله "أن يتكلموا **بكل مجاهرة**" (أع٤: ٢٩).

ولم يكن غريباً أن يتزعزع مكان اجتماعهم وأن يمتلئ الجميع من الروح القدس. **فكما أن الروح القدس هو وراء الشهادة الأمينة والكرازة الجسورة التي تقصد مجد الله ولا تأبه بأحكام الناس، فالشهادة الأمينة أيضاً تستدعى الروح**

القدس ومعونتـــه. وها هو ملاك الرب يترل في الليل ليفتح أبواب السجن الذي أُلقي فيه الرسل، بعد أن ضاق بكرازتهم رؤساء الكهنـــة، ويخـــرجهم قـــائلاً "**اذهبوا. قفوا وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة**" (أع ٥: ٢٠).

وهكذا، بينما كان الضغط يتزايد على الكنيسة من التوصية إلى التهديد، إلى السجن، إلى المشاورات على القتل (أع ٥: ٣٣، ٢٣: ١٢)، إلى محاولات القتـــل (أع ١٤ : ٩)، وإلى حد القتل بالفعل (أع ٨: ١)، كان إصرار الرسل علـــى أن تبلغ الكرازة غايتها يتزايد بالأكثر، ولكنه لم يكن مجرد قوة الإرادة ولكنه كان فعل الروح وضغط المحبة واختبار الخلاص والتزام الإيمان الحي وطاعة الله (أع ٥: ٢٩). فالرسل يخرجون من السجن إلى الهيكل ليعاودوا ما دخلوا السجن بـــسببه (أع ٥: ٢١). ثم يُجلدون فيمتلئوا بالفرح إذ "**حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه**" (أع ٥: ٤١). وبولس يُرجم في مدينة لسترة حتى يظن الجميع أنه قد مات ولكنـــه لا يكاد يسترد وعيه حتى يدخل إلى مدينة دربه مع برنابا فيبشران ويتلمذان كثيرين بل "**ويشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان**" (أع ١٤: ٢١،٢٢).

صامدون وحدهم

وحدث بعد قتل استفانوس أن هبت على كنيسة أورشليم عاصفة عاتية حملت معها تياراً من العنف كان من الشدة حتى أنه دفع الكثيرين إلى اللجـــوء إلى كور اليهودية والسامرة.

إلا أن ما يثير الإعجاب هنا أن الرسل صمدوا أمام موجة الاضطهاد هـــذه بصلابة الإيمان ومسئولية القيادة وأمانة الرعاية الصالحة، فكانوا **وحدهم** (أع٨: ١) الذين لم يتركوا مواقعهم وبقوا في أورشليم التي هجرها الجميع، شاهدين لإلَههـــم ومتمثلين بمخلِّصهم الذى بقى وحده (يو١٢: ٣٢) في مواجهة الصليب، وقـــابلين بالفرح كل ما يمكن أن يأتي عليهم بلا تحفظات أو حسابات من أجل إتمام الرسالة التي سلمهم إياها معلمهم المحبوب.

تشتتوا فبشروا

على أن قصد الله المبارك من نزوح هذا العدد من المؤمنين خارج أورشليم تحت وطأة الاضطهاد يظهر عندما نرى أن الذين تشتتوا لم يتروّوا عن الأنظار رعباً و إنما "**جالوا مبشرين بالكلمة**" (أع٨: ٤).

وهكذا تكون العاصفة التي هبت على أورشليم قد دفعت تيار الكلمة الدافق ليجتاح اليهودية والسامرة أي لتخطو الكرازة خطوتها التالية سريعاً متجهة من ثم إلى سائر المتغربين في كل الأرض (أع١: ٨). وبدل أن يكون الاضطهاد سبباً لإرهاق الكنيسة وانزوائها يصبح حافزاً لانتعاشها، ومثيراً لا يُبارَى في إشعال جذوة الحب لمن بذل نفسه عنها، وفرصة لإعلان حيويتها ومناعتها الدائمة ضد الموت.

هدف لا يغيب

كان شغل الرسل الشاغل هو خلاص الناس. و لم تسنح لهم فرصة للكرازة والتعليم إلا واقتنصوها لإلقاء شبكتهم لتصطاد النفوس العطشى للحياة ولإعلان اسم يسوع المخلِّص.

+ فعندما أُلقى الرسولان بولس وسيلا في السجن كانا يصليان ويُسبحان الله في منتصف الليل بصوت مسموع (أع١٦: ٢٢) -ولا شك أنهما قصدا أن تصل الرسالة إلى المسجونين معهما. ولما تزعزعت أساسات السجن وانفكت القيود وكاد حافظ السجن أن يقتل نفسه صاح فيه بولس مطمئناً إياه على وجود الجميع مما جعل حافظ السجن يندفع إلى الداخل جاثياً أمام بولس وسيلا اللذيْن لم يهربا، والآخرين، رغم تحررهم من الأغلال، إذ لم يكن يشغلهما الخروج من السجن بقدر ما يهمهما خلاص من معهما. ولقد شعر

الرجل مما جرى أن هذين الرجلين يتبعان الإله الحق. فسألهما عن طريق الخلاص. ولم يتركه الرسولان إلا بعد أن **اعتمد هو والذين له أجمعون** (أع١٦: ٣٣). وفى الصباح عادا إلى السجن من جديد بعد أن تحرر السجان وأهل بيته من سجن هذا العالم!

+ وفى أثناء محاكمة بولس أمام فيلكس والى قيصرية، استطاع بولس أن يحوّل المحاكمة إلى مجال للكرازة والتعليم. بل جعل فيلكس يستدعيه للكلام عن الإيمان بالمسيح أمام دروسلاّ امرأته اليهودية. ولم يكن حديث بولس تجريدياً جافاً، وإنما عن **البر والتعفف والدينونة**، فقد كان بولس **شاهداً كارزاً** وليس واعظاً محترفاً. ويبدو أن وطأة الكلام كانت شديدة حتى أن فيلكس ارتعب وطلب إرجاء الكلام لوقت آخر (أع٢٤: ٢٥)، وقد يكون فيلكس قد فقد فرصة للحياة لا تعوَّض إذ كان مشغولاً بالحوار والجدل أكثر مما كان يترك الكلمات لتعمل فعلها في قلبه. ولكن ما يعنينا أن بولس كان منتبهاً لعمله الكرازى ولرسالته التبشيرية بصفة دائمة بحيث أنه كان ينسى أنه يحاكم أمام والٍ ويذكر أنه يكرز بالمسيح لهذا الإنسان.

+ ولعل هذا يتضح أكثر في موقف الرسول بولس أثناء محاكمته التالية أمام الملك أغريباس والوالي فستوس، حيث حكى حادثة لقائه بالرب في الطريق إلى دمشق، مشيراً إلى شهادة الناموس والأنبياء عن المسيح ومحركاً قلب أغريباس للإيمان حتى بدا أنه يقترب إلى معرفة المسيح.

وهنا يفصح القديس بولس عن مشاعره واشتياقاته، ليس بالنسبة لخلاص أغريباس وحده بل خلاص جميع الذين يسمعونه وقت محاكمته، قائلاً "**كنت أصلى إلى الله أنه بقليل وبكثير ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعونني اليوم**

يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود" (أع٢٦: ٢٩). وهى لم تكن في حقيقة الأمر اشتياقات الرسول بولس في الأساس وإنما هي قبل ذلك اشتياقات إلهه الذى "**يريد أن جميع الناس يخلصون**" (اتى ٢: ٥)؛ والذي "مات لأجل **الجميع**" (٢كو٥: ١٥)، والذي هو كفارة "لخطايا **كل العالم**" (١يو٢: ٢).

شهادتنا

والدعوة اليوم للكنيسة كي تشهد لمسيحها في العالم الذى تعيش فيه كما يشهد هؤلاء المغبوطون:

+ **أن تحس بمديونيتها الدائمة لعريسها المخلِّص** الذى كساها بثوب برِّه وأغناها بنعمته وفتح لها أبواب الملكوت، **وتعلن استعدادها لكي تعطى وتبذل، وإلى حد الموت من أجل المسيح**، دون أن تنتظر لتأخذ من أحد شيئاً فمسيحها يكفيها.

+ **أن تحتفظ بخواصها النقية وصورة إلهها** فلا تكون لها بالعالم وسياساته وأمواله خلطة تضيع معها معالمها وينحجب نورها، وإنما تبقى للعالم ومؤسساته **مصدر استنارة وتقويم وتأديب**.

+ إن القوى العظمى في العالم، بدل أن توظف قوتها وتفوقها في إحقاق العدل والمساواة وإدانة الظلم وردع الظالمين، كثيراً ما تقع أسيرة المصالح الذاتية فتميل مع الهوى وتساند المعتدى وتتخلى عن المظلوم، **هنا يأتي دور الكنيسة: لا أن تعمل بالسياسة وإنما أن تصير ضمير العالم، فتقدم النصيحة للرؤساء، وتساند روح العدالة، وتدين كل صور المظالم الاجتماعية والفوارق الطبقية والعنصرية واللونية والعقائدية وغيرها، وتشجب كل ألوان الحروب وما تحمله من مآسٍ لعالم بائس لم يعد فيه مكان لجرح جديد.**

+ أن تدرك أن العالم البعيد في حاجة إليها حتى وإن لم يدرِ. إن إشباع النوازع الجسدية ورفاهية الحياة والتعبد لتكنولوجيا العصر لن يُغنى الإنسان عن إشباع حاجاته الروحية، حيث تظل النفس عطشى، حيرى، تائهة، حتى تستقر في حضن المخلص.

+ أن تحس دوماً بمسئوليتها الكرازية وبأنها ملتزمة بتثبيت إيمان بنيها وأيضاً بتبشير كل النفوس الضالة، وبألا تقبل كأمر واقع إلحاد هذه الملايين العديدة في الشرق والغرب بل تقترب منهم وتقدم لهم المسيح الحقيقي والإيمان الحقيقي، بدل المسيحية المزيفة والتي رفضوها وتجاوزوها بسبب تغرب كنائس كثيرة في الزمان الأخير عن إلهها ورأسها. **إنهم أيضاً حقلها ومجال كرازتها ولا تستطيع أن تهرب من مسئوليتها تجاههم.**

+ أن تحتفظ بروح الصلاة سلاحها الأول في معاركها مع الشر ووسيلتها لاستدعاء روح الله ومعونته، مصدر قوتها وغلبتها وسر فعالية كلمتها.

+ أن تعرف أن إقامتها هنا ليست دائمة، وأن خدمتها وكرازتها وسط العالم هي دعوة للحياة الأبدية، تبدأ هنا وتمتد هناك إلى ما لا نهاية. وبهذا اليقين تتجاوز الكنيسة واقعها المنظور بسلبياته وتقبل الآلام بكل الفرح كأكاليل للمجد توضع على هامتها في اليوم الأخير.

العمل الإلهي في الخدمة

إذا كان هدف الخدمة الأساسي هو دعوة العالم لتبعية المسيح، أي الإيمان به والتمتُّع بخلاصه، وبالتالي النجاة من الموت ونوال الحياة الأبدية؛ فإنَّ الله هو الذي رسم هذا الطريق، وهو الذي يهيئ القلوب لقبول الإيمان، وهو الذي يُساند النفس التائبة برعايته كل الطريق، وهو الذي يُحرِّك الأشواق إلى التوبة في النفوس الضالة، وهو الذي يُشجِّع الخادم على مواصلة رسالته، وهو الذي يُقدِّسه، ويتكلَّم فيه، ويثمر في خدمته، ويُعزِّيه وقت الضيق والآلام والفشل، ويُبهجه بالذين يضمهم الرب إلى كنيسته كل يوم.

فالخدمة هي موضوع اهتمام الله، وإذا كان الله هو **الهدف** فهو أيضاً **الوسيلة**، والخادم هو **أداة عمل الله**، المُنفِّذ لمشيئته، الطائع لوصاياه، الساعي دوماً لمجد الله، المتمثِّل بسيده؛ مُنكراً ذاته، ومتَّكلاً على إلهه، طالباً عونه في كل خدمة صغرت أم كبرت.

وتكشف لنا كلمة الله عن هذا الدور الذي لله، الآب والابن والروح

القدس، ونعمته، في كل جوانب خدمة النفوس وتعليمها ورعايتها وقيادتها إلى الحياة الأبدية.

عن عمل الآب

في اليوم التالي لمعجزة إشباع الجموع من الخمس خبزات والسمكتين، قدَّم الرب يسوع نفسه للعالم على أنه **خبز الحياة الحقيقي**، وأنَّ مَنْ يُقبِل إليه لا يجوع (يو ٦:٣٢-٣٥). وأشار إلى أن **الآب**، الذي "**أحب... العالم حتى بذل ابنه الوحيد**" (يو ٣:١٦)، والذي "**لا يُسرُّ بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا**" (حز ١٨:٢٣؛ ٣٣:١١) **هو الذي يجتذب النفوس لتُقبِل إلى الابن** لتنال الخلاص، **وأنَّ أحداً لا يقدر أن يُقبِل إلى الابن إن لم يجتذبه الآب** (يو ٦:٤٤).

+ وهذه هي كلمات الرب كما جاءت في الأصحاح السادس من إنجيل معلِّمنا القديس يوحنا:

"**كل ما يُعطيني الآب فإليَّ يُقبل**، ومَنْ يُقبِل إليَّ لا أُخرجه خارجاً" (٦:٣٧)؛

"وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أنَّ كل **ما أعطاني** لا أُتلف منه شيئاً، بل أُقيمه في اليوم الأخير" (٦:٣٩)؛

"لا يقدر أحد أن يُقبِل إليَّ **إنْ لم يجتذبه الآب** الذي أرسلني، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير" (٦:٤٤)؛

"ويكون الجميع متعلِّمين من الله. فكل مَنْ **سَمِعَ من الآب وتعلَّم** يُقبِل إليَّ" (يو ٦:٤٥).

+ وفي حديثه إلى اليهود المجتمعين بعد تفتيح عيني الأعمى - وكان موقف أكثرهم سلبياً إزاء المعجزة الباهرة - قال الرب يسوع إنه **باب الخراف** الذي إنْ دخل به أحدٌ يخلص، وإنه **الراعي الصالح** الذي يبذل نفسه عن الخراف

(يو١٠:٧-١١). ولكن الرب يوضِّح هنا أن الآب هو الذي يهيئ الخراف لقبول دعوة الحياة، وهو الذي يحفظها ويحميها من مكائد إبليس المتربِّص بها لاختطافها، وأنَّ الله لن يسمح بهلاكها. وهذه هي كلمات الرب:

"خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، **ولا يخطفها أحدٌ من يدي. أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد**" (يو١٠:٢٧-٣٠).

+ وفي حديث المسيح إلى تلاميذه بعد العشاء الأخير قال الرب: "إن أحبني أحدٌ يحفظ كلامي، **ويُحبُّه أبي**، وإليه نأتي، وعنده نصنع متزلاً... الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل **للآب** الذي أرسلني" (يو ١٤:٢٣و٢٤).

فالآب الذي يحب ابنه، يحب كل مَنْ يحبه ابنه، ويترل مع ابنه في ضيافته أبداً. وأنَّ الابن، الذي أخلى نفسه من كل مجده، يُقدِّم نفسه كمحقِّق لمشيئة الآب الذي أرسله.

فالنفوس التي اختارها الله، بعلمه السابق، بقبولها الإيمان، **يعطيها لابنه** لتصير ضمن خاصته، وأنها لا تقدر أن تتبع المخلِّص **إن لم يجتذبها الآب**. وأنَّ كل نفس ممسكة بالحياة الأبدية هي متمتعة **بحماية الآب وابنه**، ومحصَّنة ضد الهلاك وضد مكائد العالم ورئيسه إبليس، لأنها **موضوعة في يد الآب وفي يد الابن** الذي خلَّصها بدمه وموته على الصليب:

"**لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مُشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعيَّنهم، فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم، فهؤلاء برَّرهم أيضاً. والذين برَّرهم، فهؤلاء مجَّدهم أيضاً**" (رو ٨:٢٩و٣٠).

عن عمل الابن

أما عن عمل الابن في الخدمة، فلأنه **المخلِّص الذي "ليس بأحد غيره**

الخلاص" (أع ١٢:٤)، ولأنه الذي **أخبرنا عن الآب** "الذي لم يَرَه أحدٌ قط" (يو ١٨:١)؛ بل فيه **عرفنا الآب**: "الذي رآني فقد **رأى الآب**" (يو ٩:١٤)، واتساع حبه: "هكذا أحب الله العالم" (يو ١٦:٣)، ولأنه **الوسيط الواحد لعهدٍ جديد** (١تي ٥:٢، عب ١٥:٩؛ ٢٤:١٢) الذي **"غسَّلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه"** (رؤ ٥:١و٦)، **والشفيع** (عب ٢٥:٧، ١يو ١:٢)، ولأنه **طريقنا إلى الله الآب** (يو ٦:١٤)، ولأنه **أخذ جسدنا** صائراً مثلنا في كل شيء ما عدا خطيتنا (عب ١٥:٤) لكي **نصير نحن مثله** (١يو ٢:٣). من هنا يكون **الابن هو غاية الكرازة ووسيلتها**.

وها هي كلمات العهد الجديد تلقي الضوء على عمل المسيح في الخدمة:

+ فهو **طريقنا إلى الآب**: "أنا هو **الطريق والحق والحياة. ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلاَّ بي"** (يو ٦:١٤).

+ وإننا **بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً** (يو ٥:١٥)، وفيه **نستطيع كل شيء**: "أستطيع كل شيء **في المسيح** الذي يقويني" (في ١٣:٤).

+ **وباسمه ننال عطايا الآب**: "ومهما سألتم **باسمي** فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن" (يو ١٣:١٤)، "أنا اخترتكم... لكي يُعطيكم الآب كل ما طلبتم **باسمي**" (يو ١٦:١٥)، "كل ما هو لي فهو لك (للآب)، **وما هو لك فهو لي**" (يو ١٠:١٧)، "**كل ما للآب هو لي**" (يو ١٥:١٦).

+ **وهو الذي يهب الحياة لكل مَنْ يؤمن به – سواء هنا: "مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ"** (غل ٢٠:٢)، **"إنْ دخل بي أحدٌ فيخلُص ويدخل ويخرج ويجد مرعى"** (يو ٩:١٠)، **"أما أنا فقد أتيتُ لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل"** (يو ١٠:١٠)؛ **أو في مجيئه الثاني: "... لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"** (يو ١٦:٣)، **"وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"** (يو ٣:١٧)،

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣:٣٦)، **"وهذه هي الشهادة: أنَّ الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. مَنْ له الابن فله الحياة، ومَنْ ليس له ابن الله فليست له الحياة"** (١يو ٥:١١و١٢)، **"خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي"** (يو ١٠:٢٧و٢٨)، **"مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير... مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه"** (يو ٦:٥٤-٥٦).

عن عمل الروح القدس

منذ صعود المسيح وحلول الروح القدس يوم الخمسين، حسب وعده، فإننا في الروح القدس ننال كل استحقاقات الفداء وكل ما عمل المسيح لأجل الإنسان.

+ فهو **المعزِّي والمعلِّم والمُذكِّر**: "وأما المعزِّي، الروح القدس، الذي سيُرسله الآب باسمي، **فهو يُعلِّمكم كل شيء، ويُذكِّركم بكل ما قلته لكم.**" (يو ١٤:٢٦)

+ وهو الذي **يشهد للسيد**: "... روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو **يشهد لي**" (يو ١٥:٢٦)، "ذاك يمجِّدني، لأنه يأخذ مِمَّا لي **ويُخبركم.**" (يو ١٦:١٤)

+ وهو **المرشد للحق**: "... روح الحق، **فهو يرشدكم إلى جميع الحق.**" (يو ١٦:١٣)

+ وهو **روح الميلاد الجديد**: "إن كان أحد **لا يولَد من الماء والروح** لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣:٥)، "... بمقتضى رحمته خلَّصنا بغُسْل الميلاد الثاني **وتجديد الروح القدس**" (تي ٣:٥).

+ وهو **الفاعل في كل أسرار الكنيسة**: بدءاً بالمعمودية "**سيُعمِّدكم بالروح القدس**" (مت ٣:١١، مر ١:٨، لو ٣:١٦، يو ١:٣٣، أع ١:٥؛ ١١:١٦).

+ وهو **المتكلِّم في أفواه الكارزين**: "لستم أنتم المتكلِّمين بل **روح أبيكم** الذي يتكلَّم فيكم" (مت ١٠:٢٠).

+ وهو الذي **يُحرِّك القلوب للإيمان بالمسيح المخلِّص**: "وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاَّ **بالروح القدس**" (١كو ١٢:٣)، "ولكن إن كان أحد ليس له **روح المسيح**، فذلك (أي هذا الشخص) ليس له (أي المسيح)" (رو ٨:٩).

+ وهو **معلِّم الصلاة**: "كذلك **الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا**، لأننا لسنا نعلم ما نصلِّي لأجله كما ينبغي. **ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنَّاتٍ لا يُنطق بها**" (رو ٨:٢٦).

+ وهو: "**روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب**" (إش ١١:٢).

+ وهو **واهب المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والإيمان والوداعة والتعفُّف** (غل ٥:٢٢، رو ٥:٥، ١تس ١:٦).

+ وهو **روح القداسة** (رو ١:٤)، والتبرير: "لكن اغتسلتم، **بل تقدَّستم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا**" (١كو ٦:١١).

+ وهو **روح التبكيت** الذي يُحرِّك النفس إلى التوبة: "ومتى جاء **ذاك يُبكِّت** العالم على خطية..." (يو ١٦:٨)، "فلما سمعوا **نُخِسوا في قلوبهم**... فقال لهم بطرس: **توبوا**..." (أع ٢:٣٧و٣٨).

عن عمل النعمة

تُذكر كلمة "**النعمة**" كثيراً في الكتاب المقدس، وهي قد تعني "**البركة والعطية**"، جسدية كانت أم روحية: "وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (أم ٣:٣٤، يع ٤:٦، ١بط ٥:٥)، أو قد تأتي بمعنى البركة مع السلام والفرح

والطمأنينة: "ونعمة عظيمة كانت على جميعهم" (أع ٤:٣٣)، أو بمعنى القبول والرضا: "لأنكِ قد وجدتِ نعمة عند الله." (لو ١:٣٠)

أما في معناها الخاص في العهد الجديد، **فالنعمة** هي تعبير عن عطاء الله الغني والثمين، والذي لا يُقدَّر، الذي يهبه الله المُحب لمَنْ يريد أن يأخذ. والنعمة مجانية، لأن أحداً لا يملك ما يُقدِّمه مقابلها غير أن يقبل. فحب الله غير المحدود للإنسان، وفداؤه وخلاصه وحياته الأبدية الممنوحة لكل مَنْ يؤمن، وهبات الروح والأسرار خلال مسيرة الحياة؛ هي جوانب من فيض نعمة الله غير المحدودة.

والنعمة ترتبط بعمل الأقانيم الثلاثة. فارتباطها بعمل الابن يتضح في الآيات: "لأن الناموس بموسى أُعطِيَ، أما **النعمة** والحق **فبيسوع المسيح** صارا" (يو ١:١٧)، "**نعمة ربنا يسوع المسيح**" (رو ١٦:٢٠و٢٤، ٢كو ١٣:١٤)، "فتقوَّ أنت يا ابني **بالنعمة التي في المسيح يسوع**" (٢تي ٢:١)، "حتى كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك **النعمة** بالبر، للحياة الأبدية، **بيسوع المسيح ربنا**" (رو ٥:٢١).

والنعمة هنا هي تخصيصاً **نعمة الخلاص**: "لأنكم **بالنعمة مُخلَّصون**، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو **عطية الله**" (أف ٢:٨) التي كلَّفت الابن تجسُّده وموته على الصليب، وهي أعظم النِّعَم التي أتاحها الله لكل مَنْ يؤمن.

ومعلِّمنا بولس الرسول في افتتاحيات اثنتي عشرة رسالة من رسائله الأربعة عشرة، يُقرِن النعمة بالآب والابن: "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح"، باعتبار **أن النعمة يفيضها الله الآب في ابنه يسوع المسيح من خلال الروح القدس "روح النعمة"** (عب ١٠:٢٩).

ونحن نختبر عمل **نعمة الله** في **الخلاص**، وفي حياة **الخدمة**، كما نختبرها في كل جوانب الحياة الأخرى. وفي اختبار القديس بولس، نجد أن نعمة الله هي **سر النمو والثمر الكثير**:

"ولكن **بنعمة الله** أنا ما أنا، **ونعمته المُعطاة لي** لم تكن باطلة... ولكن لا أنا، بل **نعمة الله التي معي**" (١كو ١٥: ١٠)؛

"أنا غرستُ وأَبُلُّوس سقى، لكن **الله كان يُنْمِي**. إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله **الذي يُنمي**" (١كو ٣: ٦و٧).

✞ ✞ ✞

خدمتنا، إذن، هي تتميم لمشيئة الله، وتحقيق لمقاصده، وهي أولاً وأخيراً عمل الله الآب والابن والروح القدس، وهي تقديم "الواقف على الباب" ـ **المسيح** ـ للمخدومين، ودفعهم إلى التعامُل معه واختبار خلاصه واقتناء حياة القداسة بالروح القدس: **"القداسة التي بدونها لن يرى أحدٌ الرب"** (عب ١٢: ١٤).

وإذا كان الله هو الهدف وهو الوسيلة، فنعمته هي التي تستخدمنا وتتكلَّم فينا، وهي التي تدعو وتغيِّر وتشكِّل وتصنع الخليقة الجديدة في المسيح يسوع.

والخدمة المثمرة هي التي يعملها الله وليس الإنسان. وكلما توارينا خلف الجنب المطعون والجبين المكلَّل بالشوك، وكلما بدا المسيح في خدمتنا وليس نحن؛ كان الثمر مؤكَّداً. لأن هذا هو وعد الله: إنَّ **"كلمته لا ترجع إليه فارغة"** (إش ٥٥: ١١).

ربما كانت بساطة مواهب الخادم في بعض الأحيان أمراً إيجابياً، لأنها تؤدِّي به مباشرة إلى الاعتماد أساساً على عمل الله في خدمته، فتنمو وتتسع. كما أنه في بعض الأحيان تكون وفرة مواهب الخادم وتنوُّعها وإحساسه بها دون تكريسها لحساب الله، عائقاً أمام العمل الإلهي في تلك الخدمة.

فلنسلِّم للرب كل ما لنا، ليستخدمه من أجل مجده، ولننسكب عند موضع الجلجثة أمام مخلِّص العالم الذي أرسلنا، **نسأله المعونة والقوة** في خدمة مَنْ مات

لأجلهم. ولتستنر أفكارنا **بكلمة الله** الحيَّة الباقية. ولتخضع نفوسنا **لتبكيت الروح القدس** المُنشئ **التوبة**، فننال العزاء، ونجد نعمة عوناً في حينه.

الأرض الجيدة

في أول أمثاله الطويلة، تناول الرب هذا الأمر وقدَّم مَثَل الزارع(١)، والذي استخدم فيه ببراعة عناصر البيئة المحيطة؛ مبيِّناً أن الزارع وهو ينثر البذار على الأرض، صادفت البذار أنواعاً من التربة لم تُثمر فيها، ربما نمت قليلاً ثم ذبلت واختنقت، ولكنها لما سقطت على الأرض الجيدة أعطت ثمراً.

ومن محبة الله أنه كمعلِّم أخذ يشرح لتلاميذه، ولنا من بعدهم، معنى هذا المثل مبيِّناً أن **البذار** (أو الزرع) هي كلمة الله، التي يُلقيها **الزارع** وهو الرب نفسه (الكلمة اللوجوس) أو خادم الكلمة الذي يتكلَّم فيه الرب بالروح، وأن **الأرض** هي قلب المتلقِّي.

---

(١) هو إنجيل قدَّاس الأحدين الأول والثاني من شهر هاتور (نوفمبر)، وهو شهر نثر البذار في الشرق (مت ١٣: ١-٩ و١٨-٢٣، مر ٤: ١-٩ و١٤-٢٠، لو ٨: ٤-٨ و١١-١٥).

أربعة أنماط

أورد الرب، بالمقابلة مع أنواع التربة التي سقطت عليها البذار، أربعة أنماط من السامعين: ثلاثة يمثِّلون صوراً من إيمان شكلي ضعيف خاضع لظروف الزمان، فأخفقوا في قبول الكلمة؛ والنمط الرابع، أصحاب الأرض الجيدة، وهم مَنْ قبلوا الكلمة بفرح، فأعطت ثمراً.

النمط الأول

يُقابله حالة البذار التي سقطت على الطريق فداستها الأقدام أو أكلتها طيور السماء. وفسَّر الرب ما قاله أن الشرير يأتي ويخطف ما زُرع في القلب. وواضح أن أصحاب هذا النمط لم يبدأوا بعد حياة مع الله، فلا تربة هناك للنمو، والفكر نَهْبٌ لكل التيارات وألوان التسلية السطحية والأحاديث الفارغة. وإبليس من جانبه لا يسمح بأية بداية. إنه أولاً بأول يترع البذار من هذا القلب المستباح دون سياج أو حراسة. من هنا فالكلمة تَعبُر دون أن تستقر، والأفكار والاهتمامات الجسدية تستبعدها دون أن تترك أثراً.

النمط الثاني

ويُقابله حالة البذار التي سقطت على الأماكن المحجرة، فلم تكن هناك تربة كثيرة. وفي غياب العمق والجذور تمَّ النبت سريعاً، ولكن ما إن أشرقت عليه الشمس حتى احترق وجفَّ، وبحسب تفسير الرب فإن هؤلاء هم العاطفيون السطحيون الذين يقبلون الكلمة حالاً بفرح ويؤمنون إلى حين، مختبرين عزاءً مؤقتاً. ولكن إذ ليس لهم عمق إيمان أو اختبار حقيقي، فإنهم ينهارون تحت وطأة التجربة والاضطهاد والضيق والمسئوليات والمشاغل اليومية ومرارة الحياة، فيَعثرون ويرتدُّون، حتى يُكرِّرون القصة من جديد، مَثَلهم في ذلك مَثَل كثيرين قبلهم سمعوا المسيح على الأرض وفرحوا بالكلام ثم نسوه دون أن يخلصوا: **"لأنه إن كان أحدٌ**

سامعاً للكلمة وليس عاملاً، فذاك يُشبه رجلاً ناظراً وجه خِلْقته في مرآة، فإنه نظر ذاته ومضى، وللوقت نَسِيَ ما هو" (يع ١: ٢٣و٢٤).

النمط الثالث

وتمثــلّه حالة أرضٍ يُغطيها الشوك. فالبذار تنبت ومعها الشوك يخنقها، وهم أولئك الذين يقبلون الكلمة، ولكن هموم هذا العالم بأنواعها وغرور الغِنَى وشهوات الحياة ولذّاتها تخنق الكلمة فلا يظهر لها ثمر و**"حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً"** (مت٦: ٢١). فالشاب الغني حفظ الوصايا، ومع هذا لم يقدر أن يتبع السيد بل مضى حزيناً (لو ١٨: ٢٣). والكتاب يُحذِّر أن **اهتمام الجسد ومحبة العالم هما عداوة لله** (رو ٨: ٧، يع ٤: ٤)، وأن **"الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله"** (رو ٨: ٨).

ونريد أن نؤكِّد هنا على دور عدو الخير في تعطيل خلاص هذه الأنماط الثلاثة بإجهاض فِعْل الكلمة في قلوبهم، فهو كالطيور آكلة الحَبّ، ينتزع الكلمة المزروعة في القلب **"لئلا يؤمنوا فيخلصوا"** (لو ٨: ١٢).

فهو صانع الضيق والتجربة والاضطهاد، وهو العدو المتسلِّل زارع الزوان في وسط الحنطة (مت ١٣: ٢٥و٢٨)، وهو وراء همّ هذا العالم وإغراء الغِنَى واللذات فتجوز عليهم الخديعة: **"ولا ينضجون ثمراً"** (لو ٨: ١٤).

النمط الرابع

وتقابله الأرض الجيدة المحروسة غير المدوسة، العميقة النظيفة دون أحجار تحت سطحها أو أشواك فوقها تخنق الزرع. هؤلاء هم الذين يسمعون الكلمة فيفهمونها ويحفظونها في قلب جيد صالح ويُثمرون بالصبر (لو ٨: ١٥): سلاماً وتوبة وفرحاً ومحبة وخدمة وطمأنينة من جهة الغد، وانتقالاً من الأرضيات إلى السماويات، وتغييراً مطرداً يتصاعد من ثلاثين ضعفاً إلى مائة ضعف كل واحد حسب قامته.

جماعتان

وكما نرى فالأنماط الأربعة تلتئم في جماعتين. **الأولى**: تضم الأنماط الثلاثة الأولى، **والجماعة الثانية**: هم أصحاب الأرض الجيدة. وقصد الرب أن يضع الجماعتين جنباً إلى جنب بحيث تكشف كل منهما الأخرى بالتضاد.

فالجماعة الأولى بطبيعتها واهتماماتها لا تتلاقى مع الكلمة أو إن التقت تحترق فيها الكلمة أو تختنق؛

والجماعة الثانية تمثـــِّل – بالضد – النفوس التقية التي تحررت من ضغوط الحياة الجسدية، فهي تُرحِّب بالكلمة وتطيعها فتثمر فيها.

كما أن تعمُّد الرب أن يُفصِّل في أنماط الجماعة الأولى لم يكن بلا هدف، فهو ولا شكّ يقصد مساعدتها أن تكتشف هويتها، ويعرف كل نمط الأسباب وراء هذا الجمود والموات، وإجهاض النبتة بعد النمو القليل، أو لماذا برودة الحياة وفتورها وخضوعها للأباطيل، وتغرُّبها عن شخص المسيح وجماعة الخراف.

فهذه الأنماط ليس محكوماً عليها أن تبقى هكذا، ولكن توبة أصحابها بعد اكتشاف العقبات أمام فعل الكلمة تضمهم فوراً إلى أصحاب الأرض الجيدة إن أرادت:

+ فربما رجع أصحاب **النمط الأول** إلى أنفسهم يوماً يتساءلون عن جدوى هذه الحياة التي يدورون فيها مسلوبي الإرادة موثقي الأيدي مغمضي العينين. فهم في الكنيسة كأنهم زائرون أو عابرو سبيل يدخلون ويخرجون كما دخلوا. وقد يلتقون بالناس ولكنهم متغرِّبون عن صاحب العُرس.

نقول، ربما أدركتهم نعمة الله، فاكتشفوا أن إبليس هو العقبة التي تمنع سماعهم لصوت الله "**فيؤمنوا**" (لو ٨: ١٢)، وأن الرب المُحِب واقفٌ بالباب منذ زمان يقرع، وأن لهم أيضاً نصيباً عنده، فيهرعون بالتوبة إلى الرب قبل أن

تمضي الحياة ويأتي الموت كما أتى لغيرهم، ويتعلَّمون كيف يحفظون قلبهم من الطيور المقتحمة منصتين إلى الصوت "**فوق كلِّ تحفُّظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة**" (أم ٤: ٢٣)، ويصنعون له سوراً وباباً لا يفتحه إلاَّ مَن بيده مفاتيح الحياة والموت.

+ وربما تأسَّف أصحاب **النمط الثاني** على هذه الحياة الفاترة التي لا تكاد تفرح بعشرة الله حتى يرتدُّون إذا سطعت عليهم شمس التجارب والاضطهادات. وهم يُقارنون أنفسهم بإخوتهم المتقدِّمين الذين يختبرون حياة مستقرة في المسيح ويعيشون بالإيمان مردِّدين دوماً: "مَن سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد...؟" (رو ٨: ٣٥). وربما أدركوا قدرة الله على أن ينزع منهم قلب الحجر ويُعطيهم روحاً جديداً وقلباً جديداً (حز ١١: ١٩؛ ٣٦: ٢٦).

+ أما الذين تخنق الكلمةَ عندهم الشهواتُ وغرورُ الغِنَى وهمومُ الحياة، فقد اعتنى الرب وشخَّص لهم حالتهم، مُبيِّناً أنه إن لم يقوموا بتنظيف أرضهم من الأشواك والحشائش الضارة، فلن يُعاينوا يوماً فرحة لقاء الرب. وربما سمح الرب لهم بالمرض والألم الذي تذبل معه شهوة الطعام والجنس وسائر لذَّات الحياة، ويصبح المال بلا قيمة غيرَ قادر على منح السعادة أو الشفاء؛ وعندها قد يلجأون إلى الكرَّام العظيم يسألونه أن ينزع الشوك من أرض حياتهم حتى تواصِل الكلمة فِعْلها وتؤتي ثمرها، فينجون من الموت.

ولكن، للزارع دوره

كما بَدَا من المَثَل، فإن تربة القلب هي العامل الرئيسي في قبول الكلمة وإثمارها. فالرب يُشرك المؤمن في مسئولية قبول الكلمة عندما طالبه أن تكون أُذناه روحيتين ومهيَّأتين للسمع والفهم (مر ٤: ٢٠)، أي أن ينصت ويُركِّز ويحصُر نفسه فيما يسمع، وأن يكون إيجابياً فيقبل الكلمة بفرح (لو ٨:

١٥) ويطيعها. كما أن عليه ألاَّ يتعجَّل الثمر كمؤمن لا تهتز ثقته في الرب "**يُثمرون بالصبر**" (لو ٨: ١٥)، وأن يحفظ الكلمة في قلب جيد صالح، تاركاً للرب "الذي يُنمي" (١كو ٣: ٧) دوره الذي يتم في الخفاء.

ولكننا لا نستطيع أن نُغفل دور **الزارع** (ويُمثِّله **الراعي والمعلم والخادم والواعظ**) الذي ينثر الكلمة ويغرسها ويسقيها (١كو ٣: ٦)، فقد يكون إيجابياً مُسانداً النفوس الأمينة لقبول الكلمة، أو قد يكون سلبياً مُعطِّلاً مُشاركاً في وأد أثر الكلمة.

وقد بيَّن الرب أهمية الخادم والراعي بأن عيَّن اثني عشر تلميذاً وسبعين رسولاً يُتلْمِذون الآخرين. **فالخادم المتوشِّح بالروح المُرسَل من الله هو ضرورةٌ لتوصيل كلمة الخلاص. ولكي يدعو واحدٌ باسم الرب لنوال الخلاص لابد أن يؤمن أولاً. ولكي يؤمن لابد أن يسمع. ولكي يسمع لابد من كارز. ولكي يكرز الكارز لابد أن يُرسَل** (رو ١٠: ١٣-١٥).

بل إن الرب - من وسط كل الأرض - قد انتقى شاول الذي كان يضطهده، لأنه رأى فيه إناءً مختاراً له، وكانت كرازته مجداً للرب حتى الساعة الأخيرة. ولأهمية دور الخادم وتأثيره كانت هناك الوصايا التي تُذكِّره بالتزاماته:

"**كُن قدوة للمؤمنين...**" (١تي ٤: ١٢، تي ٢: ٧)؛

"**اعْكُفْ على القراءة والوعظ والتعليم**" (١تي ٤: ١٣)؛

"**لا طامع بالربح القبيح... ولا مُحب للمال**" (١تي ٣: ٣).

+ **الخادم الحقيقي** يتوارى خلف الصليب ويُقدِّم المخلِّص، الكلمة الحقيقية، متمثِّلاً بقول المعمدان: "**ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص**" (يو ٣: ٣٠). فرحه الحقيقي هو أن النفوس (العروس) ترتبط بالعريس السماوي، وهو كصديق للعريس يبتهج أن مخدوميه سائرون على الطريق

الصحيح.

+ **الخادم الحقيقي يحتفظ للكلمة بكل قوتها وقدرتها على التعزية، والإنهاض، والتثويب، والتشجيع، وإنارة الذهن، والإنذار، وكشف الخبايا، والولادة من جديد** (١بط ١: ٢٣). وأمامنا كلمة القديس بطرس القصيرة التي نحست ثلاثة آلاف نفس وأنقذتهم من الموت (أع ٢: ٣٧).

+ على غير ذلك يكون **الخادم المُدَّعي** الذي يُقدِّم ذاته وبلاغته حاجباً عن الرب مجده. وفي الغرب تتحوَّل عظات البعض إلى مشاهد مسرحية تتصاعد إلى التصفيق والهتاف إعجاباً! ويسلبون الكلمة قوتها بضعفهم، ويجرِّدونها من قدرتها على التثويب بعدم طاعتهم هم لها، ويفقدون ثقة السامع بمحبتهم للعالم.

وفي رسائل الرب إلى خدَّام الكنائس السبع في سفر الرؤيا كلام خطير للرعاة وصل إلى حدِّ التوبيخ والإنذار: هذا الذي ترك محبته الأولى وطُلب إليه أن "**اذكُر من أين سقطت وتُبْ... وإلاَّ...**" (رؤ ٢: ٥)؛ وهذا المتسيِّب الذي يتساهل مع المنحرفين عن الإيمان (رؤ ٢: ٢٠)؛ وهذا الذي يحسب أنه حي وهو ميت في الحقيقة وطُلب إليه أن "**تُبْ، فإني إن لم تسهر، أُقدِم عليك كلص**" (رؤ ٣: ٣)؛ وهذا الفاتر الذي يتكلَّم من ذاته ولا يعرف أنه فقير وبائس وأعمى وعريان، والإنذار له: "... **كُنْ غيوراً وتُب**" (رؤ ٣: ١٦-١٩)

+ دور **الخادم الحقيقي** هام جداً لإنقاذ الأنماط الثلاثة الأولى وتتويب أصحابها. وهو غُصَّة في حلق إبليس الذي يُسعده أن يمتلئ الجو الكنسي بالكلام الأجوف غير المملَّح بالنعمة الذي هو أخطر من عدم الكلام، لأنه يُعطي انطباعاً أن هناك خدمةً وعملاً يؤدِّي إلى طمأنينة كاذبة بينما الموت يسعى كلصٍ في الظلام. كما هو هام أيضاً لتثبيت إيمان الجماعة الثانية.

+ على العكس، **فالخادم المدَّعي** خطر يتهدَّد الجميع، فهو كما يسلب من الجماعة الأولى رجاء العودة إلى الأحضان الأبوية؛ فإنه يسلب من الجماعة الثانية التعزية، ويُفتِّر الحياة، ويُعثر النفس ويقودها إلى الإدانة والانتقاد، فيخرج

المستمع من الكنيسة وقد أصابه الحزن بدل أن ينال الفرح.

إلى أصحاب الأرض الجيدة

إن اهتمام الرب بذكر أنواع مختلفة ممَّن يسمعون الكلمة فلا يُثمرون، قَصَدَ منه ضمن ما قصد أن ينتبه أصحاب الأَرض الجيدة، فيظلون على أمانتهم مواظبين على الصلاة والكلمة والتوبة، فتكون لهم سياجاً يحمي أرضهم من أن يستبيحها الغرباء، فلا يجرؤ إبليس على الاقتراب منها.

كما يلزم أن تبقى التربة عميقة تسمح بامتداد الجذور باستمرار عشرة المسيح من خلال كلمته، والحديث معه في الصلاة، وتصحيح المسار دوماً، والاغتذاء من جسده ودمه، مما يحفظ حرارة العلاقة مع الرب ومحبته، حتى إذا جاءت التجربة أو تكاثر الاضطهاد لا يكون التعثُّر والارتداد، وإنما الارتماء في حضن المخلِّص، ومقابل الأرض الصخرية تصير الحياة بيتاً مبنياً على الصخر (مت ٧: ٢٤).

وسيتعين على أصحاب الأرض الجيدة الحرص على تنقيتها يوماً بيوم من الأشواك والحشائش الضارة التي تسرق الغذاء، بالتوبة المتواترة مع وضع الأحمال والهموم على كاهل القدير، ورفض إغراء الحياة الجسدية والشراهة إلى المال أو الاتكال على الغِنَى، أو أن تضعف ثقتهم في الله وينهارون تحت وطأة أثقال الحياة كالآخرين، وكأنهم لم يستمعوا يوماً لكلمة الله.

ربما نضيف أيضاً أن الأرض الجيدة تحتاج أن تُفلَّح وتقلَّب وتتعرض للهواء النقي، وأن يمرَّ فيها سلاح المحراث، فيقبل أصحابها بالشكر التجارب التي تتفاوت في شدَّتها لدعم الإيمان، وأن تُروَى دوماً بالماء أي بالخضوع للروح وتأثيره في القلب الذي يحفظه من الجفاف والقساوة، وأن يُضاف إليها السماد المُغذي الذي هو كلمة الله والصلاة والتناول والخدمة، ثم انتظار الرب بالصبر، والنمو فيه خطوة خطوة كل الحياة، حيث يتصاعد محصول الثمار من ثلاثين إلى ستين إلى مائة.

ومن له أُذنان (للسمع) فليسمع.

عن خدمة المسيحي

الخدمة هبة جليلة وصفة نبيلة. وقد وضع الرب الخدمة في مرتبة سامية وأكَّد أن العظيم حقًّا هو مَن يخدم الآخرين، مُقدِّماً نفسه **النموذج والمثال**، وهو قال لتلاميذه: "أنتم تعلمون أن رؤساء الأُمم يسودونهم، والعظماء يتسلَّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم؛ **بل مَن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومَن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً، كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٥-٢٨، مر ١٠: ٤٢-٤٥)، "**وأكبركم يكون خادماً لكم. فمَن يرفع نفسه يتضع، ومَن يضع نفسه يرتفع**" (مت ٢٣: ١١-١٢)، "**إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل**" (مر ٩: ٣٥)، "**الكبير فيكم ليكن كالأصغر، والمُتقدِّم كالخادم**" (لو ٢٢: ٢٦).

وبعد أن غسل الرب أرجل تلاميذه قال لهم: "**أنتم تدعونني مُعلِّماً وسيِّداً، وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنتُ وأنا السيِّد والمعلِّم قد غسلتُ أرجلكم،**

فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثالاً، حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبدٌ أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مُرسله. إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه" (يو ١٣: ١٣-١٧).

والقديس بولس في رسالته إلى أهل رومية يدعو المسيح: **"خادم** (دياكون) **الختان"** (رو ١٥: ٨). وفي رسالته إلى العبرانيين يدعوه: **"خادماً للأقداس"** بعدما جلس في يمين عرش العظمة في السموات (عب ٨: ٢). ويسميه القديس بطرس: **"راعي النفوس وأسقفها"** (١بط ٢: ٢٥). فالمسيح هو الراعي الصالح ومثال الخادم الكامل.

خدمة التكريس

في دائرة الله هناك مَن اختارهم مُكرَّسين لخدمته وخدمة شعبه وسائر البشر:

+ وقبل أن يأتي الإنسان إلى الوجود خلق الله **الملائكة** لخدمته ثم لخدمة البشر:

"ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدَّامه" (دا ٧: ١٠)؛

"ثم تركه إبليس، وإذا **ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه"** (مت٤: ١١، مر ١: ١٣)؛

"ثم لِمَن مِنْ الملائكة قال قط اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. **أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص"** (عب ١: ١٣و١٤).

+ **وفي العهد القديم** اختار الرب **موسى** لقيادة شعبه، ثم عيَّن الله **هارون** وبنيه اللاويين ليكونوا **كهنة له** (خر ٢٨: ١؛ ٤٠: ١٣و١٤). واختار فيما بعد **قضاة** ثم **أنبياء** يخدمون ويقودون ويبشِّرون ويُعلِّمون ويعزّون وينذرون،

وليكونوا صوت الله الشاهد له للكبار والصغار.

+ وفي **العهد الجديد** اختار الرب تلاميذه الاثني عشر ورسله السبعين، فكرزوا للخليقة كلها بمخلِّص العالم: "**فوضع الله أُناساً في الكنيسة: أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً مُعلِّمين**" (١كو ١٢: ٢٨). وهم اختاروا بمشورة الروح أساقفة وكهنة وشمامسة للكنائس التي أسسوها في مواقع كرازتهم. هؤلاء صاروا "**خُدَّام المسيح، ووكلاء سرائر الله**" (١كو ٤: ١): رعاة للكنائس (إر ٣: ١٥، يو ٢١: ١٥-١٧، أع ٢٠: ٢٨، ١بط ٥: ٢)، ومُبشِّرين بنعمة الخلاص (أع ٨: ٣٥؛ ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢٤)، ومُعلِّمين كلمة الإنجيل (غل ١: ١١)، ومُدبِّرين كل أمور الخدمة المتنوعة (١كو ١٢: ٥)، خاصةً سد إعواز المؤمنين (١كو ١٦: ١-٤).

وامتدت خدمة الرسل بوضع اليد (١تي ٤: ١٤) من جيل إلى جيل حتى رعاة اليوم والغد يشهدون للمسيح، ويحفظون الإيمان، ويخدمون المذبح والأسرار، ويُبشِّرون بالخلاص والحياة الأبدية، سائرين على خُطى سيدهم راعي الخراف العظيم ورسله الذين سلَّموهم كلمة الإيمان. هؤلاء هم **الإكليروس** (Clergy) بالمقابلة مع سائر أعضاء جسد المسيح وهم **الشعب** (اللاؤس).

خدمة المسيحي

ولكن خدمة الله والقريب ليست قاصرة على المكرَّسين من رتب الكهنوت، ولكنها **هبة** لكل مؤمن، كما أنها **أحد التزامات الإيمان**. فرغم أن الرب اختص تلاميذه بقيادة الكنيسة واستودعهم الأمور المختصة بملكوت الله (مت ١٣: ١١، أع ١: ٣)، وسمح لبعضهم أن يروا بعض مجده (كما في مشهد التجلِّي: مت ١٧: ١-٧، مر ٩: ٢-٨، لو ٩: ٢٨-٣٦، وانتهاره الريح: مت ٨: ٢٦، مر ٤: ٣٩، لو ٨: ٢٤؛ وسيره على الماء: مت ١٤: ٢٥)، ووهبهم عمل المعجزات من شفاء المرضى وإقامة الأموات وإخراج

الشياطين (مت ١٠: ٨)، كما أعطاهم السلطان أن يحلّوا وأن يربطوا على الأرض (مت ١٦: ١٩؛ ١٨: ١٨)، وأن يغفروا الخطايا (يو ٢٠: ٢٣)، وأن يخدموا سر الشكر الذي أسَّسه في وسطهم (مت ٢٦: ٢٦-٢٨، مر ١٤: ٢٢-٢٤، لو٢٢: ١٧-٢١)؛ **إلاَّ أن كثيراً من وصايا المسيح الخاصة بالخدمة كانت موجَّهة لكل المؤمنين، بل إنه دعا كل مَن يتبعونه تلاميذ له:** "ومَن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي **تلميذاً**" (لو ١٤: ٢٧)، "اذهبوا **وتلمذوا** جميع الأمم..." (مت ٢٨: ١٩)، "إن ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون **تلاميذي**" (يو٨: ٣١). وفي الكنيسة الأولى أُطلق لقب **تلاميذ** على كل المؤمنين بالرب (أع ٩: ١و٣٦، ١٩: ١).

+ **فالموعظة على الجبل** التي حوت دستور السلوك المسيحي في العهد الجديد كانت **للتلاميذ** وأيضاً **للجموع**: "ولما رأى **الجموع** صعد إلى الجبل. فلما جلس تقدَّم إليه **تلاميذه**، ففتح فاه وعلَّمهم قائلاً..." (مت ٥: ١و٢).

+ **والأمثال** كانت **للتلاميذ** وأيضاً **للجموع**: "فاجتمع إليه **جموع كثيرة**، حتى إنه دخل السفينة وجلس. **والجمع** كله وقف على الشاطئ. فكلَّمهم كثيراً بأمثال قائلاً..." (مت ١٣: ٢و٣، مر ٤: ١و٢، لو ٨: ٤)، وإن كان يخصُّ تلاميذه أحياناً بشرح الأمثال (مت ١٣: ١٦-٢٣، مر ٤: ١١-٢٠، لو ٨: ١٠-١٥) باعتبارهم باكورة المؤمنين والأمناء على الرسالة والتعليم ومَن سيحملون البشارة للعالم.

+ وأحاديث المسيح قبل صليبه عن مجيئه الثاني والدينونة، حتى وإن لم يسمعها سوى التلاميذ خاصته، إلاَّ أنها **موجَّهة للجميع** الذين ينتظرون ظهوره: "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده... فحينئذ يجلس على كرسيِّ مجده. ويجتمع أمامه **جميع الشعوب**... ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رِثوا الملكوت المُعدَّ لكم منذ تأسيس العالم. لأني **جعتُ فأطعمتموني**..."

(مت ٢٥: ٣١-٤٠)

+ والقديس بولس يعتبر كل مسيحي سفيراً عن المسيح يُبشِّر العالم بالخلاص والمصالحة: "إذاً **نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا**" (٢كو ٥: ٢٠).

+ ومعلِّمنا يوحنا في رؤياه يقول عن الرب يسوع المسيح إنه "جعلنا **ملوكاً وكهنة** لله أبيه" (رؤ ١: ٦)، والقديس بطرس يُنادي المؤمنين قائلاً: "وأما أنتم فجنس مختار، **وكهنوت ملوكي**، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١بط ٢: ٩). فكل مؤمن كاهن يخدم الله في بيته يُدبِّر ويُربِّي ويُرشد للخلاص، وهو في العالم كاهن للمسيح وسفير له يُبشر بالخلاص كنور للعالم وملح للأرض.

+ كما ترتبط خدمة المسيحي غير المكرَّس (أو ما يُطلق عليه أحياناً العَلماني Laity - أي المؤمن من غير رُتب الكهنوت في المفهوم الكنسي) بمبدأين مسيحيين أساسيين هما: **إنكار الذات** (مت ١٦: ٢٤، مر ٨: ٣٤، لو ٩: ٢٣)، **ومحبة القريب** (مر ١٢: ٣١). فإنكار الذات هو ضرورة حتمية للارتباط بالله ومحبته. فالنفس تجنح بطبيعتها للتحرُّر والاستقلال عن الله، فتتعثر وتموت. وخروجها من ذاتها بعمل النعمة محتَّم إذا أرادت أن تتبع الله وأن تخدمه وأن تنجو من الهلاك.

+ وكما ترتبط وتتكامل محبة الله ومحبة القريب: "**مَن يحب الله يحب أخاه أيضاً**" (١يو ٤: ٢١)، فهكذا أيضاً خدمة الله وخدمة القريب. **فالخدمة كلها مقدَّمة لله**: "... إن كان أحد **يخدمني** يُكرِمه الآب" (يو ١٢: ٢٦). وخدمة القريب (ومصدرها المحبة) هي في الحقيقة امتداد لخدمة الله وتعبير عن محبته: "بما أنكم فعلتموه **بأحد إخوتي** هؤلاء الأصاغر **فبي فعلتم**" (مت٢٥: ٤٠)، "لأن **مَن خدم المسيح في هذه فهو مرْضي عند الله**" (رو ١٤:

١٨)، **"مَن قَبِل واحداً مِن أولاد مثل هذا باسمي يقبلني"** (مر ٩: ٣٧). كما أن إهمال القريب والتخلي عن خدمته هو تمرُّب من خدمة الله وإنكار لمحبته: **"بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا"** (مت ٢٥: ٤٥).

فدافع الخدمة الحب، وهدف الخدمة المسيح وإنجيله (رو١٥: ١٦، أف ٣: ٦و٧، كو ١: ٢٣، ١تي ٤: ٦):

"بهذا قد عرفنا المحبة: أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة؛ وأما مَن كانت له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه، فكيف تثبت محبة الله فيه" (١يو ٣: ١٦و١٧).

"وكل ما فعلتم، فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس. عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح." (كو ٣: ٢٣و٢٤)

والحب الحقيقي لا يعرف الادِّعاء والتظاهر، ولا يكتفي بالكلام أو الوعود؛ بل هو التزام ومسئولية وبذل وتعب بكل رضىً: **"يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق"** (١يو ٣: ١٨)، كما أن أي خدمة بدون محبة كعطايا المضطرين (٢كو ٩: ٧) هي كذبيحة الأشرار "مكرهة الرب" (أم ١٥: ٨). وكما يقول صاحب النشيد: **"إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تُحتقر احتقاراً"** (نش ٨: ٧).

+ وعندما طرد المسيح الشياطين من الشخص المجنون فعاد إليه عقله، قال له: **"اذهب إلى بيتك وإلى أهلك، وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك. فمضى وابتدأ يُنادي في العشر المدن كم صنع به يسوع"** (مر ٥: ١٩و٢٠). نحن مطالبون إذاً على نفس القياس أن نبشر بخبراتنا مع الله. وخدمتنا لله ليست اختياراً نُقْدِم عليه أو ننسحب منه، وإنما هي التزام لا يمكن التحلُّل منه. وفي هذا يقول معلِّمنا بولس: **"إذ الضرورة موضوعة عليَّ، فويل لي إن كنتُ لا أُبشر"**

(١كو ٩: ١٦)، "**وهو** (المسيح) **مات لأجل الجميع، كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام**" (٢كو ٥: ١٥).

+ ولا يدَّعي أحد أنه ليس عنده ما يُقدِّمه، فلن تخلو حياة مؤمن من موهبة يخدم بها الله ويُمجِّده بها:

"فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة، ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد، **هكذا نحن الكثيرين: جسد واحد في المسيح، وأعضاء بعضاً لبعض، كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا**. أنبوَّة فبالنسبة إلى الإيمان، أم خدمة ففي الخدمة، أم المعلِّم ففي التعليم، أم الواعظ ففي الوعظ. المُعطي فبسخاء، المُدبِّر فباجتهاد، الراحم فبسرور" (رو ١٢: ٤-٨).

ويُعاود القديس بولس الحديث عن تنوُّع المواهب في الكنيسة في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس كأعضاء كثيرة في جسدٍ واحد (١كو ١٢).

ويشير معلِّمنا بطرس إلى أن مواهبنا هي عطية النعمة ونحن وكلاء عليها: "**ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة**" (١بط ٤: ١٠).

+ ويُوضِّح **مثل الوزنات** (مت ٢٥: ١٤-٣٠) أن المواهب والعطايا للمؤمنين قد تتفاوت، ولكن كل المواهب مقبولة في نظر الله. المهم أن تُبذل وتُكرَّس من أجل المحبة: "**بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً**" (غل ٥: ١٣). وأن كل نفس تكرِّس موهبتها تنال المكافأة من الله. وتقدير الله للجميع متساوٍ بقدر ما خدموا وأعطوا: "**كنت أميناً في القليل فأُقيمك على الكثير**" (مت ٢٥: ٢١و٢٣). كما يُحذِّرنا الرب من احتقار الوزنة القليلة أو إهمالها أو تجميدها، ويصف صاحبها بالشر والكسل (مت ٢٥: ٢٦)، فعدم استخدام الموهبة - مهما صغرت - خطية يُعاقَب

عليها؛ بينما تنمو حياة المؤمنين الأمناء وتثري بالنعمة وتثمر: "لأن كل مَن له يُعطَى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه" (مت ٢٥: ٢٩).

التزامات خدمة المسيحي

الخدمة بالنسبة للمؤمن المسيحي اتجاه حياتي يُعبِّر به عن حبِّه لله والقريب. فكما أنه يصلِّي ويحفظ كلمة الله ويُمارس التوبة ويتقدَّم للتناول، فإنه يخدم الله في الناس من حوله بَدْءًا من بيته إلى معهده ومكان عمله. ويصير اختبار المسيحي للإيمان والتمتُّع بالخلاص وثماره والتتلمذ على كلمة الله شرطاً سابقاً للتقدُّم للخدمة. وعملياً فإن مَن لم يختبر حياة الإيمان ومحبة المخلِّص لن يهتم بالآخر أو يُبادر بخدمته، فهو لا يشعر به ولا التزام عنده تجاهه.

+ وإذا كان معلِّمنا بولس يكتب لتلميذه تيموثاوس أن يعكف على الكرازة بالكلمة: **"في وقت مناسب وغير مناسب"** (٢تي ٤: ٢)؛ فالمطلوب من المؤمن العادي أن يخدم كلما أرشدته نعمة الله للعمل، وألاَّ يسمح للفرصة أن تفلت منه كلما أُتيحت له فقد لا تعود.

+ وخدمة المؤمن تشمل الجميع دون تمييز خاصة غير المؤمنين والأعداء: **"إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه"** (رو ١٢: ٢٠). ومَثَل **السامري الصالح** (لو ١٠: ٣٠-٣٧) يكشف لنا **أن المؤمن هو قريب الكل، وأن الكل أقرباؤه**. والذي تضعه النعمة في طريق المؤمن هو موضوع خدمته. وهكذا فالمؤمن الحقيقي لا يعرف في خدمته التعصُّب أو الطائفية، وأحشاؤه تفيض بالرحمة على الكل خاصة مَن يحتاجون الخدمة.

وهي خدمة متجرِّدة تتجاوز الذات، تُعطي ولا تأخذ، ولا تنتظر المقابل يوماً. وها هي وصية الرب إلى مؤمنيه:

"وإذا أحسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم، فأيُّ فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم، فأيُّ فضل

لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يُقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المِثْل. بل... أحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العليِّ" (لو ٦: ٣٣-٣٥).

وإذاً، فكل المنحصرين في ذواتهم وذويهم وحدهم لن يقدروا أن يتبعوا الله أو أن يتحملوا ثقل صليبه. ولن يهمهم الآخر ولو كان من أقاربهم الحقيقيين أو مواطنيهم: **"فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله"** (رو ٨: ٨).

+ وسيتعيَّن على الذين وُهبوا خدمة التعليم والوعظ والتبشير أن يُداوموا على حفظ كلمة الله وإعداد أنفسهم كل الحياة لهذه الخدمة. وأن يلتزموا أولاً بكل ما يُعلِّمونه كي تثمر خدمتهم وتقود المخدومين في طريق الخلاص. وفي هذا يكتب معلِّمنا بولس إلى تلميذه تيموثاوس: **"لاحِظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إذا فعلت هذا تُخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً"** (١تي ٤: ١٦). والذين يقتحمون مجال التعليم دون إعداد يُسيئون إلى أنفسهم وإلى الكنيسة ويُعطِّلون دعوة الخلاص.

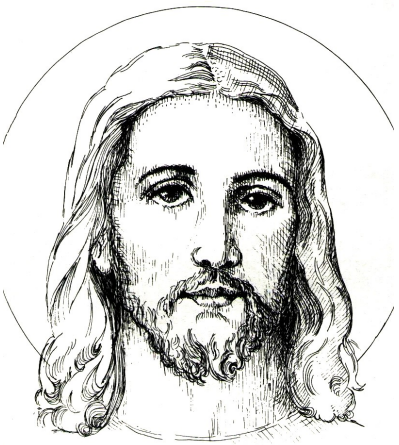

" أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو١٤ : ٦)

كتب صدرت من هذه السلسلة :

الكتاب الأول : **في السلوك المسيحي** (طبعتان)

التدين المضاد... ومقالات أخري

الكتاب الثاني : **عن المسيح**

يسوع المسيح الشفيع الكامل... ومقالات أخري